

كيف نأدب مع المصحف

كناية قرادة تعلمًا إستماعًا

محمد رجب فرجاني

الطبعة الثانية

١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

دار الاعتصام



تقديم

الحمد لله رب العالمين ، حمدا يليق بذاته ، وأنى عليه ثناء
لا أحصيه عليه ، والصلاة والسلام على النبي الأبي المبعوث رحمة
للعالمين . . وبعد .

فقد أخذ صاحب الفضيلة الشيخ محمد رجب فرجاني القلم ليخط
به آداب التعامل مع كتاب الله ، وهو إذ يكلف بهذه المهمة ويعزم في
تلهف شديد نحو التذكير بها إنما يسجل بقلمه ما يذكر به لسانه فهو
الواعظ المدره ، والخطيب المقوال . وكثير من الوعاظ ضاعت
الحكمة على أفواههم بخلو مكانهم في الحياة ، ولو أنهم سجلوا
دراساتهم وصنعوا صنيع صنوهم صاحب هذه الرسالة لأثروا دنيا
الناس بأقوم ما ينفع المؤمنين ، وأغنوا ثقافة العامة بما يحجم به
خواص الدارسين والباحثين . فله دره من مذكر بلسانه ، والله دره
من مذكر بقلمه ، باقة يانعة يقدمها إلى أهل هذا العصر صاحب هذه
الرسالة هي جماع آداب المؤمن مع كتاب الله بل مع الله صاحب
الكتاب .

ولا ريب أن المسلمين في حاجة ماسة إلى التفقه في هذا السلوك
القرآني ، وقد ظلوا في هذه الحاجة الملحة لا يسعفهم بالتذكير بها
إلا مهمات متناثرة في دروس الفقه هنا وهناك لا يكتمل لها منهج
ولا يستقيم لها نمط ، حتى تيسر لهم بصورة جيدة مثل هذا البحث .

ومعاذ الله أن أنسى ما ألف من كتب في علمة القرآن وهو
الكتاب الوحيد في الدنيا الذي لقي من حفاوة الإنس والجن واهتمام
الثقلين به .

وقد كتب عن القرآن باختلاف مقاصد الكاتبين من نحو نحو
التفسير .. إلى تناول لبلاغته إلى كاتب في إعرابه إلى كاتب في أحكامه
إلى دارس لقصصه إلى جامع لعلومه إلى موقف على قراءته وتجويده
وضابط لترتيبه ومخارج حروفه ، مما يجعل مكتبة القرآن أغنى مكتبة
عرفها الحضارات على مدى الدهور والأعصار .

فإذا جاء من يقطف من أزهارها ومن يذوق الحاضر بأريجها ،
فقد استحق الثناء من الناس والثبوة من الله . أكثر الله من الناظرين
في كتاب الله الحافظين لحرماته ، الذائدين عن رحاب قدسه أمثال
صاحب هذه الرسالة ونفع بها قارئها وكاتبها وناشرها آمين .

وصلى الله على أصدق من مشى على الغبراء وأعظم من أظلمته
السماء محمد الرحمة المهداة وعلى آله وصحبه واخمين لسنته وسلم .

وكتبه فقير عبوربه

محمد نجيب المطيعي

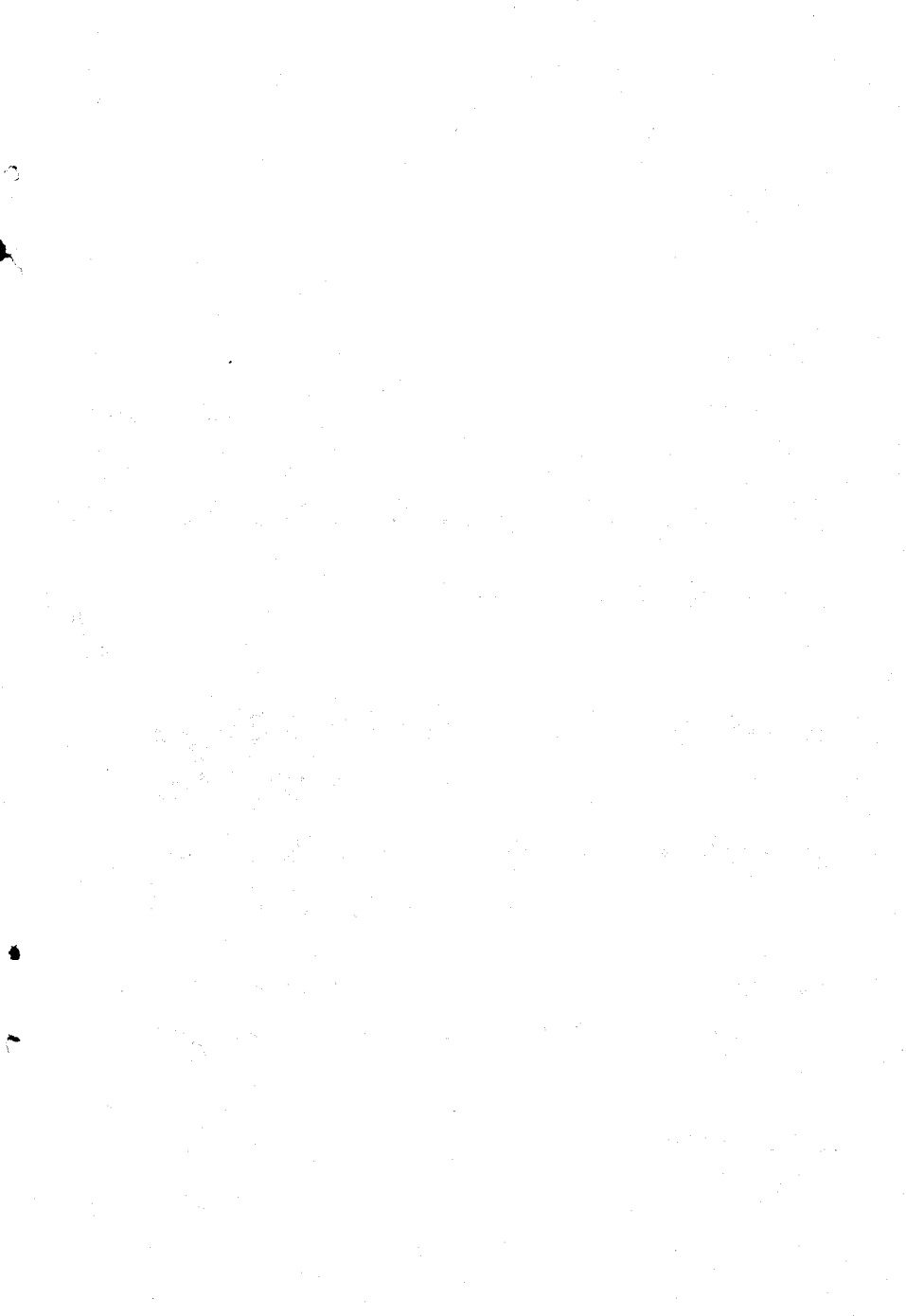
صاحب تكملة المجموع شرح المذهب

الإهداء

هذا الكتاب . .

- أحسبه عند الله عز وجل الذى نزل القرآن علينا ضياء ونورا .
- وأبغى به حب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بلغه إلينا بشيرا ونذيرا .
- وأهديه إلى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم الذين نقلوه إلينا كما أنزل صحيحا سليما .
- وأهديه إلى التابعين وتابعيهم وإلى العلماء من بعدهم الذين كرسوا أنفسهم وأمواهم للود عنه فينوه للناس تبينا .
- وأهديه إلى المسلمين المؤمنين الذين يسرون على هدى القرآن الكريم فينهجون منهجه وهم يرون فيه سعادة البشر أجمعين .

محمد رجب فرجاني



بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

الحمد لله رب العالمين أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه البررة الأطهار .
أما بعد :

فإني أستعين بالله عز وجل راجيا منه العون والسداد في تقديم هذا الموضوع إلى القارئ المسلم . . وهو أول موضوع مختصر في هذا الباب حاولت إعداده بعد جهد ودراسة أحسب أجرهما عند واهب الحياة ومالك العطاء .

والحق يقال . . إن موضوع هذا البحث ليس بالهين البسيط على كل باحث لأن مسأله مثورة في محور الكتب ، الأمر الذي يجعل الباحث فيها يروج ويغلو . . ويقف ويتأمل . . ويتقدم ثم يتردد قبل الخروج منها برأى والحكم فيها بشئ . . فيعود ليلتقط ما بين سطور الكتب لعله يأنس إلى رأى في القديم أو الحديث ، فيجمع ما يمكن جمعه . ويستدل بالشواهد من الأدلة الثابتة الصحيحة من القرآن والسنة . وآراء الصحابة والعلماء الثقات من السلف والخلف ، ومناقشة بعض الآراء دون إسهاب ليخرج في آخر الأمر يبحث يوفر على القارئ عناء الاطلاع ، والتنقيب بين ثنايا المصادر المتعددة المتناثرة .

هذا وقد قسمت هذا الكتاب إلى أبواب ، وكل باب إلى فصول ،
وكل فصل يشتمل على مسائل ، وهذه المسائل تتضمن أحكاما متنوعة
مثل :

* استقطاع آيات من القرآن الكريم وكتابتها في لوحات معينة
ليعها .

* تصغير الخط إلى درجة عدم امكان القراءة بالعين المجردة
* كتابة القرآن في الجرائد والمجلات وكل ما هو معرض
للتلف .

* اقتراح كتابته في المصاحف بالرسم الإملائي الحديث وترك
الرسم العثماني .
* كتابته بالذهب والفضة .

وكذلك أحكام :

* قراءته بالتغنى أو التلحين الموسيقي وآداب القارئ
* اقتران القراءة بالأعمال الدنيوية .
* البيع والشراء والنقل إلى بلاد الكفر .

* آداب السماع وحكم الاستماع إلى القرآن الكريم مع القيام
بالعبادة أو الأعمال الدنيوية ، وحكم الإعراض عن استماعه .
وغير ذلك من الأحكام التي سوف تفيد القارئ لهذا الكتاب .

والحمد لله على منته بالتوفيق ؛ إذ قمت بمحاولة التصرف ما أمكن
متحريرا للرأى الحق ، والقول الراجح ؛ وقد خرجت أحاديثه وعزوتها

إلى مصادرهما سواء من نقلوا عنها مباشرة أو ممن نقلوا عنها غير مباشر ،
منها عليها بأرقام بعضها ، أو أرقام الصفحات التي ورد فيها البعض
الأخر لتسهيل متابعتها في كتبها على من يريد ، وبهذا لا أكون
زاعما ولا واهما أني أتيت على كل صغيرة وكبيرة من الأحكام
المتعلقة بشئون كتاب الله فقتلنا بحثنا وتمحيصا .. كلا .. إنما هي
محاولة على الطريق لتلفت أنظار العلماء .. وتشد عزائم الباحثين
ليبحثوها من جديد حتى يقدموا لجمهور المسلمين حلولا لمشاكل
معاصرة إزاء القرآن الكريم .

وكيف لا .. وكتاب الله كتاب مفتوح للبلدان والأزمان ولا يغلو
أى جيل من باحثين في شئون القرآن ..

وسأكون قرير العين لصدور أى بحث في هذا الموضوع يظهر
بعد بحثي هذا مكملا له أو مناقشا إياه ومعلقا عليه بالنقد أو بالتقضى ..
فالهمم هو إظهار الحق في هذه الأحكام سواء على يدي أو على يدي
غيري لأنها أحكام تتعلق بالكتاب الخالد الذي لا يأتيه الباطل من
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .. وفوق كل
ذى علم عليم .

وقد سميته « كيف نتأدب مع المصحف » نظراً لما رأيت من
تهاون بعض الناس في كتابة القرآن أو قراءته أو سماعه أو تعلمه حتى
يقف المسلمون على واجبات الأدب التي تليق بمقام القرآن الكريم ..

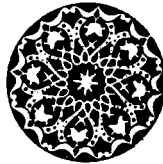
وبعد .. فهذا الموضوع أقدمه قربة لله سبحانه وتعالى عساه أن

يفخر خطيبتي ، ويقبل توبتي ، ويزداد إيماني ويقيني فيعني فضله
ورضوانه .

والله أسأل أن يجعله في صحائف أعمالى إنه سميع مجيب .
« المؤلف »

• من شهر رمضان سنة ١٣٩٣ هـ
أول أكتوبر سنة ١٩٧٣ .

الفيوم في يوم الاثنين



تمهيد

القرآن كتاب الله الذي ختم به جميع الرسالات . فجاء مصلحاً
للدنيا مرشداً إلى الآخرة فجمع بين صلاحيهما ، مبشراً بالوعد ،
منذراً بالوعيد . . . جاء مصدقاً لما قبله من الكتب يؤيدها في الحق
والصواب ، ويرثها مما دس فيها من خطأ ، وما طرأ عليها من تحريف
وتغيير حيث سلم هو من كل ما شابها ، وانفرد بالحفظ دونها
« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

والقرآن على مدى ثلاثة وعشرين عاماً هي فترة نزوله شرع
دفاعه في ميدانين :

الميدان الأول : تحدى المشركين :

بمجرد أن أعلن النبي صلى الله عليه وسلم رسالته على الناس
هاج المشركون وماجوا وشرعوا في معارضة القرآن الذي أنزل عليه
صلى الله عليه وسلم فزعموا أنه شعر أو كهانة أو سحر أو أساطير
الأولين ، وتمثلت كل هذه الدعاوى في الاجتماع الذي عقده أبو جهل
وأبو الوليد عتبة بن ربيعة وآخرون . . . وتناوروا فيما بينهم فقالوا :
« إنه قد التبس علينا أمر محمد فلو التمس رجل عالماً بالشعر والكهانة
والسحر فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره ؟ فقال عتبة : والله لقد سمعت
الكهانة والشعر والسحر ، وعلمت من ذلك علماً لا يخفى على إن كان
كذلك . فقالوا اتته فحدثه . فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له :
« يا محمد أنت خير أم قصي بن كلاب ١٤٠٠ أنت خير أم هاشم ؟ »

أأنت خير أم عبد المطلب ؟ أنت خير أم عبد الله .. ؟ فم تشم أهننا ،
وتضلل آباءنا ، وتسفه أحلامنا وتقدم ديننا .. فإن كنت تريد الرياسة
عقدنا لك ألويدة فكننت رئيسنا ما بقهت ، وإن كنت تريد البلاء زوجناك
عشر نساء من أى بنات قريش ، وإن كنت تريد المسال جمعنا لك
ما تستغنى به أنت وعقبك^(١) من بعدك ، وإن كان الذى يأتيك رثيا^(٢)
من الجح قد غلب عليك بذلنا لك أموالنا فى طلب ما تتداوى به أو
نغلب فيك .

كل ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم ساكت .. فلما فرغ قال النبي
صلى الله عليه وسلم : « قد فرغت يا أبا الوليد .. ؟ » قال : نعم .. قال
النبي صلى الله عليه وسلم : « فاسمع منى » قال يا بن أخى أسمع .. فقراً
النبي صلى الله عليه وسلم : « بسم الله الرحمن الرحيم . حم تنزيل
من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون .
بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون . وقالوا قلوبنا فى أكنة
مما تدعوننا إليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل
إننا عاملون . قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد
فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين . الذين لا يؤتون الزكاة
وهم بالآخرة هم كافرون . إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم
أجر غير ممنون . قل أنتم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين
وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسى من فوقها
وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى

(١) عقبك : ذريتك .

(٢) رثيا من الجح : مسا من الجح يبنى مجنون .

إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا
 أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء
 أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم . فإن
 أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود (١) .
 وهنا وثب عتبة ووضع يده على فم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 وناشده الله والرحم لبسكنن ورجع إلى أهله . ولم يخرج إلى قريش .
 فجاهه أبو جهل فقال : أصبوت إلى محمد أم أعجبتك طعامه . . ؟
 فغضب عتبة وأقسم ألا يكلم محمداً أبداً . ثم قال : والله لقد تعلمون
 أني من أكثر الناس مالا ولكني لما قصصت عليه القصة أجباني
 بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ، وأمسكت بفيه ،
 وناشدته الرحم أن يكف . وقد علمتم محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب .
 فوالله لقد خفت أن ينزل بكم العذاب - يعني الصاعقة - بعد ذلك
 توات الآيات التي تتحداهم وتثبت عجزهم الكامل وهم أساطين
 البلاغة وأرباب الفصاحة فلم يستطيعوا الصمود أمامها .
 وقد حكي القرآن ما قالوه : « وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك
 افتراه وأعانه عليه قوم آخرون » . فرد القرآن عليهم بقوله :
 « فقد جاءوا ظلماً وزوراً ، وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى
 عليه بكرة وأصيلاً » فرد القرآن عليهم بقوله لرسول الله صلى الله
 عليه وسلم : « قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه
 كان غفورا رحيماً » (٢) .

(١) الآيات من أول سورة فصلت . هذا وقد أثبت الآيات التي قرأها الرسول
 صل الله عليه وسلم لكي يستفيد القارئ الذي لا يحفظ القرآن .
 (٢) الآيات رقم ٤ ، ٥ ، ٦ من سورة الفرقان .

وقد جاء التحدى في القرآن على درجات فطلب إليهم أولا : أن يأتوا بمثله تمام المثلية من كل الوجوه ولو دعاهم ذلك أن يشاركهم الجن بالمساعدة .

فقال تعالى : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (١).

فقطع على الثقلين - الإنس والجن - أن لا يستطيعوا الإتيان بمثل القرآن .

ثانيا : قالوا إن محمدا افترى هذا القرآن من عنده وتقوله . فرد الله عليهم بقوله : « أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون . فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين » (٢) . أى فليأتوا بمثله ولو كان متقولاً .

ثالثا : قالوا إن هذا القرآن افتراه من عنده . فرد الله زعمهم هذا وطلب إليهم أن يأتوا بعشر سور مثله في الإعجاز مفتريات . فقال تعالى : « أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » (٣) .

رابعا : طلب إليهم أن يأتوا بسورة من مثله بقوله : « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا

(١) الآية رقم ٨٨ من سورة الإسراء .

(٢) الآيتان رقم ٣٤ ، ٣٥ من سورة الطور .

(٣) الآية رقم ١٣ من سورة هود .

فأتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين» (١) .

خامسا : طلب إليهم أن يأتوا بسورة مفتراة حسب زعمهم بأن محمدا افتراه فقال : « أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعم من دون الله إن كنتم صادقين » (٢) .

سادسا : وصل بهم التبجح والعناد إلى أنهم إذا سمعوا القرآن يتلى نهكوا طالبين أن يأتيهم الرسول صلى الله عليه وسلم بقرآن غيره أو يبدله حتى يسمعوا . فيأتيهم الرد من السماء بهذه الآيات : « وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا انت بقرآن غير هذا أو بدله . قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا ما يوحى إلى إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم . قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون » (٣) .

سابعا : لما أحجموا وأفحموا من هذا المنطق الناصع لجأوا إلى التهرب من سماعه ، فكانوا أول الأمر يسمعون فيسخرون وبعد ذلك صاروا يتفلتون من سماعه وسجل الله عليهم ذلك وتوعدهم الوعيد الأليم فقال تعالى : « وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون . فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون . ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون » (٤) .

(١) الآيتان رقم ٢٣ ، ٢٤ من سورة البقرة .

(٢) الآية رقم ٣٨ من سورة يونس .

(٣) الآيتان رقم ١٥ ، ١٦ من سورة يونس .

(٤) الآيات رقم ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ من سورة فصلت .

ففي آيات التحدى يقول لهم : « إن كنتم صادقين » ويقول :
« وادعوا شهداءكم من دون الله » أو « ادعوا من استطعتم من دون
الله » أى استعينوا بشركائكم أو بمن ترضونه من الشركاء . واستعينوا
بأهتكم التى تدعونها من دون الله ومع كل هذا عجز هؤلاء الناس
عن الوقوف أمام القرآن فى أسلوبه وأحكامه وأهدافه .

الميدان الثانى : تصديقه وتصحيحه لما سبقه من الكتب :

التصديق :

يقول الله تعالى فى أول سورة آل عمران : « الم . الله لا إله إلا
هو الحى القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه
وأنزل التوراة والإنجيل . من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان » .

فبدأت الآيات بذكر « الله » وهو لفظ الجلالة ، ذلك الاسم الذى
لا يمكن إطلاقه على أى كائن من المخلوقات عظم أو صغر ، ثم نفت
الآية الألوهية عن غيره سبحانه وتعالى وأثبتها له جل شأنه ، ثم
جاءت باسمين من أسمائه الحسنى هما : « الحى القيوم » فالحى حياة
دائمة أبدية وأزلية ، والقيوم القائم على كل شئ والقائم به وله كل
شئ . ثم أخبرت الآية الثالثة بتنزيل الكتاب - وهو القرآن - على
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحق الذى لا يتطرق إليه شك ،
وبالصدق الذى لا يشوبه كذب ، وبأنه مصدق لما سبقه من الكتب .
وهنا قد يسأل سامع هذا الخبر : ما هى الكتب التى بين يدي

القرآن . . ؟

فيكون الجواب : « وأنزل التوراة والإنجيل » . . وجاءت كلمة

« الإنجيل » خاتمة الآية الثالثة لتبدأ بعدها الرابعة بقوله : « من قبل هدى للناس » فكان الآية الثالثة - والله أعلم بمراده - تستطلع ما يدور في أذهان الناس من استفهامات .. ماذا سيقول القرآن في شأن التوراة والإنجيل . . ؟ أيذمهما على عادة الدساتير البشرية الوضعية إذ يذم اللاحق السابق فيكون الرد من الله شافيا : « من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان » .

وما ذلك إلا لأن مصدر كل الكتب والرسالات السماوية هو الله الحي القيوم .. فالذي يؤمن بالله عليه أن يصدق بكلام الله سواء كان « قرآنا أو إنجيلا أو توراة أو زبورا أو ألواح موسى أو صحف إبراهيم » لأنه يؤمن بالأساس الأول المتين .. فالذي يثق في الله الذي هو أساس إيمانه لا بد وأن يصدق بما يصدر عنه .

ولذلك توعد الله سبحانه وتعالى في آخر الآيات الذين يكفرون بكتابه أو يجحدون بآياته فقال عز وجل : « إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام . إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء » وكما بدأت الآيات بلفظ الجلالة ونفى الألوهية عن سواه وإثباتها له بصفى الحي القيوم ، ختمت أيضا بلفظ الجلالة والعزة الغالبة المألوفة للانتقام . وهذا شأن الله الذي يطعم على كل شيء في الأرض والسماء في الماضي والحاضر والمستقبل سواء بسواء . كان هذا إخبارا مجملا عن تصديق القرآن لما سبقه .. وهذا يستتبع تفصيلا لما جاء الاتفاق فيما بينه وبين ما سبقه من الكتب .. فاتفق القرآن الكريم - وهو معنى التصديق - في أمور تتصل بالمعتقد وبعض صفات المؤمنين ، وبعض القصص :

أما الاختلاف في التشريع . . لأنه لا بد من ملاءمته لحياة البشر المتطورة .

ولذلك نجد القرآن يتناول جميع جوانب الحياة البشرية : اقتصادية واجتماعية وسياسية وعسكرية وقضائية الأمر الذي خلقت منه الكتب السابقة إلا قليلا ، وما ذلك إلا لأن رسالة القرآن خاتمة الرسائل فجاءت جامعة مانعة ومفصلة مينة . . والأمثلة على ذلك ما يأتي :

أولا : ما أخرجه الحاكم عن ابن عباس^(١) ، قال : لما نزلت : « سبح اسم ربك الأعلى » قال صلى الله عليه وسلم : « كلها في صحف إبراهيم وموسى » .

وباستعراض سورة الأعلى نجدها تتحدث عن قدرة الله عز وجل في الخلق والتقدير وإخراج النبات وإقراءه القرآن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلمه سبحانه بالجهنم والحفاه وأحوال الناس إزاء التذكير ففريق ينتزع بالذكور . . وفريق يحرم من الانتفاع بها ثم تحتم السورة بقوله عز وجل : « إن ههنا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى » . فقد أورد ابن كثير في تفسيره رواية عن الحافظ أبي بكر البزار عن ابن عباس^(٢) رضي الله عنهما ، قال :

(١) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ١ ص ٢٨ ، ٢٩ طبعة الحلبي بالقاهرة ، الطبعة الثالثة .

(٢) تفسير ابن كثير ط . الشعب بالقاهرة قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا نصر بن علي ، حدثنا معتمر بن سليمان عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس ...

وروى النسائي قال : أخبرنا زكريا بن يحيى أخبرنا نصر بن علي حدثنا المنذر بن سليمان عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس ...

لما نزلت « إن هذا لفي الصحف الأولى . . » قال النبي صلى الله عليه وسلم: « كان كل هذا - أو كان هذا - في صحف إبراهيم وموسى » .

ثانيا : لما نزلت « أم لم ينبا بما في صحف موسى . وإبراهيم الذى وفى . ألا تزر وازرة وزر أخرى . وأن ليس للانسان إلا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى . وأن إلى ربك المنتهى »^(١) .

قال عكرمة فيما رواه ابن جرير أن آية « سبح اسم ربك » مثل آيات سورة النجم .

ثالثا : أخرج الحاكم من طريق القاسم عن أبي أمامة قال أنزل الله على إبراهيم مما أنزل على محمد : « التائبون العابدون . . » إلى قوله : « وبشر المؤمنين »^(٢) .

وأنزل : « قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون . . » إلى قوله : « هم فيها خالدون »^(٣) ، وأنزل قوله « إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات . . » الخ الآيات^(٤) .

وهكذا نرى أن هذه الآيات كلها تناولت صفات المؤمنين (بصفة عامة) من كل أمم الأنبياء السابقين .

(١) الآيات رقم ٣٦ - ٤٢ من سورة النجم من تفسير ابن كثير عند تفسيره لسورة سبح اسم ربك الأعلى .

(٢) الآية رقم ١١٢ سورة التوبة .

(٣) أول سورة المؤمنين .

(٤) الآية رقم ٣٥ سورة الأحزاب ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ من كتاب (الإتقان)

رابعاً : أخرج ابن الضريس عن كعب^(١) قال : « فتحت التوراة بالحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون » أول سورة الأنعام ، وختمت بالحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيراً » آخر سورة الإسراء .

وهذه الآيات تناولت خلق الله للسموات والأرض ، وتكون الظلمات والنور ، وإشراك الكفار من كل أمة بربهم ، وتناولت تنزيه الله عن اتخاذ الولد والشريك والولى .

خامساً : أخرج أبو عبيد عن كعب قال : أول ما أنزل الله فى التوراة عشر آيات من سورة الأنعام : « قل لعالموا أتئل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً . . » الخ وهى الآيات من ١٥١ إلى ١٦٠ ، وقيل إن هذه الآيات اشتملت على بعض الآيات العشر التى كتبها الله لموسى فى التوراة أول ما كتب ، وهى : توحيد الله ، والنهى عن الشرك ، واليمين الكاذبة ، والعقوق ، والقتل ، والزنا ، والسرقه ، والزور ، ومد العين إلى ما فى يد الغير ، والأمر بتعظيم السبت^(٢) .

سادساً : أخرج البخارى رضى الله عنه عن عبد الله بن عمرو ابن العاص^(٣) رضى الله عنهما : أن هذه الآية فى القرآن : « يأبها

(١) الإتيقان - والقرطبي عن الدارمى أبى محمد فى مسنده عن كعب الأحبار .

(٢) الإتيقان فى علوم القرآن للسيوطى ج ١ ص ٣٩ .

(٣) البخارى كتاب التفسير (سورة الفتح) ٦-١٦٩ ، ١٧٠ وفى البيوع وذكرها ابن كثير فى تفسير هذه الآية من سورة الأحزاب عن الإمام أحمد فى مسنده عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو بن العاص وعن ابن أبى حاتم عن وهب بن منبه إيمانى .

النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً» قال في التوراة : « بأبها
النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً وحرزاً للأمين أنت عبدى ورسولى
سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ولا يدفع
السيدة بالسينة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة
العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله فيفتح به أعينا عمياً وآذاناً صماً
وقلوباً غلغفا .

سابعا : أخرج الدارقطنى من حديث بريدة أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال : « لأعلمنك آية لم تنزل على نبي بعد سليمان غيرى :
بسم الله الرحمن الرحيم » (١) .

الهيمنة والتصحيح :

قال الله تعالى : « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين
يديه من الكتاب ومهيئاً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله » .

قال الشيخ محمد رشيد رضا بعد سرده لأقوال الصحابة من
المفسرين في تفسير الهيمنة : « والظاهر من مجموع الأقوال أن
المهيمن على الشيء هو من يقوم بشئونه ويكون له حق مراقبته والحكم
في أمره بحق » (٢) .

أما تفصيل أمثلة الهيمنة فقد بينها الدكتور محمد أحمد الغمراوى (٣)
نبيئاً لطيفاً ومفصلاً فقال : « وأمثلة هيمنة القرآن على التوراة

(١) الإتيان : ١-٣٩ .

(٢) تفسير المنار ج ٦ ص ٣٤٠ طبة الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة .

(٣) الإسلام في عصر العلم ص ١٥٠ وما بعدها .

كثيرة خصوصاً سفر التكوين ففيه أمور كثيرة بصححها القرآن :
 فيه مثلاً أن حواء هي التي حملت آدم على الأكل من الشجرة .
 وأن الذي وسوس لحواء وحملها على الأكل من الشجرة قبل آدم
 هي الحية من غير ذكر للشيطان كأنه لا يدل له في الإغواء ، والذين
 يريدون الجمع بين هذا وبين ما في القرآن يقولون : إن الشيطان
 لبس الحية وبلسانها أغوى آدم وحواء . . . ولكن القرآن الكريم
 لا يذكر الحية ، ولا يحمل حواء وزر البدء بالأكل من الشجرة
 خلافاً لما أمر الله . . . بل مفهوم آية سورة طه أن آدم هو الذي اقتنع
 أولاً بالأكل طلباً للخلود بإغواء الشيطان وتزيينه ، وأن زوجه - ولم
 تذكر باسمها قط في القرآن - تابعته في ذلك ، وعلى أسوأ تقدير أكلت
 معه إن لم تكن أكلت بعده .

هذا هو المتبادر من قوله تعالى : « فوسوس إليه الشيطان
 قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى . فأكلا
 منها » (١) .

والشيطان وسوس إلى زوج آدم أيضاً حين وسوس إلى آدم
 بدليل آيات سورة الأعراف : « فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما
 ما وورى عنهما من سوءاتهما وقال ما هنا كما ربكما عن هذه الشجرة
 إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما إني لكما لمن
 الناصحين . فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا
 يخصفان عليهما من ورق الجنة » (٢) .

(١) الآية رقم ١٢٠ من سورة طه .

(٢) الآيات رقم ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ من سورة الأعراف .

لكن ليس في القرآن الكريم آية تخص زوج آدم بالسوسة ،
أو تنسب السوسة والإغواء بالشجرة إلى غير الشيطان بواسطة
الحية مثلاً كما في التوراة .

فالقرآن في هذا المثل مهيم على التوراة ومصحح لما جاء في
سفر التكوين .

مثال ثان : قد ذكر في سفر التكوين من أبناء نوح وإبراهيم
ولوط وإسحاق ويوسف وإخوته ، وفي كل ذلك يهيم القرآن عليه
بالتصحيح نارة وبالتنويه أخرى .

ففي قصة نوح - في التوراة - أن الطوفان جاء وعمر نوح
سبعمائة سنة ، وأنه مات وعمره تسعمائة وخسون سنة ، وأنه ركب
الفلك هو وأبناؤه وزوجه وأزواج أبنائه من غير ذكر لركوب أحد
من آمن معه .

ولكن القرآن لم يتعرض لعمر نوح لا قبل الطوفان ولا بعده .
واقصر من ذلك على ما فيه العبرة والعظة . فذكر أنه لبث في قومه
يدعوهم إلى الله تسعمائة وخمسين سنة قبل أن يأخذهم الطوفان
كما هو المتبادر من آية سورة العنكبوت : « ولقد أرسلنا نوحاً إلى
قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم
ظالمون . فأنجيناها وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين »^(١) . فالقرآن
يصدق ما هو صدق . ويصحح ما اعتوره الخطأ بالتغيير .

وكذلك الشأن في قصتي لوط وإبراهيم . . فهو يصدق القصتين

(١) الآيات رقم ١٤ ، ١٥ من سورة العنكبوت .

مثلاً في أن إبراهيم لم يرزق إسحاق إلا على بأس وكبر ، وأنه وزوجه أخذهما العجب حين جاءتهما البشري وأنه امتحن في أحد ابنيه إذ أمر بذبحه قرباناً ، حتى إذا خضع للأمر وهم بالذبح تداركه الله بلطفه وفدى ابنه .

وأنه جادل ربه في قوم لوط حين علم أنه سينزل بهم العذاب وفي أن لوطاً جاءه الضيوف وأنه جادل قومه عن ضيوفه حتى وقاه الضيوف شر قومه ، وأمره بالنجاة بنفسه وأهله قبل الصبح إذ سينزل بأهل المدينة العذاب .

هاتين بصدقه القرآن . . أما ما يختلف فيه ويصححه فهو ما جاء في سفر التكوين من أن زوجة لوط من الناجين مع أهله . ولكن القرآن يثبت أنها من المالكين في سورة هود « قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا بلغت منك أحد إلا امرأتك إنه مصيبنا ما أصابهم إن موعدهم الصبح ليس الصبح بقريب » .

ويصحح القرآن ما قد غير من التوراة أيضاً حسبما ورد في نفس قصة إبراهيم من أن الضيوف - وهم ملائكة - أكلوا الطعام مع أن طبيعة الملائكة لا تأكل . فجاء القرآن ليثبت أن الضيوف لم يأكلوا .. الأمر الذي أخاف إبراهيم منهم فقال القرآن : « ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام . فما لبث أن جاء بعجل حنيذ فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط » (١)

(١) الآيات رقم ٦٩ ، ٧٠ من سورة هود .

وجاءت التوراة بأن إبراهيم حينما أرسل بالرسالة كان شيخاً .
فجاء القرآن ليعلم مصححاً أن إبراهيم كان فتى شاباً فقال : « قالوا
سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم » (١) .

وبالحملة أيضاً فإن قصص الأنبياء في الكتب السابقة وردت
خالية من المواعظ ، كما أنها لم تبرز جهاد الأنبياء في سبيل دعوتهم .
وما قبلوا به من عنت وجدال مثل جدال نوح لقومه ، أو شعيب
أو هود ويوسف وموسى في حين أن القرآن أفاض وأشاد بمواقف
الأنبياء في دعوتهم لأقوامهم وما بذلوه من جهود شاقة في أسلوب
أخاذ .

زد على ذلك أن التوراة جرحت أخلاق بعض الأنبياء تجريباً
شنيعاً مع أن أخلاق الأنبياء لا تعلوها أخلاق بشر .. الأمر الذي يتزه
عنه كلام الله ووجهه ، وهم أنبياؤه وأصفيائه ومصطفون له ومبلغون
لرسالاته .. فقد أهمت التوراة - العهد القديم - سيدنا داود بالزنا
مع زوجة « أوريا الحثي » وأهمته بالكيد والتحايل على التخلص
من الزوج المطعون في شرفه بقتله بطريقة معفاة من المسؤولية الخناثية .

أليس هذا دليلاً كافياً لإقناع الناس أن ما بأيديهم من الكتب
ليست على أصلها . وإذا كانوا ينشدون الحق فما عليهم إلا أن يبحثوا
عن الأصل الحقيقي لهذه الكتب ليستخرجوها فيتبعوا ما فيها .

وأما القرآن الكريم فهو الذي مدح جميع الأنبياء لا يفرق بين
نبي ونبي ولا بين رسول ورسول فيقول عز وجل في قرآنه العزيز :

(١) الآية رقم ٦٠ من سورة الأنبياء .

« إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين .
ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم » (١) .

من هنا وجب علينا أن نعرف قرآنا :

هذا والله أعلم



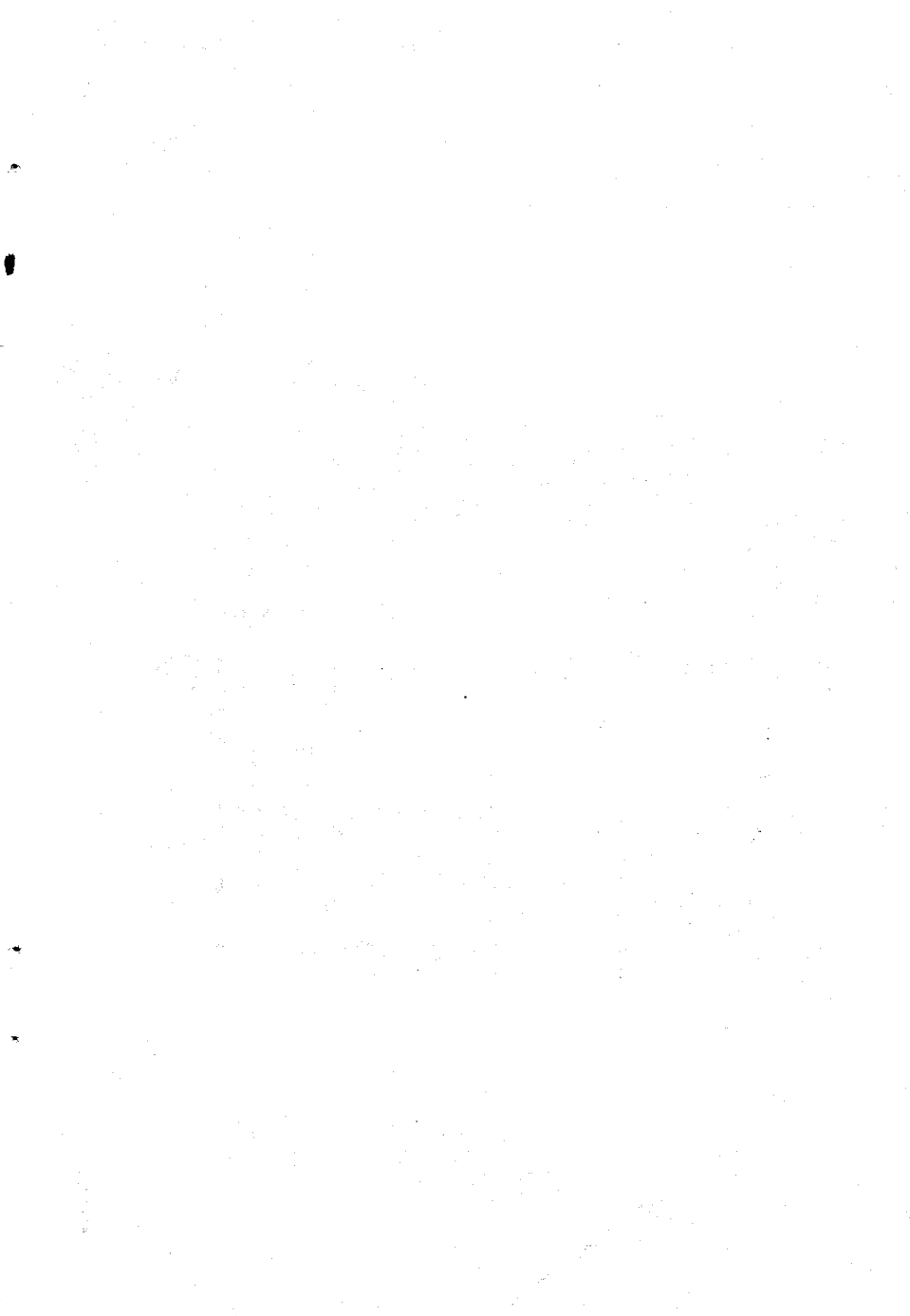
(١) الآيتان رقم ٣٣ ، ٣٤ من سورة آل عمران .

الباب الأول ماهو الفرائز الكريمة

وفيه أربعة فصول :

- ١ - تعريف القرآن الكريم لغة وشرعا واصطلاحا .
- ٢ - أسماؤه .
- ٣ - توضيح لكلمة مصحف .
- ٤ - أقسام كلام الله تعالى .
- ٥ - اشارة لطيفة إلى كلام الله تعالى .





الفصل الأول تعريف القرآن الكريم

اهتم الباحثون في شئون القرآن الكريم بتعريفه لغة وشرعا واصطلاحا :

١ - أما التعريف اللغوي : فيعتمد على اشتقاق اللفظ من أصله في اللغة .

٢ - وأما التعريف الشرعي : فيعتمد على نص من الكتاب أو السنة الصحيحة .

٣ - وأما التعريف الاصطلاحي : فيعتمد على إجماع علماء الكلام وأبحاثهم في صفة الكلام لله سبحانه وتعالى .
التعريف في اللغة :

لفظ القرآن في اللغة مصدر مرادف للقراءة ، ويشير إليه قوله تعالى : « إن علينا جمعه وقرآنه . فإذا قرأناه فاتبع قرآنه » . ثم نقل هذا المعنى المصدرى وجعل اسما للكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ، من باب إطلاق المصدر على مفعوله . وإلى هذا ذهب الحلياني^(١) ومن تابعه . وعلى هذا فلفظ « قرآن » مهموز . فإذا حذف همزه فإنما ذلك للتخفيف . وإذا دخلته « أل » - القرآن - فإنما هي إشارة إلى الأصل ، إذ أن كلمة قرآن أو القرآن

(١) تناول العرفان في علوم القرآن لفضيلة الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني

غنية عن التعريف فلا يتوهم أن « قرآن » نكرة مشاعة كرجل . بل إذا ذكر قرآن فلا ينصرف اللفظ إلى غيره إذ لا قرآن غيره .. ولعل هذا المعنى هو الذى جعل الشافعى يقول : إن لفظ القرآن علم على الكتاب الذى نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا له وجاهته إلا أن القول بمراده يكون القرآن لفظاً جامداً مما يخالف ظاهر اللفظ كما هو واضح من الآيتين المذكورتين من سورة القيامة .

والقول الأول بالاشتقاق من القراءة هو الأقرب إلى قواعد الاشتقاق العربى فقول : إنه مشتق من قرأ بمعنى تلا وقيل : إنه مشتق من قرأ بمعنى جمع ، ومنه قرى الماء فى الحوض إذا جمعه . والقرآن الكريم قد جمع الأحكام والأخبار والعظات بل جمع المقاصد المرادة لله فى وحيه السابق إلى الأنبياء صلى الله عليهم جميعاً ووجه الخاتم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين .

التعريف الشرعى :

هو الكلام المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم باللغة العربية المعجزة المؤيدة له ، المتحدى به العرب ، المتعبد بتلاوته ، المنقول إلينا بالتواتر .

فالكلام المنزل باللغة العربية شرط يخرج به الكتب السماوية السابقة لأنها بلغة غير عربية . ويؤيد هذا قوله تعالى :
« وإنه لتنزىل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين » (١) .

(١) الآيات رقم ١٩٢ إلى ١٩٥ من سورة الشعراء .

المعجزة المؤيدة له صلى الله عليه وسلم : شرط يخرج الحديث القدسي والنبوي ، وأقوال الصحابة ، وكلام الملائكة والجن ، وكذلك كلام الحكماء والعلماء والفلاسفة والشعراء ، وأتباع الرسل وتلاميذهم . ويخرج به كلام مدعى النبوة ، ومن يقومون بأعمال خارقة كالسحرة ومن شابههم . وذلك لأن الكلام في كل هذه الأصناف غير معجز . أما كونه مؤيداً للرسول صلى الله عليه وسلم فإن القرآن والرسول قد لقيا من التعنت والعناد ما فاق الوصف ، وستمند العصور وفي كل جيل يظهر من يريد النيل منهما ، وستمند الأزمان حتى تقوم الساعة ، والقرآن باقٍ بحمى نفسه ويتحدى من يتحداه . ويدافع عن الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤيد هذا قوله تعالى : « قل لئن اجتمعت الإنس والجنس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً »^(١) . وقال جل شأنه : « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً »^(٢) هذا وقد مرت الآيات الدالة على التحدى والتأييد فلا داعى لتكرارها .

المتعبد بتلاوته والمنقول إلينا بالتواتر : يخرج به ما عدا القرآن من أنواع الكلام ، كما أن عبادة الصلاة لا تصح إلا به . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب »^(٣)

(١) الآية ٨٨ من سورة الإسراء .

(٢) الآية ٨٢ من سورة النساء .

(٣) صحيح مسلم كتاب الصلاة (باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة)

الأحاديث ٣٢ إلى ٣٧ ص ٢٤ وما بعدها ، طبعة الشعب بالقاهرة .

هذا وقد أجمع أصحاب المذاهب على أنه لا يصح قراءة غير القرآن في الصلاة . سواء الفاتحة أو غيرها من القرآن الكريم فالمسكية لا يصح عندهم إلا القراءة بالفاتحة =

أو قدرها من القرآن ما تيسر منه . ولا يصح أن يقرأ غير القرآن
في الصلاة ،

التعريف الاصطلاحي :

إن القرآن الكريم من كلام الله تعالى . والكلام صفة لله عز وجل
صرح بها القرآن الكريم في قوله جل شأنه : « وكلم الله موسى
تكليماً » (١) . وقال تعالى : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض
منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات » (٢) فالكلام لله صفة أزلية
قائمة بذاته تعالى منافية للسكوت ، هو بها أمرناه ونهيناه وغير ذلك .
إلا أن كلام الله يختلف عن كلامنا . إذ ليس بصوت ولا حروف
ولا نبرات ولا بأى كيفية نعلمها ، كما أن كلامه سبحانه لا يتصور فيه
ما يتصور في مخاطبات الخلق بعضها مع بعض .

وعلماء الكلام يقسمون كلام الله إلى ذاتي وغير ذاتي ، فالذاتي
هو الكلام القائم بذاته ، وغير الذاتي هو نطق جبريل به إلى الأنبياء ،
ونطق الأنبياء إلى الأمم . وكذلك المكتوب على الورق . . وإنه لمن لطف
الله ورحمته أنه سبحانه قد أنزل الوحي بكلامه بواسطة الحروف

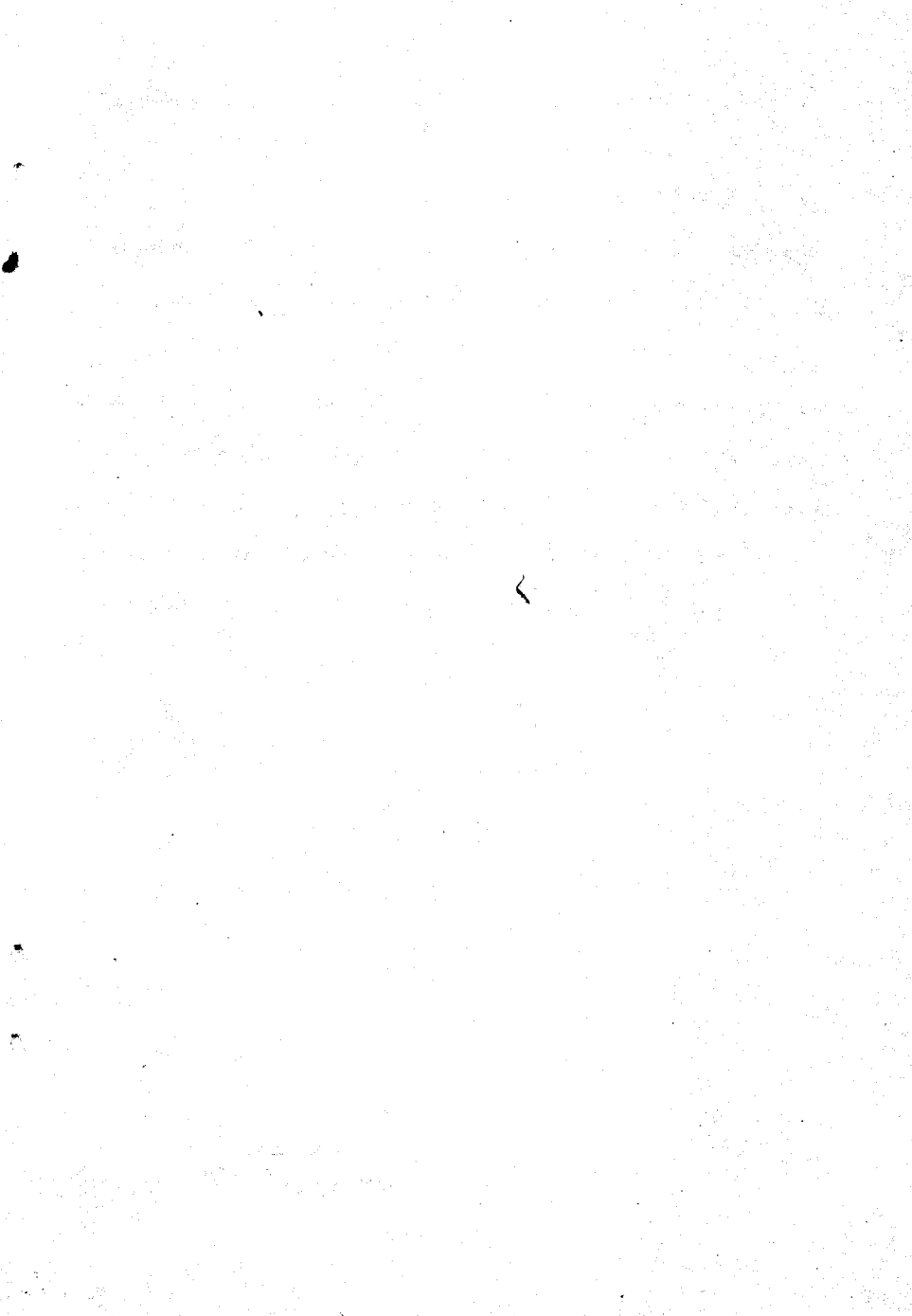
= متسكين بهذا الحديث حتى أنهم قالوا إذا عجز عن الفاتحة وجب عليه تلمها فإن
عجز وجب عليه الانتفاء بمن يحسنها فإن لم يجد ندب أن يفصل بين تكبيره وركوعه
ويندب له أن يكون الفصل بذكر الله تعالى . أما الشافية والحائلة والأحساف
فقالوا إذا لم يحسن الفاتحة فيجوز له أن يقرأ بدلها ما يساويها من آيات القرآن أو
بتكرار ما حفظه حتى يساويها فإن عجز بأن لم يحفظ شيئاً ولم يمكنه الحفظ وجب عليه
الذكر أو السكوت بقدر الفاتحة .

(١) الآية ١٦٤ من سورة النساء .

(٢) الآية ٢٥٣ من سورة البقرة .

التي تنطقها كل أمة بلسانها ، فأما الذي بالعربية فقرآن ، وأما الذي
بغيرها فتوراة أو إنجيل ، أو زبور ، أو مصحف إبراهيم . ولا ينقص
كلام الله شيئاً كوننا ننطقه بألسنتنا ، أو نكتبه بأيدينا ، بل هو
كل اللطف والرحمة من الله اللطيف ، الرحيم الخبير . « ولقد يسرنا
القرآن للذكر فهل من مدكر »^(١) بل إن ألسنتنا وأيدينا ومدادنا
وورقنا لتشرف ونسمو بنطق وكتابة كلام الله فيجب لها التقديس
والاحترام.. إلا أن هذا التقديس لا يبلغ مبلغ صفة كلام الله من حيث
القدم والقيام بالذات العلية . ألا ترى أن هذا القرآن المكتوب لو محى
من الورق فهل يبقى اسم المصحف له ..؟ أم نقول : إنه ورق أبيض
فيجوز عليه ما كان ممنوعاً منه ، ولكنه القرآن في ذاته فله التقديس
وبه التعبد وفيه القدم والأزلية سواء في الصدور أو في السطور .

(١) الآية ٤٠ من سورة القمر .



الفصل الثاني أَسْمَاءُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

إذا كنا بصدد التعريف بالقرآن فإن من تمام الفائدة ، التعريف بأسمائه وهذه بعضها :

الكتاب : قال تعالى : « ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » (١) ففي تسميته بالكتاب إشارة لجمعه في السطور ، ففيه جمع للسور والآيات . كما أن تسميته بالقرآن إشارة لجمعه وحفظه في الصدور لأنه مصدر للقراءة . وفي القراءة استذكار . وكما أن في التسميتين تنبيهاً إلى مقامه ، وما قدر له من الحفظ من عبث العابثين ، ودحض افتراء الكاذبين المكذبين ، الأمر الذي جعل القرآن خالصاً من الزيف والتحريف ، فنقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم محفوظاً في الصدور والسطور ، فتوافقت كتابته مع تواتر إسناده ؛ فاجتمع إسناده المتواتر مع نقله كتابة بتواتر أيضاً .

الفرقان : قال جل شأنه : « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً » (٢) فكلمة الفرقان تفيده معنى التفرقة وفيه إشارة إلى تفرقه بين الحق والباطل ، والحلال والحرام ، والهدى والضلال .. وبالجملة فرق بين كل متضادين .

الذكر : قال تعالى : « وهذا ذكر مبارك أنزلناه » (٣) ومعناه الوعظ والشرف .. قال تعالى : « لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم » (٤) أى فيه موعظة لَكُمْ وفيه شرفكم .

(١) الآية أول سورة البقرة .

(٢) أول سورة الفرقان .

(٣) الآية رقم ٥٠ من سورة الأنبياء .

(٤) الآية رقم ١٠ من سورة الأنبياء .

التنزيل : قال تعالى : « وإنه لتنزيل رب العالمين » (١) .
الكلام : قال تعالى : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره
حتى يسمع كلام الله » (٢) .

الحديث : قال تعالى : « الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً
مثاني » (٣) .

الموعظة : قال تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ
رَبِّكُمْ » (٤) .

النور : قال تعالى : « وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا » (٥) .

العلي : قال تعالى : « وَإِنَّ فِي أُمِّ السُّكَّاتِ لَدِينًا لَعَلَىٰ حَكِيمٍ » (٦) .

الصراط : قال تعالى : « وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ » (٧) .

الروح : قال تعالى : « وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا » (٨) .

الوحي : قال تعالى : « إِنَّمَا أَنْزَلْنَاهُ بِالْوَحْيِ » (٩) .

ومن الصفات : المجيد : قال تعالى : « ق . وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ » (١٠) .

العزیز : قال تعالى : « وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ » (١١) .

هذا ومن أراد المزيد من الأسماء والصفات فعليه بكتاب « الإتيان
في علوم القرآن » للسيوطي .

(١) الآية رقم ١٩٢ من سورة الشعراء .

(٢) الآية رقم ٦ من سورة التوبة .

(٣) الآية رقم ٢٣ من سورة الزمر .

(٤) الآية رقم ٥٧ من سورة يونس .

(٥) الآية رقم ١٧٤ من سورة النساء .

(٦) الآية رقم ٤ من سورة الزخرف .

(٧) الآية رقم ١٥٣ من سورة الأنعام .

(٨) الآية رقم ٥٢ من سورة الشورى .

(٩) الآية رقم ٤٥ من سورة الأنبياء .

(١٠) الآية رقم ١ من سورة ق .

(١١) الآية رقم ٤١ من سورة فصلت .

الفصل الثالث

توضيح لكلمة مصحف

الكلام عن أسماء القرآن وصفاته يجرنا إلى توضيح التسمية بالمصحف .

فهذه الكلمة تطلق على القرآن المكتوب في الورق بين دفتين (غلاف) أما كلمة القرآن فتطلق عليه كلا أو بعضاً حتى ولو كان هذا البعض آية أو بعض آية فتقول : كلمة قرآن ، وآية قرآن ، وسورة قرآن ، وجزء قرآن ولا تقول : كلمة أو آية . . مصحف .

وإذا قرئ القرآن شفويّاً عن ظهر قلب أو من المصحف ، وسئل القارئ عما يقرأ فإنه يقول : قرآنا . وكذلك الشأن في التعليم أو الاستماع فإننا نتعلم أو نسمع القرآن ولا نقول : المصحف . وفي حديث البخاري عن عثمان بن عفان رضي الله عنه : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » .

ومن هنا نعرف أن المصحف لا يطلق إلا على الكلام المكتوب المجموع بين دفتين الذي أوله فاتحة الكتاب وآخره « قل أعوذ برب الناس » . . إلى قوله تعالى . . « من الجنة والناس » .

والأصل المشهور في ضبط الكلمة : « ضم الميم وسكون الصاد وفتح الحاء المهملة » ومن العرب وعلماء النحو من يكسر الميم فيقول : « مصحف » .

ولكن من أين جاءت هذه التسمية التي لم ترد في آيات القرآن مثل الأسماء والصفات التي سبق بيانها ؟

هناك روايتان إحداهما عن المظفرى فى تاريخه، وثانيهما عن ابن أشته فى كتاب المصاحف لابن أبى داود السجستاني .. فرواية المظفرى نقلها الإمام الزركشى فى كتاب « البرهان فى علوم القرآن » فقال : « حكى المظفرى فى تاريخه قال : لما جمع أبو بكر القرآن قال : سموه .. فقال بعضهم : إنجيلا .. فكرهوه ، وقال بعضهم : السفر .. فكرهوه من يهود .. فقال عبد الله بن مسعود : رأيت بالحبيشة كتاباً يدعونه المصحف .. فسموه به .. وهذه الرواية ذكرها الزركشى تحت عنوان (فائدة) (١) .

وذكرها الإمام السيوطى فى كتاب « الإتيقان فى علوم القرآن » (٢) ومعهما رواية ابن أشته التى فى كتاب المصاحف من طريق موسى ابن عقبة عن ابن شهاب قال : « لما جمعوا القرآن فكتبوه فى الورق قال أبو بكر : التمسوا له اسما . فقال بعضهم : السفر ، وقال بعضهم : المصحف . فان الحبيشة يسمونه المصحف . وكان أبو بكر أول من جمع القرآن وسماه المصحف » . قال السيوطى : « ثم أورده - أى ابن أشته - من طريق آخر عن ابن بريده » :

أما علماؤنا المعاصرون ففهم الدكتور « صبحى الصالح » (٣) فقال : « ويبدو أن تسمية القرآن بالمصحف نشأت على عهد أبى بكر » ثم استشهد برواية ابن أشته نقلا عن السيوطى فى الإتيقان .

(١) العنونة بـ (فائدة) فيها إشارة إلى أنها ليست من صلب الموضوع وإلا نوقشت سنداً ومتناً . وإنما ذكرها العلماء فى كتبهم كحنية لموضوعهم ، أو كعلومة يقدمونها لقراءتهم .

(٢) جـ ١ ص ٥١ أيضا تحت عنوان (فائدة) .

(٣) فى كتابه مباحث فى علوم القرآن ص ٧٧ .

ومنهم الأستاذ لبيب السعيد^(١) فقد ذكر روايتي المظفرى وابن
أشته حيث يقول بعدهما : « على أن هسذا اللفظ ، وإن يكن
- حسب هذه الرواية - معرباً عن الحبشية ، كان - منذ ما قبل
الرواية - مما استعمل العرب . . يقول امرؤ القيس فى إحدى
قصائده :

أت حجاج بعدى عليها فأصبحت كخط زبور فى مصاحف رهبان
ثم تناولها بالتعليق فى ذيل الصفحة^(٢) فقال : « الكلمة
الحبشية Mashaf وهى فى رأى بعض الباحثين دخلت العربية
مع اصطلاحات دينية أخرى مثل (الحوارين . المنافق . المشكاة)
وما إليها . ومما يستدل به على حبشية هذا اللفظ أنه ليس فى العربية
فعل ثلاثى من مادة « صحف » يمكن أن تشتق منه كلمة « المصحف »
بينما فى الحبشة يستعملون الفعل « صحف » بمعنى « كتب » . ولى
تعليق على هذا :

أولاً : إن اللغة العربية ليست فقيرة ، بل هى غنية وخاصة فيما
يتصل بالكتابة والقراءة . وإذا كان الفعل « صحف » بمعنى « كتب »
فى الحبشية . فإن « كتب » بالعربية تنص على الكتابة .

وإن الفعل « صحف »^(٣) يشتق منه الصحيفة التى يكتب فيها ،
وجمعها صحائف وصحف وفى التنزيل قوله تعالى :^(٤) « إن هذا لى

(١) فى كتابه الجمع الصوق الأول - أو المصحف المرتل ص ٨٣ .

(٢) الصفحة رقم ٨٤ من نفس المصدر .

(٣) أنظر لسان العرب لابن منظور ج ١١ ص ٨٧ ، ٨٨ طبعة الدار المصرية

للتأليف والترجمة بالقاهرة .

(٤) سورة الأعلى (سبح اسم ربك الأعلى) .

الصحف الأولى . صحف إبراهيم وموسى « وقوله تعالى : « في صحف مكرمة » (١) وقوله تعالى : « رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة » (٢) .

وهنا يقول ابن منظور في لسان العرب : « والمصحف والمصحف . الجامع للمصحف المكتوبة بين الدفتين كأنه أصحف - ثم قال : قال الأزهرى وإنما سمي المصحف مصحفاً لأنه أحصف أى جعل جامعاً للمصحف المكتوبة بين الدفتين - ثم قال - : عن الفراء وقوله مصحف من أحصف أى جمعت فيه الصحف » ثم ضرب ابن منظور الأمثلة فقال : وقالوا : في المغزل مغزلاً... والأصل مغزل من أعزل « وأستطيع القول بأن مصحف اسم مفعول أى وقع عليه الإصحاف وهو جمع الصحف فيه . وهذا ما حدث من أبي بكر الصديق رضى الله عنه حيث إنه جمع الصحف التي كانت مكتوبة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في الخفاف (٣) والعصب والأكتاف والرقاع في مصحف واحد .

إذن الكلمة عربية أصيلة بدليل أنها استعملت في الجاهلية قبل الإسلام في قصيدة لامرئ القيس مما أورده الأستاذ ليبب السعيد فيا مضي ، ومصحف التي يزعمونها حبشية لم يقم الدليل القطعي على كونها حبشية وكونها عندهم كان سبباً في التباس الأمر على من يزعم هذا .

(١) سورة عبس آية : ١٣ .

(٢) سورة البينة آية : ٢ .

• يضم الميم وكسرها .

(٣) الخفاف مفردة لخفة وهي حجارة رقيقة جداً . والعصب مفردة عسبية وهو سف النخل ، والأكتاف مفردة كفف عظم عريض في أصل كفف الحيوان . الإنسان .

ولم لا تكون هذه الكلمة في الحبشية منقولة عن العربية ، والدليل على
عربيتها قائم من اشتقاقها ، وورودها على لسان شعراء العرب .
وسياتى إن شاء الله ذكرها في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، فهي
إذن ليست مستوردة من الحبشة ، وقد علمنا مما سبق أن الفعل مصحف
يشتق منه صحيفة ومصحف . ثم يزداد الفعل الثلاثى بهزة التعديدية ليكون
أصحف .. فتقول مثلاً أحصح أبو بكر الصحائف أى جمعها فكانت
مصحفاً باعتبار الفعل الثلاثى المزيد بهزة التعديدية .

ثم ننتقل إلى الأحاديث التى وردت فيها كلمة المصحف .
ثانياً : إن تسمية القرآن بالمصحف واردة عن النبي صلى الله
عليه وسلم فى عدة أحاديث :

(١) فى سنن ابن ماجة^(١) قال : حدثنا محمد بن يحيى حدثنا محمد
ابن وهب بن عطية حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا مرزوق بن أبى
الهديل حدثنى الزهرى حدثنى أبو عبد الله الأغر عن أبى هريرة
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن مما يلحق المؤمن
من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره ، وولداً صالحاً
تركه ، أو مصحفاً ورثه ، أو مسجداً بناه ، أو بيتاً لابن السبيل
بناه ، أو نهراً أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته
تلحقه من بعد موته » .

والإمام السندي^(٢) فى حاشيته على سنن ابن ماجة قال : « فهذا
الحديث كالتفصيل لحديث : (إذا مات ابن آدم انقطع عمله

(١) ج ١ ص ٥٤ باب ثواب معلم الناس الخير وابن ماجة هو : محمد بن يزيد
أبى عبد الله بن ماجة القزوينى .

(٢) السندي هو الإمام أبو الحسن محمد بن عبد الهادى الحنفى زليل المدينة
المنورة المتوفى سنة ١١٣٨ هـ .

إلا من ثلاث . . .) ثم قال السندی : وفي الزوائد : إسناده غريب ومرزوق مختلف فيه وقد رواه ابن خزيمة في صحيحه عن محمد بن يحيى الذهلي به .

وهذا يكون الحديث صحيح المعنى إذ كل أمر منه له شاهد من أحاديث أخر . وإذا كانت رواية ابن ماجه في إسناده غرابه ، فهذه الغرابه تزول بموافقة متن الحديث لآخر متفق عليه وهو بالنسبة له كالتفصيل للمجمل كما قال الإمام السندی ، وبرواية ابن خزيمة التي من طريق محمد بن يحيى الذهلي .

وقال الإمام المناوي في كتاب : فيض القدير (١) : « رواه ابن ماجه ، والبيهقي عن أبي هريرة ، ورواه أيضاً ابن خزيمة لكنه قال : أو نهراً أجراه - وقال يعنى حفره - ولم يذكر المصحف » .

(ب) حديث ثان ذكره القرطبي عند تفسيره الآية « في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه » (٢) عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا زخرتم مساجدكم وحلتم مصاحفكم فالدبار عليكم » رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٣) إلا أنه قال : « فالدمار عليكم » والدبار والدمار لفظان مترادفان بمعنى الهلاك .

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير : الحديث رقم ٢٤٩٧ ج ٢ ص ٥٤٠ .

(٢) الآية ٣٦ من سورة النور .

(٣) الأصل ٢٥٣ ص ٣٣٤ وقد أخرجه الإمام المناوي في كتاب فيض القدير

شرح الجامع الصغير ج ١ ص ٣٦٦ فقال رواه ابن المبارك في الزهد عن أبي الدرداء بإسناد ضعيف .

(ج) حديث ثالث : ذكره المناوى^(١) عن أبي هريرة رضى الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الغرباء في الدنيا أربعة : قرآن في جوف ظالم ، ومسجد في نادى قوم لا يصلح فيه ، ومصحف في بيت لا يقرأ فيه ، ورجل صالح مع قوم سوء » .

(د) حديث رابع ذكره المناوى^(٢) عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أعطوا أعينكم حظها من العبادة » قالوا يا رسول الله وما حظها منها ؟ قال : « النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه » .

(هـ) حديث خامس : ذكره الزركشى في البرهان^(٣) قال : روى

(١) حديث الغرباء : في الدنيا أربعة أخرجه المناوى جـ ٣ ص ٤٠٩ فقال : رواه الديلمى في مسند الفردوس وكذا عن أبي هريرة وفيه عبد الله بن هارون الصورى قال الذهبى في الذيل : « لا يعرف » .

(٢) حديث : أعطوا أعينكم حظها . . أخرجه المناوى جـ ١ ص ٥٦١ الحديث ١١٦١ فقال رواه الحكيم الترمذى في النوادر والبيهقى في شعب الإيمان عن أبي سعيد الخدرى . ثم قال : « وظاهر صنيع المؤلف أن البيهقى أخرجه وأقره والأمر بخلافه بل قالوا سنده ضعيف » أ . هـ . فيض .

والحديث ذكره القرطبى في مقدمة تفسيره عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدرى .

(٣) البرهان جـ ١ ص ٤٦٢ وفى جميع الزوائد للمافظ نور الدين على بن أبي بكر الهيثمى جـ ٧ ص ١٦٥ بدون حرف الجر إلى (بعد كلمة ذلك - قال رواه الطبرانى وفيه أبو سعيد بن عون وثقة ابن معبد فى رواية وضمفه فى أخرى وبقية رجاله ثقات . وقد ذكر الأستاذ لييب السعيد فى كتابه الجمع الصوق الأول ص ٨٣ ، ٨٤ حديثاً للإمام مسلم : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسافر بالمصاحف إلى أرض العدو مخافة أن ينالوها . وهذا خطأ وصحته (كما فى صحيح مسلم بشرح النووى فى المجلد الرابع ص ٥٣٣ طبعة الشعب بالقاهرة كتاب الجهاد - باب النهى أن يسافر بالمصاحف إلى أرض الكفار) نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله . بلفظ القرآن وليس المصاحف .

الطبراني من حديث أبي سعيد بن عون المكي عن عثمان بن عبيد الله بن أوس الثقفي عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قراءة الرجل في غير المصحف ألف درجة ، وقراءته في المصحف تضاعف على ذلك إلى ألفي درجة » .

ثم قال : « وأبو سعيد قال فيه ابن معين : لا بأس به » .

وقال روى البيهقي في شعب الإيمان من طريقين عن عثمان بن عبد الله بن أوس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ القرآن في المصحف كانت له ألفا حسنة ، ومن قرأه في غير المصحف - فأظنه قال - كألف حسنة » وفي الطريق الأخرى قال : « درجة » وجزم بألف إذا لم يقرأ في المصحف » أ . هـ كلام الزركشي .

بعد الذي قررته من الأقوال والأدلة أقول وبالله التوفيق :

إن تسمية القرآن المكتوب المجموع بين دفتين بالمصحف قد وردت في أحاديث للنبي صلى الله عليه وسلم ، وأما روايتنا المظفرى وابن أشته فهما أثر عن عبد الله بن مسعود وهو صحابى . وأما رواية ابن ماجه لحديث : « إن مما يلحق المؤمن . . . » فصحيحة المعنى لأن كل مقطع منه له شاهد من أحاديث صحيحة كما قال السندى في حاشيته على سنن ابن ماجه . . هذا الحديث كالتفصيل لحديث : (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث . . .)

وكذلك رواية الطبراني لحديث : (قراءة الرجل في غير المصحف . . .) صحيحة كما قال الإمام الهيثمى في مجمع الزوائد بأن رجاله ثقات . وإذا كان فيه أبو سعيد بن عون المكي فقال فيه ابن معين « لا بأس به » كما ذكره الزركشى .

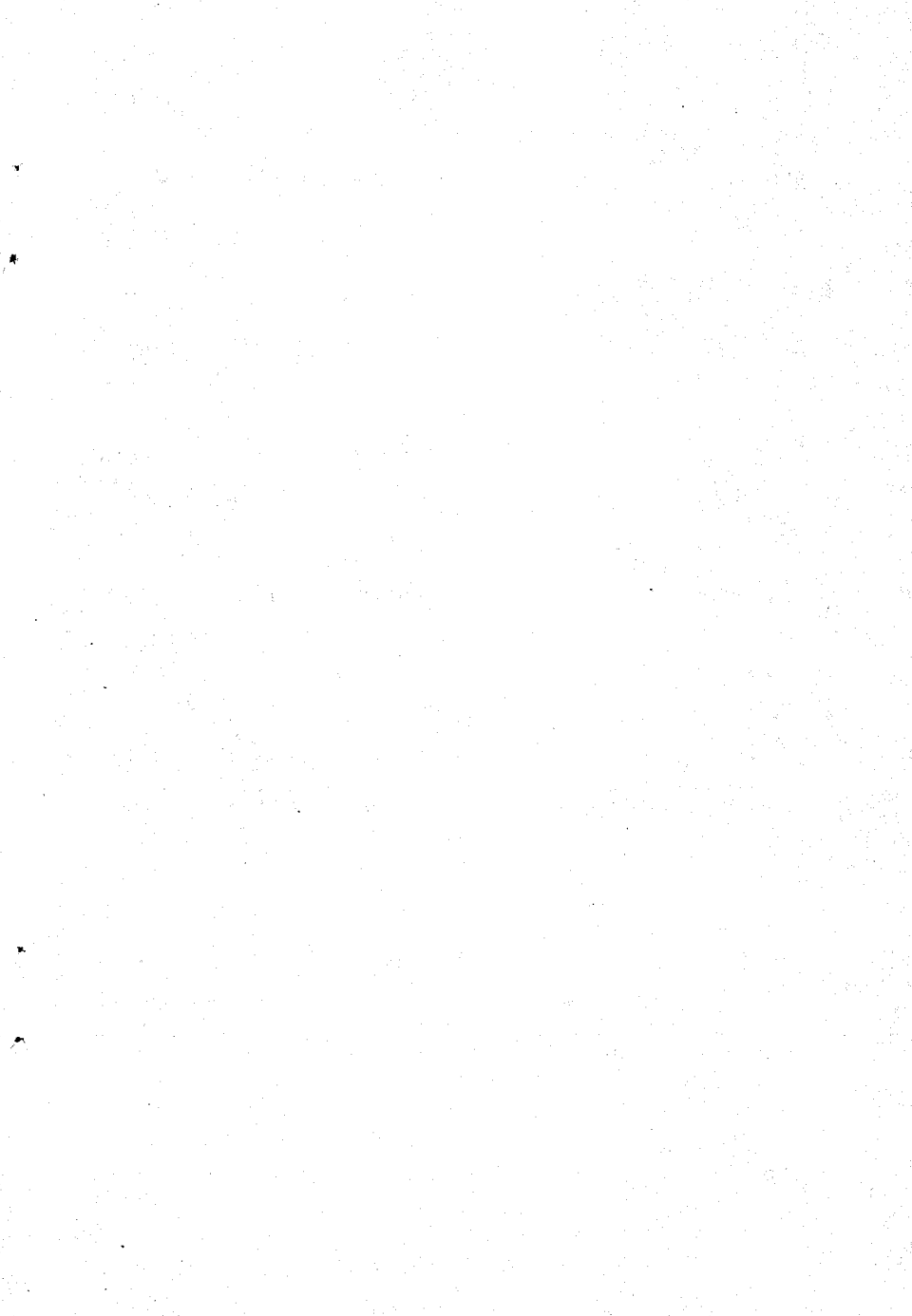
هاتان الروايتان الصحيحتان تثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذى نطق باسم المصحف علماً على القرآن المجموع فى كتاب . وبصرف النظر عن بقية الروايات عن الحكيم الرمذى فى النوادر والمناوى فى فيض القدير .

فالأثر المروى عن عبد الله بن مسعود للمظفرى وابن أشته لا يقوى دليلاً - وإن صح - أمام الحديثين الصحيحين عن الرسول صلى الله عليه وسلم . . فإن صح هذا وذلك أخذ بالحديث وترك الأثر .

وبهذا قد تبين أن كلمة المصحف كلمة عربية باستعمالها فى شعر الجاهلية وفى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وليست منقولة عن الحبشية . . وأكرر ما قلته سابقاً: « لم لا تكون هذه الكلمة فى الحبشية منقولة عن العربية ، كما أشار بذلك فضيلة المحقق الكبير الشيخ محمد نجيب المطيعى أثناء مراجعة هذا الكتاب ؟

وبهذا كله قد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى أطلق على القرآن المكتوب اسم المصحف وليس كما يدعى المظفرى وابن أشته فى رواية ابن أبى داود التى ذكرها السيوطى فى الإتيان .





الفصل الرابع أقسامُ كلامِ الله تعالى

يقول الإمام جمال الدين القاسمي (١) : اعلم أن الكلام المضاف إلى الله تعالى أقسام ثلاثة :

أولها : وهو أعلاها « القرآن » تميزه عن البقية بأعجازه من أوجه كثيرة .. منها كونه معجزة باقية على مر الدهر ، محفوظة من التغيير والتبديل ، ونحرم تلاوته لنحو الحنب ، وعدم روايته بالمعنى ، وتعيينه في الصلاة ، وتسميته قرآناً ، والجملة منه آية وسورة . وبأن كل حرف منه بعشر حسنات .

ثانيها : كتب الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام . . وهي ما أوحى الله بها إليهم دون ما لحق بها من زيادة أو نقصان أو تغيير .

ثالثها : الأحاديث القدسية والنبوية . . وهي ما نقلت إلينا بالتواتر والآحاد عن النبي صلى الله عليه وسلم مع إسناده للحديث القدسي إلى الله عز وجل .. فهي من كلامه سبحانه وتعالى فتنسب إليه نسبة إنشاء لأنه المتكلم بها أولاً ، وتنسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم نسبة إخبار لأنه المخبر بها عن الله جل شأنه « أ . هـ بتصرف .

من هذا التقسيم نستطيع أن نميز بين القرآن والحديث القدسي والنبوي .

فالقرآن لفظه ومعناه من عند الله بوحى جلي .. أي أن جبريل عليه السلام كان ينزل بشئ من القرآن فيظهر لرسول الله صلى الله

(١) في كتابه قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث .

عليه وسلم ظهوراً بيناً . إما مخلقته وهيبته الملائكية ، التي خلقه الله عليها . وإما في صورة بشرية ، كما ثبت أنه كان يظهر بصورة الصحابي الجليل « دحية الكلبي » ، أو بصورة رجل غير معروف للحاضرين في مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم كما روى مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر . ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه (١) ووضع كفيه على فخذيه قال : يا محمد أخبرني عن الإسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن تشهد أن لا إله إلا الله . . الحديث » إلى أن قال عمر : ثم انطلق فلبثت ملياً ثم قال لى يا عمر أتدرى من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم .. قال : « فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » .

وكون القرآن بوحى جلى ولفظه ومعناه من عند الله يترتب على ذلك تحريم روايته بالمعنى .

ومن خصائص القرآن تنزله باللغة العربية فلا يقرأ بغيرها وسيأتى في الكلام عن الترجمة الحكيمة من ذلك .

ومن خصائصه : أنه تناول العقيدة والهداية وكل جوانب التشريع المنظم لحياة البشر والحاكم لها .

(١) أى أن جبريل عليه السلام أسند ركبتيه إلى ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم ، ليزداد منه قرباً كما يقترب التلميذ من أستاذه ، وأن جبريل وضع كفيه على فخذى نفسه وهى جلسة المتعلم المتأدب فى حضرة أستاذه .. هكذا قال الإمام النووى والحديث رقم ١ من كتاب « الإيمان » المجلد الأول .

وأما الحديث القدسي : فلفظه من عند الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومعناه من الله . . بمعنى أن الله عز وجل أوحى المعنى المراد له سبحانه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأمره بتبليغه بعبارة نفسه إلى الناس . والوحي في الحديث القدسي وكذلك النبوي يكون إلهاماً بالنفث في روعه صلى الله عليه وسلم أو مناماً بالرؤيا ، ورؤياً الأنبياء وحي صادق . . فالحديث القدسي والنبوي هو الوحي المروى ، والقرآن هو الوحي المتلو . . ومن خصائص الأحاديث بنوعها أن ألفاظها غير معجزة ، ولا يتعبد بها ، وتجوز روايتها بالمعنى ، ولا تحرم قراءتها من الحنب ونحوه بل تكره فقط . . ومن الأحاديث ما جاء بالتواتر أو الأحاد . أما القرآن فكل كلمة بل حرف فيه جاء متواتراً بالغا الحد الأعلى منه ، وهو نقل أمة عن أمة حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم . أما السنة بنوعها فمنها ما يكون متواتراً ، وتواترها قد يكون بالحد الأدنى منه ، ومنها ما يكون بالأحاد . والحديث النبوي لفظه ومعناه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما الكتب السماوية السابقة فتجتمع مع القرآن في كونها وحيّاً جلياً بواسطة جبريل إلى الأنبياء عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه ، وتفترق عنه في أمور منها : أنها ليست باللغة العربية . وأن اللاحق ينسخ السابق .

ومنها أن كل كتاب منها جاء مشتملاً على بعض الفضائل وأمر من الخير ، وجانب من التشريع .

ومنها عدم إثباتها عن واحد من رسلها بإسناد تاريخي بطريق التواتر ، واختلطت آياتها بتعاليم الرسل وتلامذتهم .

« إشارة لطيفة »

وهذه الإشارة من فيوضات الله على قلوب سلفنا الصالح ،
أثبتها التضفى على هذا الموضوع معنى جميلا ، وتضىء جوانبه بنورانيات
من أنوار الروح الصافية . وهى عبارة عن حوار بين الشيخ أحمد بن
المبارك فى « كتاب الإبريز » وبين أستاذه عبد العزيز الدباغ . أستاذ
القارى فى إثباتها لمسا فيها من فائدة جليلة تشير إلى الفرق بين القرآن
والحديث القدسى والحديث النبوى (١) .

يلقى الشيخ عبد العزيز درسه فيقول :

« الفرق بين هذه الثلاثة وإن كانت كلها خرجت من بين
شفتيه صلى الله عليه وسلم - وكلها معها أنوار من أنواره عليه
الصلاة والسلام - أن النور الذى فى القرآن قديم من ذات الحق
سبحانه وتعالى لأن كلامه جل شأنه قديم .

والنور الذى فى الحديث القدسى من روحه صلى الله عليه وسلم ،
وليس هو مثل نور القرآن .. فإن نور القرآن الكريم قديم ، ونور هذا
ليس كذلك . والنور الذى فى الحديث النبوى من ذاته صلى الله عليه
وسلم .. فهى أنوار ثلاثة اختلفت بالإضافة :

١ - نور القرآن من ذات الحق سبحانه .

٢ - ونور الحديث القدسى من روحه صلى الله عليه وسلم .

٣ - ونور الحديث النبوى من ذاته صلى الله عليه وسلم .

(١) هذه الإشارة ذكرها الإمام محمد جمال الدين القاسمى فى كتاب « قواعد
التحديث من فنون مصطلح الحديث » تحقيق وتعليق محمد بهجت البيطار عضو المجمع العلمى
العربى من ٦٦ . والقاسمى : هو محمد جمال الدين أبو الفرج بن محمد سعيد بن قاسم
ابن صالح بن اسماعيل بن أبى بكر المعروف بالقاسمى المتوفى سنة ١٢٣٢ .

فسأل الشيخ أحمد : « ما الفرق بين نور روحه ونور ذاته
صلى الله عليه وسلم . . . ؟ »

ج : الذات خلقت من تراب - ذات النبي صلى الله عليه وسلم -
ومن التراب خلق سائر العباد .

والروح من الملائكة الأعلى وهم أعرف بالخلق بالحق سبحانه .. وكل
واحد يحن إلى أصله فكان نور الروح متعلقاً بالحق عز وجل .. ونور
الذات (ذات النبي صلى الله عليه وسلم) متعلق بالخلق .

فلذا ترى الأحاديث القدسية تتعلق بالحق عز وجل ، بتبيين عظمته
أو إظهار رحمته أو التنبيه على سعة ملكه وكثرة عطائه . ونرى
الأحاديث النبوية تتكلم على ما يصلح البلاد والعباد بذكر الحرام
والحلال والحث على الامتثال بذكر الوعد والوعيد .

س : الحديث القدسي من كلام الله عز وجل أم لا . . ؟

ج : ليس هو من كلام الله ، وإنما هو من كلام النبي صلى الله
عليه وسلم .

س : فلم أضيف إلى الرب سبحانه وتعالى فقيل فيه حديث قدسي
وقيل فيه فيما يرويه عن ربه . . ؟ وإذا كان من كلامه عليه الصلاة
والسلام فأى رواية له فيه عن ربه ؟ وكيف نعمل مع هذه الضمائر
التي تعود على الله سبحانه وتعالى في قوله : « يا عبادى إني حرمت
الظلم على نفسى وجعلته محرماً بينكم » فإن هذا الضمير لا يليق إلا بالله
عز وجل . . فتكون الأحاديث القدسية من كلام الله تعالى وإن لم
تكن للاعجاز ولا لتعبدنا بها ؟ .

ج : إن الأنوار من الحق سبحانه وتعالى نهب على ذات النبي صلى الله عليه وسلم حتى تحصل له مشاهدة خاصة - وإن كان دائماً عليه السلام في المشاهدة - فإن سمع مع الأنوار كلام الحق سبحانه أو نزل عليه ملك فذلك هو القرآن ، وإن لم يسمع كلاماً ولم ينزل عليه ملك فذلك وقت الحديث القدسي فيتكلم عليه الصلاة والسلام ولا يتكلم حينئذ إلا في شأن الربوبية بتعظيمها وذكر حقوقها . ووجه إضافة هذا الكلام إلى الرب عز وجل أنه كان مع هذه المشاهدة التي اختلطت فيها الأمور حتى رجع الغيب شهوداً والباطن ظاهراً ، فأضيفت إلى الرب وقيل فيه حديث رباني ، وقيل فيه فيما يرويه عن ربه ، ووجه الضمائر أن كلامه عليه الصلاة والسلام خرج على حكاية لسان الحال التي شاهدها من ربه عز وجل .

وأما الحديث النبوي فإنه يخرج مع النور الساكن في ذاته عليه الصلاة والسلام الذي لا يغيب عنها أبداً .. وذلك أنه عز وجل أمد ذات النبي صلى الله عليه وسلم بأنوار الحق ، كما أمد جرم الشمس بالأنوار المحسوسة .. فالنور لازم للذات المحمدية لزوم نور الشمس لها .. ثم قال : إذا تكلم النبي صلى الله عليه وسلم وكان الكلام بغير اختيار فهو القرآن ، وإن كان باختياره فإن سطعت حينئذ أنوار عارضة فهو الحديث القدسي ، وإن كانت الأنوار الدائمة الساكنة في ذات النبي صلى الله عليه وسلم فهو الحديث النبوي .

ولأجل أن كلامه صلى الله عليه وسلم لا بد أن تكون معه أنوار الحق سبحانه كان جميع ما يتكلم به وحيا يوحى .. وباختلاف أحوال الأنوار افرق الكلام إلى الأقسام الثلاثة والله أعلم .

س : فقلت هذا كلام في غاية الحسن :: ولكن ما الدليل على أن الحديث القدسي ليس من كلام الله تعالى ؟ .

ج : كلامه تعالى لا يخفى .

س : بكشف . . . ؟

ج : بكشف وبغير كشف . وكل من له عقل وأنصت للقرآن ثم أنصت لغيره أدرك الفرق لا محالة .. والصحابة رضی الله عنهم أعقل الناس ، وما تركوا دين آبائهم إلا بما وضح من كلام الله تعالى . ولو لم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم إلا ما يشبه الأحاديث القدسية ما آمن من الناس أحد .. ولكن الذي ظلت له الأعناق خاضعة هو القرآن العزيز الذي هو كلام الله رب العالمين .

س : ومن أين لهم أنه كلام الله رب العالمين ، وهم كانوا على عبادة الأوثان ، ولم تسبق لهم معرفة الله عز وجل حتى يعلموا أنه كلامه ، وغاية ما أدركوه أنه كلام خارج عن طور البشر .. فلعله من عند الملائكة مثلاً . . ؟

ج : كل من استمع إلى القرآن وأجرى معانيه على قلبه علم علماً ضرورياً أنه كلام الرب سبحانه ، فإن العظمة التي فيه ، والسطوة التي عليه ، ليست إلا عظمة الربوبية ، وسطوة الألوهية .. والعامل الكيس إذا استمع لكلام سلطان الدولة الحادث ، ثم استمع لكلام رعيته . وجد لكلام السلطان نفساً به يعرف حتى أنا لو فرضناه أعمى وجاء إلى جماعة يتكلمون ، والسلطان مغمور فيهم ، وهم يتناوبون الكلام ، لميز كلام السلطان من غيره بحيث لا تدخله في ذلك ريبة .

هذا في كلام الحوادث مع بعضهم .. فكيف بكلام الله القديم ؟ .
وقد عرف الصحابة رضى الله عنهم من القرآن ربهم عز وجل ، وعرفوا
صفاته ، وما يستحق من ربوبيته ، وقام لهم سماع القرآن في إفادة العلم
القطعى به عز وجل مقام المعاينة والمشاهدة . والله تعالى أعلم أ . هـ

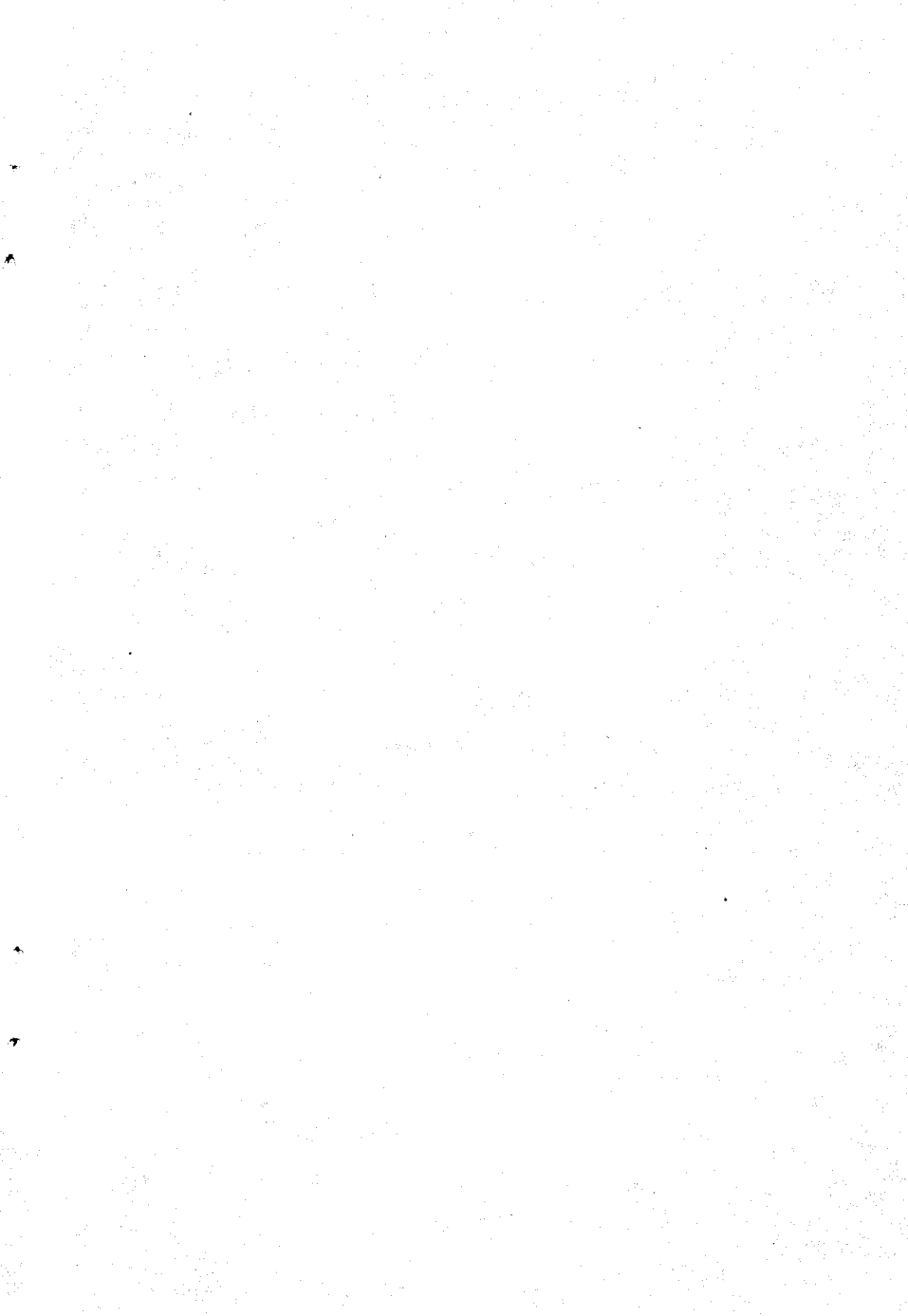


الباب الثاني كتاب الفرائز والحكامها

وفيه خمسة فصول :

- ١ - كتابة القرآن وجمعه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعثمان رضي الله عنهما .
- ٢ - اختلاف رسم الكلمات في المصحف والحكمة فيه .
- ٣ - هل رسم القرآن توقيفي أم اصطلاحى ؟
- ٤ - حكم ترجمة نص القرآن الكريم وأضرارها .
- ٥ - في أحكام : تصغير الخط إلى درجة عدم امكان القراءة - كتابته بالذهب أو بالفضة - كتابته على الجدران - تأوله إلى غير ما نزل له - كتابته فيما هو معرض للتلف - حكم تجزئة آياته وكتابتها في لوحات وبيعها .





الفصل الأول كتابة القرآن الكريم وجمعه

كتب القرآن الكريم ثلاث مرات وكل مرة تختلف عن الأخرى
في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعثمان

أما الأولى : فكانت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبين
يديه ونحت هيمته وإشرافه . . وكانت عبارة عن كتابة الآيات
وترتيبها . ووضعها في مكانها الخاص بها من السور ، وكذلك ترتيب
السور كما هو بين أيدينا الآن ، على القول الصحيح دون الدخول في
الخلافت . وكانت عناية الرسول صلى الله عليه وسلم بكتابة القرآن
فائقة ، فمنع أصحابه من كتابة شيء غير القرآن . . فروى الإمام مسلم
في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال : « لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن ، ومن كتب عني
غير القرآن فليمحاه ، وحدثوا عني ولا حرج ، ومن كذب على
متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .

وقد ذكر صاحب البرهان حديثاً عن ابن عباس قال : « كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه
السور ذات العدد . . فكان إذا نزل الشيء دعا بعض من كان يكتب

فيقول صلى الله عليه وسلم : « صعدوا هذه الآيات في السورة التي
بذكر فيها كذا وكذا » (١) .

وروى البخارى (٢) عن البراء لما نزلت : لا يستوى القاعدون
من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله « قال النبي صلى الله عليه وسلم
ادع لى زيدا وليجئ باللوح والدواة والكتف - أو الكتف والدواة -
ثم قال : اكتب « لا يستوى القاعدون » وخلف ظهر النبي صلى الله
عليه وسلم عبد الله بن أم مكتوم الأعمى . . قال يا رسول الله فما تأمرنى
فإني رجل ضريب البصر !؟ فنزلت مكانها : « لا يستوى القاعدون من
المؤمنين غير أولى الضرر » .

وفي رواية للإمام أحمد في مسنده (٣) : قال زيد : « فألحقها
فوالله لكأنى أنظر إلى ملحقتها عند صدع كان في الكتف » .

وهذه الكتابة كانت منثورة ومتفرقة في الخفاف ، والعسب
والأكتاف والرقاع . . أى أنه لم يكن مجموعاً بين دفتين كالمصاحف
التي بين أيدينا اليوم .

ومن المعلوم الثابت أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قوى
الحفظ ، وكذلك الصحابة رضوان الله عليهم . . فكان اعتمادهم الأول
على الحفظ في الصدور .

أما هذه الكتابة فكانت لزيادة التوثيق للقرآن الكريم .

(١) البرهان عن الترمذى قال هذا حديث حسن . وقال الحاكم صحيح على شرط
الشيخين ولم يخرجاه .

(٢) البخارى : كتاب التفسير باب فضائل القرآن باب كاتب النبي صلى الله
عليه وسلم : ٦ - ٢٢٧

(٣) رواية الإمام أحمد ذكرها ابن كثير في تفسيره لهذه الآية ٩٥ من سورة
النساء . ٢ - ٣٤٠

وأما الثانية : فكانت في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه .
وذلك حينما أشار عليه عمر بن الخطاب بجمع القرآن لما رأى نقص
الحفظلة بموتهم في معركة الجمامة . . فقد روى البخارى في صحيحه عن
زيد بن ثابت قال : « أرسل إلى أبو بكر في مقتل أهل الجمامة ، فإذا
عمر بن الخطاب عنده ، قال أبو بكر : إن عمر أتاني فقال : إن
القتل قد استحر يوم الجمامة بقراء القرآن ، وإنى أخشى أن يستحر القتل
بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإنى أرى أن تأمر بجمع
القرآن . . قلت لعمر : كيف نعمل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله
عليه وسلم ؟ قال عمر : هذا والله خير . . فلم يزل عمر يراجعني حتى
شرح الله صدري لذلك . ورأيت في ذلك الذي رأى عمر . . قال
زيد : قال أبو بكر إنك رجل شاب عاقل لا تهملك ، وقد كنت
تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم . . فتبعت القرآن
فاجمعه . . قال زيد : فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان
أثقل على مما أمرني به من جمع القرآن . . قلت : كيف تفعلون شيئاً لم
يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال هو والله خير . . فلم
يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر
أبي بكر وعمر . . فتبعت القرآن أجمعه من العسب والخفاف وصدور
الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصارى .
لم أجدها مع أحد غيره « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه
ما عنتم » حتى خاتمة براءة في سورتها فكانت الصحف عند أبي بكر
حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر (١) .
وقال الإمام السيوطي في الإتيقان : أخرج ابن أشته في المصاحف

(١) صحيح البخارى كتاب التفسير باب جمع القرآن : ٦ - ٢٢٥ ، ٢٢٦

عن الميث بن سعد قال : أول من جمع القرآن أبو بكر وكتبه زيد ابن ثابت . وكان الناس يأتون زيدا فكان لا يكتب آية إلا بشاهدي عدل ، وإن آخر سورة براءة لم توجد إلا مع أبي خزيمة بن ثابت الأنصاري فقال : اكتبوها فان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل شهادته بشهادة^(١) رجلين فكتب .

وهذا لا يتعارض مع كتابة القرآن بالتواتر .. فلا يقال إن أحسر سورة التوبة نقل بالخبر الواحد - وهو أبو خزيمة الأنصاري - وقد قال الدكتور صبحي الصالح : « إذ أن غرض زيد أنه لم يجدها مكتوبة إلا مع أبي خزيمة .. وقد كان ذلك كافياً لقبوله إياها ، لأن كثيرا من الصحابة كانوا يحفظونها ، ولأن زيدا نفسه كان يحفظها ولكنه أراد - ورعاً منه واحتياطاً - أن يشفع الحفظ بالكتابة »^(٢) .

وفي صحيح البخاري^(٣) قال ابن شهاب : وأخبرني خارجة بن زيد سمع زيد بن ثابت يقول : « فقدت آية من الأحزاب حين نسختها

(١) وسبب ذلك هو أن النبي صلى الله عليه وسلم اشترى فرسا من سداد بن الحارث فاستبغ ليقضيه من الفرس فأسرع النبي المشى وأبطأ البائع . فجعل رجال يمترضونه يساومونه في الفرس حتى زادوه ثمنه وهم لا يعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم اشتراه منه . فأنكر الأعرابي بيعة النبي صلى الله عليه وسلم . فشهد له خزيمة الأنصاري . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بم تشهد ولم تكن حاضرا ؟ » قال بتصديقك وأنت لا تقول إلا حقا فقال عليه الصلاة والسلام : « من شهد له خزيمة أو عليه فحسبه » .
وفي رواية : « فجعل شهادته بشهادة رجلين » رواه النسائي في أواخر كتاب البيوع وقال الإمام السندي في حاشيته على نسخة النسائي : « والمشهور أنه صلى الله عليه وسلم رد الفرس بعد ذلك لي لأعرابي فثبتت من ليكته عنده » . ذكر هذه الرواية الشيخ محمد طاهر المنكي في كتابه « تاريخ الفقهاء وخرائب رسمه وحكمه » ص ٥٩ .

(٢) في كتابه « مباحث في علوم القرآن » ص ٧٥ .

(٣) كتاب تفسير القرآن ، ١٤٦٤٩

المصاحف كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها لم
أجدها مع أحد إلا مع خزيمَةَ الأنصاري (من المؤمنين رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه) ^(١) فألحقناها في سورتها .. وخزيمَةَ الأنصاري
شهادته بشهادتين .

قال الزركشي في البرهان :

وقول زيد « لم أجدها إلا مع خزيمَةَ » ليس فيه إثبات القرآن
بغير الواحد لأن زيدا كان قد سمعها وعلم موضعها في سورة الأحزاب
بتعليم النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك غيره من الصحابة ثم نسبها ..
فلما سمع ذكره وتبعه للرجال كان للاستظهار لا لاستحداث العلم ^(٢) .

وفي الإتيان ^(٣) : أخرج ابن أبي داود من طريق هشام بن عروة
عن أبيه أن أبا بكر قال لعمر ولزيد « اقعدا على باب المسجد فن جاءكما
بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه » .

وفي آيتي التوبة والأحزاب شهادتهما الحفظ والكتابة حفظ
زيد لهما ، وكتابة خزيمَةَ إياهما .

وهذه المرة كانت عبارة عن نقل القرآن من صدور حفظته ،
ومن المكتوب على السبب والرقاع ، إلى صحائف ضمت إلى بعضها
ثم ربطت بخيط خشية أن يفلت منها شيء ثم حفظت عند أبي بكر
ثم عند عمر ثم عند حفصة بنت عمر وزوجة النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) الآية ٢٣ من سورة الأحزاب .

(٢) البرهان في علوم القرآن ج ١ ص ٢٣٤ طبعة عيسى الحلبي .

(٣) الإتيان في علوم القرآن ج ١ ص ٥٨ ثم قال رجاله ثقات مع انقطاعه .

طبعة مصطفى الحلبي .

وهذه الكتابة اقتصر فيها على ثابت التلاوة ، وأبعد منها ما نسخت تلاوته .: وكان الغرض من ذلك كله هو تسجيل القرآن وتقييده بالكتابة خشية ذهاب شيء منه بموت حملته أو ضياع ما كان مكتوباً فيه ، ثم أنها كتبت بالقراءات التي نزل بها القرآن والتي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم : « إن القرآن أنزل على سبعة أحرف » (١).

وأما الثالثة : فكانت على يد عثمان رضى الله عنه وهو الخليفة الثالث .: وهى عبارة عن نقل ما فى صحائف أبى بكر إلى مصحف واحد سمى بالمصحف الإمام ونسخت منه المصاحف التى بعث بها عثمان إلى الكوفة والبصرة والشام وترك واحداً عنده على المشهور من الروايات .

وكان الغرض من ذلك هو إطفاء الفتنة التى اشتعلت بين المسلمين حين اختلفوا فى قراءة القرآن .. فكان أهل كل إقليم يأخذون بقراءة من اشتهر بينهم من الصحابة .. فدب الخلاف بينهم فى حروف الأداء ووجوه القراءات .. وسبب ذلك هو اختلاط الأعاجم ذوى الألسنة الغربية عن العربية .

لهذا رأى عثمان أن يتدارك الخطب فوضع علاجاً لهذا الداء ، فجمع الناس على القراءة المشهورة .. والإمام البخارى (٢) رضى الله عنه يعطينا صورة لما حدث من اختلاف الألسنة مما كان دافعا قويا لعثمان أن يفعل ذلك .

فعن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان من أهل العراق فأفرغ حذيفة

(١) كتاب فضائل القرآن وصحيح مسلم

(٢) كتاب فضائل القرآن .

اختلافهم في القراءة . وقال حذيفة لعثمان : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى .. فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسل لي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك .. فأرسلت بها إليه . فأمر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد ابن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام .. فنسخوها في المصاحف .. وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلسانهم .. ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل في كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق .. وإنما أمر عثمان بإحراق الصحف والمصاحف لأنها كانت خاصة بأشخاص الصحابة فكانوا يكتبون بين آياتها تفسيرات لهم .. ومثال ذلك ما أورده السيوطي في الإتيان^(١) فقال : وقراءة ابن عباس : « ليس^(٢) عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج » فزيادة : « في مواسم الحج » قد يكون ابن عباس كتبها توضيحاً لنفسه وقراءة ابن الزبير : « ولتكن منكم أمة^(٣) يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون بالله على ما أصابهم » فزيادة : ويستعينون بالله . أخرجه ابن الأباري وجزم بأنه تفسير . وقراءة عائشة وحفصة : « والصلاة^(٤) الوسطى صلاة العصر » فزيادة (صلاة العصر) واضح

(١) ج ١ ص ٧٧ طبعه مصطفى الحلبي بالقاهرة في الأنواع الثاني والعشرين إلى السابع والعشرين .

(٢) الآية ١٩٧ من سورة البقرة .

(٣) الآية ١٠٤ من سورة آل عمران .

(٤) الآية ٢٣٨ من سورة البقرة .

فيها عرض التفسير .. حتى قال ابن الجزري : وربما يدخلون التفسير في القراءات لإيضاحاً وبيانا لأنهم محققون لما تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم قرآنا .. فهم آمنون من الالتباس .. وربما كان بعضهم يكتبه معه هـ . أ . هـ .

ومعنى هذا أن بعض الصحابة حينما يكتبون القرآن بإملاء الرسول صلى الله عليه وسلم لم كانوا يكتبون هذه التفسيرات مع القرآن كمصحف عائشة .

فهنا خشى عثمان أن تتلقى البلاد الإسلامية - وفيهم الأعاجم كثيرون - مصاحفه وعندهم شيء من مصاحف الصحابة فيلبس عليهم أسلوب القرآن فلا يستطيعون تمييزه مما زاده الصحابة فأمر بإحراق ما عدا مصاحفه التي تم عليها الإجماع من الصحابة جميعهم والأمة من ورائهم .

وقد يسأل سائل : إذا كانت هذه الزيادات في مصاحف الصحابة وقد أخذ زيد ومن معه القرآن منهم في الجمع فكيف تم له إعادها ؟ . وأن هناك احتمال تسرب بعضها إلى ما في أيدينا اليوم ؟ .

والجواب على هذا أنه قد مر بك أن زيدا وعمر كانا يجلسان على باب المسجد فيأخذان الآيات بعد شهادة شاهدين عدلين على أن هذا ما أقره الرسول صلى الله عليه وسلم وإياه وكتبه من إملائه صلى الله عليه وسلم ، وأن زيدا لم يكتب إلا ما تواتر قراءته وكتابته بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم .. والدليل على ذلك أن زيدا^(١) لم يقبل آية

(١) الرواية في الاتقان ج ١ ص ٥٨ « وأن عمر أتى بآية الرجم فلم يكتبها لأنه كان وحده » أخرجه ابن أخته في المصاحف عن الليث بن سعد .

الرجم من عمر بن الخطاب لأنه كان وحده . . ثم انه كان من الصحابة
القرء الذين يحفظون القرآن بهامة . . وكان يكتب الوحي لرسول الله
صلى الله عليه وسلم . .

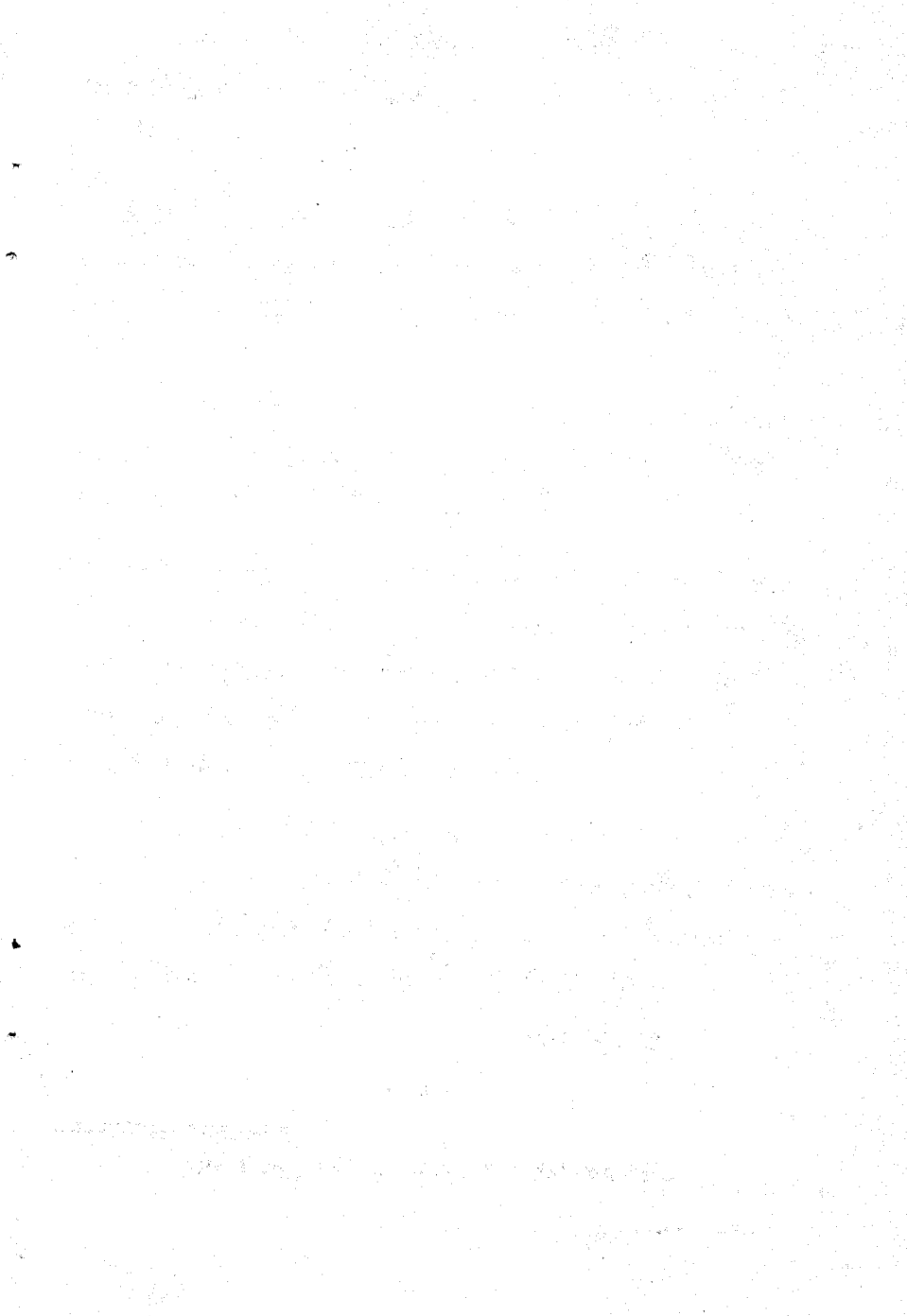
وأخيرا تحتم الجواب بما يؤيده مما أورده الزركشى (٢١) عن أبي
عبد الرحمن السلمى قال : « كانت قراءة أبي بكر وعمر وعثمان
وزيد بن ثابت والمهاجرين والأنصار واحدة ، كانوا يقرأون القراءة
العامة ، وهى القراءة التى قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على
جبريل مرتين فى العام الذى قبض فيه . . وكان زيد قد شهد العرصة
الأخيرة ، وكان يقرئ الناس بها حتى مات . . ولذلك اعتمده الصديق
فى جمعه ، وولاه عثمان كتابة المصحف » . . أ . ه .

وهكذا تم نسخ المصحف الإمام فى عهد عثمان من صحف أبي بكر
التي كانت تحت هيمنته حتى توفى ، ثم تحت هيمنة عمر حتى قبض ،
ثم فى صيانة أم المؤمنين حفصة بنت عمر وزوجة النبي صلى الله عليه
وسلم حتى طلبها عثمان منها فرجعت الصحف إلى زيد مرة أخرى
- وكتب بخط يده - لينسخها فى المصاحف :

وهكذا أيضا وفق الله عثمان بن عفان فى هذا العمل الذى قام به
فأرضى به ربه ، ورضيت به الأمة وأعيانها ، وحافظ على القرآن الكريم
فجمع به كلمة الأمة وأغلق باب الفتنة . . وما برح المسلمون يقطفون
من ثمار غرسه إلى هذا اليوم وإلى أن يشاء الله رب العالمين .
والله تعالى أعلم .

• • •

(١) البرهان فى علوم القرآن ج ١ ص ٢٢٧ طبعة عيسى الحلبي .



الفصل الثاني
إختلاف رسم الكلمات
في المصحف والحكمة فيه

الزركشى . . قال : « ولما كتب الصحابة المصحف زمن عثمان رضى الله عنه اختلفوا في كتابة « التابوت » فقال زيد : « التابوه » . وقال النفر القرشيون : « التابوت » وترافعوا الى عثمان فقال اكتبوا : (التابوت) فإنما أنزل القرآن على لسان قريش » أ . ه . (١)

وإن المتأمل في خط المصحف ورسم كلماته ليرى كلمات تكتب بزيادة حرف في مواضع ، وفي نفس الكلمات في مواضع أخرى تكتب بدون هذه الزيادة ، أو يجد كلمات متماثلة في الوزن والتشكيل والنطق ، وتختلف كتابة في مواضع دون مواضع . وهذه الأحوال حصرها العلماء في عدة مواضع هي الحذف - الزيادة - التفخيم - مد التاء وقبضها - الفصل - الوصل . . وإذا أراد المتأمل أن يعمل فكره في استنتاج الحكمة من هذا الاختلاف فإنه ليقف متعجباً تارة ومعظماً تارة أخرى . . وفي النهاية لا يجد بدأ من الإذعان للإعجاز الظاهر في أسرار هذا الرسم الذي لا يخضع لمحاولات التفسير إلا في القليل النادر .

ولكن الإمام الزركشى أحالنا إلى تفسيرات بعض النحويين قليلاً ، وإلى تفسيرات أهل المعاني والأسرار كثيراً ، فضمن هذا الباب بكلام أبي العباس المراكشى (٢) الشهير بابن البناء فقال : « وبين - أبو العباس - أن هذه الأحرف إنما اختلف حالها في الخط

(١) البرهان في علوم القرآن ج ١ ص ٣٧٦ والنفر القرشيون هم سعيدين العاص ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، أما زيد بن ثابت فهو أنصاري . ويفهم من هذا أن عثمان جمع الناس على رسم قريش في كتابتها (٢) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشى المعروف بابن البناء توفي سنة ٧٢١ ذكر كتابه « صاحب كشف الظنون » البرهان ص ٣٨٠ وكتاب أبي العباس : هو « عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل » .

بحسب اختلاف أحوال مطلق كلماتها ، ومنها التنبية على العوالم : الغائب
والشاهد ، ومراتب الوجود والمقامات ، والخط إنما يرسم على الأمر
الحقيقي لا الوهمي ، أ . هـ المزدكشي .

وهذه هي الأمثلة :

الحذف - حذف الألف . :

كلمة « أيها » تكتب هكذا في الرسم الإملائي الحديث بألف
بعد الهاء ، وجرت كتابتها في المصاحف على ذلك أيضاً إلا في ثلاثة
مواضع من القرآن كله في قوله تعالى : ١ - « وتوبوا إلى الله جميعاً
أيه المؤمنون لعلكم تفلحون » (١) ٢ - وقالوا يا أيه الساحر ادع
لنا ربك » (٢) ٣ - « استفرغ لکم آیه الثقلان » (٣) فيقول أبو العباس
في توضيحها « والسر في سقوطها في هذه الثلاثة الإشارة إلى معنى
الانتهاء إلى غاية ليس وراءها في الفهم رتبة يمتد النداء بها ، وتنبية
على الاقتصاد والافتقار من حالم والرجوع إلى ما ينبغي ، وقوله
تعالى : « وتوبوا إلى الله جميعاً » يدل على أنهم كل المؤمنين على
العموم ، والاستغراق فيهم .

وآية : « يا أيه الساحر . . . » نظيره من كلام فرعون في موسى
عليه السلام : « إن هذا لساحر عليم » (٤) وقوله : « إنه لكبيركم الذي
علمكم السحر » (٥) يدل على عظمة علمه عندهم وأنه ليس فوقه أحد .

• البرهان جـ ١ ص ٢٩٦ .

- (١) الآية ٣١ من سورة النور .
- (٢) الآية ٤٩ من سورة الزخرف .
- (٣) الآية ٣١ من سورة الرحمن .
- (٤) الآية ٣٤ من سورة الشعراء .
- (٥) الآية ٤٩ من سورة الشعراء .

وآية « سنفرع لكم آية الثقلان » إقامة الوصف مقام الموصوف يدل على عظم الصفة الملكية ، فإنها تقتضى جميع الصفات الملكوية والخبروية ، فليس بعدها رتبة أظهر في الفهم على ما ينبغي لهم من الرجوع إلى اعتبار آلاء الله في بيان النعم ليشكروا ويبيان النعم ليحذروا . أ . ه .

والأمثلة في هذه المسائل كثيرة جداً اقتصرنا منها على الأمثلة الثلاثة . ومما يلاحظ أن هذه الكلمات الثلاثة متشابهة لفظاً إلا أنها اختلفت في كتابتها عن مثيلاتها .

حذف الواو :

وحسب قاعدة الكتابة : أن الفعل المضارع المعتل الآخر يثبت آخره ما لم يدخل عليه ناصب أو جازم فيحذف مثل يدعو ، يحمو . وهذه الأفعال في القرآن جارية على القاعدة المذكورة فيما عدا أربعة مواضع وهي ١ - « سندع الزبانية » (١) ٢ - « ويمح الله الباطل » (٢) ٣ - « ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير » (٣) ٤ - « يوم يسدع الداع » (٤) . فأنت ترى أن الواو - وهي حرف علة في آخر الأفعال - محذوفة ولم يسبقها أداة نصب أو جزم . وهذا على غير القاعدة في النحو ، ومما قاله أبو العباس في الحكمة في الأول : « سندع الزبانية » فيه سرعة الفعل وإجابة الزبانية وقوة البطش ، وهو وعيد

* البرهان ج ١ ص ٣٩٨ .

(١) الآية ١٨ من سورة العلق .

(٢) الآية ٢٤ من سورة شورى .

(٣) الآية ١١ من سورة الإسراء .

(٤) الآية ٦ من سورة القمر .

عظيم ذكر مبدؤه وحذف آخره ، ويدل عليه قوله تعالى : « وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر »^(١) . والثاني : « ويمح الله الباطل » حذف منه الواو علامة على سرعة الحق وقبول الباطل له بسرعة بدليل قوله تعالى : « إن الباطل كان زهوقاً »^(٢) . فان قيل لم رسم الواو في « يمحو الله ما يشاء ويثبت » وحذفت في « ويمح الله الباطل »^(٣) والجواب كما قال أبو العباس : لأن الإثبات الأصل ، وإنما حذف في الثانية لأن قبله مجزوم وإن لم يكن معطوفاً عليه لأنه قد عطف عليه « ويحق » وليس مقيداً بشرط . ولكن قد يجيئ بصورة العطف على المجزوم وهذا أقرب من عطف الجوار في النحو والله أعلم .

والثالث : « ويدع الإنسان بالشر » حذف الواو يدل على أنه سهل عليه ويسارع فيه كما يعمل في الخير ، وإتيان الشر إليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير .

والرابع : « يوم يدع الداع » حذف الواو لسرعة الدعاء وسرعة الإجابة .

حذف الياء :

أمامنا عبارة « فلا تسألن » مكونة من « لا » الناهية التي تجزم الفعل المضارع . وهو « تسأل » اتصلت به ياء المتكلم بعد نون تسمى (في النحو) نون الوقاية وياء المتكلم لا تتأثر بعامل الجزم ولا بعامل

(١) الآية ٥٠ من سورة القمر .

(٢) الآية ٨١ من سورة الإسراء .

(٣) يشير إلى الآية ٢٤ من سورة الشورى « فان يشأ الله يختم على قلبك ويمح

الله الباطل ويحق الحق بكلماته »

• البرهان ج ١ ص ٣٦٩ .

النصب فإذاً هي حسب قاعدة الكتابة أن تثبت في اللفظ والكتابة :
 ومع ذلك تجد هذه الكلمة وردت في آيتين الأولى من سورة هود
 حيث يقول الله تعالى لنوح عليه الصلاة والسلام « فلا تسألن ما ليس
 لك به علم » (١) فياء المتكلم وهو هنا الله سبحانه قد حذف كتابة .
 والآية الثانية من سورة الكهف على لسان سيدنا الخضر عليه السلام
 مع موسى صلى الله عليه وسلم فيقول : « فلا تسألني عن شيء حتى
 أحدث لك منه ذكراً » (٢) فأنت ترى أن الفعل المضارع في كلتا
 الآيتين دخلت عليه لا الناهية ولكن حذفت الياء من الأول دون
 الثاني وفي هذا يقول أبو العباس في الأول :

وعلم هذا المستول غيب ملكوتي بدليل قوله تعالى : « ما ليس
 لك به علم » فهو بخلاف قوله « فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك
 منه ذكراً » لأن هذا سؤال عن حوادث الملك في مقام الشاهد كخرق
 السفينة « قال أخرقتها لتغرق أهلها » (٣) وقتل الغلام « أقتلت نفساً
 زكية بغير نفس » (٤) وإقامة الحدار : « فوجدنا فيها جداراً يريد
 أن ينقض فأقامه » (٥) .

حذف النون :

ونأخذ هذا المثال في قوله تعالى : « ألم يك نطفة من منى يمنى » (٦)
 حذف النون التي بعد « كاف » يك - كما يقول أبو العباس :

-
- (١) الآية ٤٦ من سورة هود .
 - (٢) الآية ٧٠ من سورة الكهف .
 - (٣) الآية ٧١ من سورة الكهف .
 - (٤) الآية ٧٤ من سورة الكهف .
 - (٥) الآية ٧٧ من سورة الكهف .
 - (٦) الآية ٣٧ من سورة القيامة .

تنبيها على مهانة مبتدأ الإنسان وصغر قدره بحسب ما يدرك هو من نفسه ، ثم يترقى في أطوار التكوين « فلماذا هو خصيم مبین » (١) فهو حين كان نطفة كان ناقص الكون ، كذلك كل مرتبة ينتهي إليها كونه هي ناقصة الكون بالنسبة لما بعدها . فالوجود الدنيوى كله ناقص الكون عن كون الآخرة كما قال الله تعالى : « وإن الدار الآخرة لهى الحيوان » (٢) ونأخذ هذا المثال من قوله تعالى : « ألم تكن آياتى تتلى عليكم » (٣) .

فإننا نجد المثال الأول حذف منه النون ، والمثال الثانى ثبتت نونه بالرغم من دخول حرف الحزم « لم » عليهما . . وفى هذا يقول أبو العباس : فإن كون تلاوة الآيات قد أكمل كونه وتم .
حروف الزيادة : : زيادة الألف .

تزداد الألف بعد واو الجماعة المتصلة بالفعل الماضى مثل قالوا وقاموا وناموا . . وعلى هذه القاعدة كتبت آيات القرآن إلا فى مواضع جاء الفعل الماضى فيها للجماعة ومع ذلك سقطت الألف خلافا للقاعدة المذكورة وذلك مثل قوله تعالى : « والذين سعو فى آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم » (٤) فإننا نجد الفعل الماضى (سعوا) اتصلت به واو الجماعة ومع ذلك سقطت الألف . . وقد قال أبو العباس فى ذلك : « فانه سعى فى الباطل لا يصح له ثبوت فى الوجود » . وكذلك قوله تعالى « قال ألقوا فلما ألقوا بهجروا أعين

(١) الآية ٧٧ من سورة يس .

(٢) الآية ٦٤ من سورة العنكبوت .

(٣) الآية ١٠٥ من سورة المؤمنون .

* البرهان ج ١ ص ٤٠٨

(٤) الآية . من سورة سبأ .

الناس واشتره بوهم وجاءو بسحر عظيم» (١) وقوله تعالى :
« فقد جاءو ظلماً وزوراً » (٢) وقوله « وجاءو أباهم عشاء
يكون » (٣) وقوله « وجاءو على قبيصه بدم كذب » (٤) قال
أبو العباس : « فان هذا المحيء ليس على وجهه الصحيح » .

وكذلك « فان فاعو » (٥) قال : « وهو فيء بالقلب والاعتقاد
وكذلك « تبوعو الدار والإيمان » (٦) قال : « اختاروها سكناً ،
لكن لا على الجهة المحسوسة لأنه سوى بينهما . وإنما اختاروها سكناً
لمرضاة الله بدليل وصفهم بالإيثار مع الخصاصة فهذا دليل زهدهم
في محسوسات الدنيا » .

زيادة الواو : *

قال أبو العباس : زيدت الواو للدلالة على ظهور معنى الكلمة
في الوجود في أعظم رتبة في العيان مثل « سأوريكم دار الفاسقين » (٧)
ومثل « سأوريكم آياتي » (٨) .

ويدل على ذلك أن الآيتين جاءتا للتهديد والوعيد ، وكذلك « أولى »
و « أولوا » و « أولات » زيدت الواو بعد الهمزة حيث وقعت لقوة
المعنى على « أصحاب » فإن في « أولى » معنى الصحبة وزيادة التملك

(١) الآية ١١٦ من سورة الأعراف .

(٢) الآية ٤ من سورة الفرقان .

(٣) ، (٤) الآية ١٦ ، ١٨ من سورة يوسف .

(٥) الآية ٢٢٦ من سورة البقرة .

(٦) الآية ٩ من سورة الحشر .

* البرهان ج ١ ص ٤٠٨ .

(٧) الآية ١٤٥ من الأعراف

(٨) سورة الأنبياء آية ٣٧

والولاية عليه ، وكذلك زيدت في أولئك و « أولائكم » حيث وقعا بالواو لأنه جمع مبهم يظهر فيه معنى الكثرة الحاضرة في الوجود . وليس للفرق بينه وبين « أولئك » كما قاله قوم لانتقاضه « بأولاء » .

زيادة الياء : *

زيدت لاختصاص ملكوتي باطن وذلك في تسعة مواضع نذكر بعضها للاستشهاد ولا داعي لحصرها فقله تعالى : « والسماء بينناها بأيدي وإنا لموسعون »^(١) فيقول أبو العباس : « إنها كتبت (بأيدي) بياءين فرقا بين « الأيد » الذي هو القوة وبين « الأيدي » جمع « يد » ولا شك أن القوة التي بنى الله بها السماء هي أحق بالثبوت في الوجود من الأيدي فزيدت الياء لاختصاص اللفظة بمعنى أظهر في إدراك الملكوتي في الوجود » .

وكذلك : « بأيكم المفتون »^(٢) كتبت بياءين تخصيصاً لهم بالصفة لحصول ذلك وتحققه في الوجود . فانهم هم المفتونون دونه فانفصل حرف « أي » بياءين لصحة هذا الفرق بينه وبينهم قطعاً لكنه باطن فهو ملكوتي ، وإنما جاء اللفظ بالإبهام على أسلوب المجاملة في الكلام ، والإمهال لهم ليقع التدبر والتذكر كما جاء في قوله تعالى : « وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين »^(٣) ومعلوم أنا على هدى وهم على ضلال » .

* البرهان ج ١ ص ٢٨٦ .

(١) الآية ٤٧ من سورة الذاريات .

(٢) الآية ٦ من سورة نون .

(٣) الآية ٢٤ من سورة سبأ .

ما كتبت فيه الألف وأوصل التضخيم : *

وذلك في أربعة أصول مطردة ، وأربعة أحرف متفرعة .
فالأربعة الأصول هي : « الصلوة والزكاة ، والحيوة والربوا ،
والأربعة الأحرف في سورة الأنعام والكهف « بالعداوة »^(١) وسورة
النور « كمشكوة »^(٢) وسورة غافر « النجاة »^(٣) وفي سورة النجم
« ومنواة »^(٤) . فأما قوله تعالى : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا
سكاء وتصديا »^(٥) وقوله : « إن صلاتي »^(٦) وقوله : « إن هي إلا
حياتنا الدنيا »^(٧) وقوله : « وما أوتيت من ربا »^(٨) فالرسم
بالواو في النوع الأول ، والقصد بذلك تعظيم شأن هذه الأحرف
فان الصلاة والزكاة عمودا للإسلام والحياة قاعدة النفس ، ومفتاح
البقاء ، وترك الربا قاعدة الأمان ومفتاح التقوى . . ولهذا قال تعالى :
« اتقوا الله وخرؤا ما بقى من الربوا » إلى قوله : « فان لم تضعلوا فأذنوا
بمرب من الله »^(٩) ويشتمل على أنواع الحرام والحباث وضروب
المفاسد وهو نقيض الزكاة . . ولهذا قوبل بينهما في قوله تعالى :
« يحق الله الربوا ويربى الصدقات »^(١٠) . واجتنابه أصل في التصرفات

* البرهان ج ١ - ٢٨٧

(١) الآية ٥٢ من سورة الأنعام والآية ٢٨ من سورة الكهف .

(٢) الآية ٣٥ من سورة النور .

(٣) الآية ٤١ من سورة غافر .

(٤) الآية ٢٠ من سورة النجم .

(٥) الآية ٣٥ من سورة الأنفال .

(٦) الآية ١٦٢ من سورة الأنعام .

(٧) الآية ٢٩ من سورة الأنعام .

(٨) الآية ٣٩ من سورة الروم .

* البرهان ج ١ ص ٤٠٩ ، ٤١٠ .

(٩) الآية ٢٧٨ ، ٢٧٩ من سورة البقرة .

(١٠) الآية ٢٧٦ من سورة البقرة .

المالية وإنما كتبت بالألف في آية سورة الروم لأنه ليس الربا العام الكلي ، لأن الكلي منفي في حكم الله عليه بالتحريم ، وفي نفي الكل نفي على جميع جزئياته .

وأما كتابة (النجوة) بالواو فلأنها قاعدة الطاعات ومفتاح السعادات . . قال الله تعالى على لسان موثمن آل فرعون : « ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجوة وتدعونني إلى النار »^(١) . وأما الغدوة فقاعدة الأزمان ومبدأ تصرف الإنسان مشتقة من الغدو ، وأما (المشكوة) فقاعدة الهداية ، ومفتاح الولاية قال تعالى : « يهدي الله لنوره من يشاء »^(٢) وأما (منواة) فقاعدة الضلال ، ومفتاح الشرك والاضلال .

فتح التاءات وقبضها : *

في علم قواعد الإملاء أن تاء التانيث إذا لحقت الفعل الماضي كتبت مفتوحة مثل قالت وجاءت ، وإذا لحقت بالإسم أو بالصفة كتبت (هاء) مربوطة مثل نخلت ، ورحمة .. إلا أن هذه القاعدة لم تطرد في كتابة المصاحف فخولفت في بعض الكلمات لحكم لا يعلمها إلا الله المتكلم بها .. وهنا يقول أبو العباس في محاولاته لتفسير ذلك : « إن هذه الأسماء لما لازمت الفعل صار لها اعتباران : أحدهما من حيث هي أسماء وصفات وهذا قبض منه التاء ، والثاني من حيث أن يكون مقتضاها فعلا وأثراً ظاهراً في الوجود فهذا تمد فيه كالتامد في « قالت ، وزاغت » وجهة للفعل والأمر ملكية ظاهرة . وجهة الاسم والصفة ملكوتية باطنة .. فن ذلك « الرحمة » مدت التاء

(١) الآية ٤١ من سورة غافر .

(٢) الآية ٣٥ من سورة النور .

فيها في سبعة مواضع نذكر منها بعضها . . قال تعالى : « إن رحمت الله قريب من المحسنين » (١) فوضعها على التذكير فهو الفعل . وقوله تعالى : « فانظر إلى آثار رحمت الله » (٢) والآخر هو الفعل ضرورة . وقوله تعالى : « ورحمت ربك خير مما يجمعون » (٣) .

ومنه « النعمة » تكتب بالهاء إلا في أحد عشر موضعا مدت فيها التاء مثل قوله تعالى : « واذكروا نعمت الله عليكم » (٤) وآية سورة إبراهيم « وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها » (٥) قال أبو العباس : « والحكمة فيما ذكرنا أن النعمة والرحمة الحاصلة بالفعل في الوجود تمد بدليل قوله تعالى : « إن الإنسان لظلوم كفار » (٦) .. فهذه نعمة متصلة بالظلوم الكفار في تنزيلهما ، وهذا بخلاف النعمة في سورة النحل : « وإن تعدوا نعمة الله (٧) لا تحصوها » كتبت التاء مقبوضة لأنها بمعنى الاسم بدليل قوله : « إن الله لغفور رحيم » فهذه نعمة وصلت من الرب فهي ملكوتية ، ختمها باسمه عز وجل ، وخدم الأولى باسم الإنسان .

ومن ذلك أيضا كلمة « شجرة » كتبت بتاء مفتوحة في قوله تعالى : « إن شجرة الزقوم طعام الأثيم » (٨) لأنها بمعنى الفعل اللازم

(١) الأعراف آية رقم : ٥٦

(٢) الآية ٥٠ من سورة الروم .

(٣) الآية ٣٢ من سورة الزخرف .

(٤) الآية ٢٣١ من سورة البقرة ، ١٠٢ من آل عمران - المائة الآية ١١ -

إبراهيم الآيات ٢٨ ، ٣٤ - النحل ثلاث آيات ٧٢ - ٨٣ ، ١١٤ - لقمان آية ٣١ - فاطر آية ٣ - العنكبوت آية ٢٩ .

(٥) الآية ١٤ من سورة إبراهيم .

(٦) الآية ١٨ من سورة النحل .

(٨) الآية ٤٣ ، ٤٤ من سورة الدخان .

وهو تزقيها بالأكل بدليل قوله تعالى : « في البطون » فهذه صفة فعل كما في الواقعة : « لا آكلون من شجر من زقوم »^(١) وهذا بخلاف قوله تعالى : « أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم »^(٢) فإن هذه وصفها بأنها « فتنة للظالمين »^(٣) و « إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم »^(٤) فهو حلية للاسم فلذلك قبضت تاؤها .

الفصل والوصل :

اعلم أن الموصول في الوجود توصل كلماته في الخط ، كما توصل حروف الكلمة الواحدة ، والمفصول معنى في الوجود يفصل في الخط ، كما تفصل كلمة عن كلمة .

ومن ذلك : « إنما » بالكسر : وردت في القرآن كله موصولة إلا موضعاً واحداً قوله تعالى : « إن ما توعدون لآت »^(٥) لأن حرف (ما) هنا وقع على مفصل فمنه خير موعود به لأهل الخير ، ومنه شر موعود به لأهل الشر فمعنى « ما » مفصول في الوجود والعلم .

ومنه : « أنما » بالفتح وردت في القرآن كله موصول إلا في موضعين : الأول قوله تعالى : « وأن ما يدعون من دونه الباطل »^(٦) والثاني : « وأن ما يدعون من دونه هو الباطل »^(٧) وقع الفصل عن

(١) الآية ٥٣ من سورة الواقعة .

(٢) ، (٣) الآيتان ٦٢ ، ٦٣ من سورة الصافات .

(٤) الآية ٦٤ من سورة الصافات .

(٥) الآية ١٣٤ من سورة الأنعام .

(٦) الآية ٣٠ من سورة لقمان .

(٧) الآية ٦٢ من سورة الحج .

حرف التوكيد إذ ليس لدعوى غير الله وصل في الوجود إنما وصلها في العدم والنفي بدليل قوله تعالى عن مؤمن آل فرعون : « إنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة » (١) فوصل « إنما » في النفي ، وفصل في الإثبات لانفصاله عن دعوة الحق .

ومنه : « يوم هم على النار يفتنون » (٢) ، و « يوم هم بارزون » (٣) حرفان فصل الضمير منهما لأنه مبتدأ وأضيف « اليوم » . و « يومهم الذي فيه يصعقون » (٤) و « يومهم الذي يوعلون » (٥) وصل الضمير لأنه مفرد ، فهو جزء الكلمة المركبة من « اليوم » المضاف والضمير المضاف إليه .

هذا والأمثلة كثيرة جداً وفي هذا القدر كفاية .

والله تعالى أعلم .



-
- (١) الآية ٤٣ من سورة غافر .
 - (٢) الآية ١٣ من سورة الذاريات .
 - (٣) الآية ١٦ من سورة غافر .
 - (٤) الآية ٤٥ من سورة الطور .
 - (٥) الآية ٨٢ من سورة الزخرف .

الفصل الثالث هل رسم القرآن توقيفي أو اصطلاحى

إن معنى توقيفى : هو أن كتابة المصحف بالرسم العثمانى قائمة على سند من الشرع لا يصح تجاوزه إلى غيره ، ولا تصح مخالفته :

ومعنى اصطلاحى : هو أن الشرع ترك هذا الموضوع مباحاً لاجتهاد الناس بما يتناسب مع كل أمة ، وكل عصر .. فلم يأمر برسم معين ، ولم يوص به .

ولكى نجيب على الاستفهام الوارد فى العنوان نرى ضرورة استعراض آراء العلماء والأئمة .. فمنهم من يقول بالتوقيف ، ومنهم من يقول بالاصطلاح .

والفريق الأول : هم أئمة الأمة وعلمائها وهم الجمهور .

فقالوا : إن كتابة المصحف بالرسم العثمانى أمر توقيفى لا يجوز العدول عنه إلى غيره .

. أولاً : لأن هذا الرسم كتب به كُتُتاب الوحى بين يدى الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى رأسهم زيد بن ثابت ، وقد أقرهم النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك ، وقد قال الله تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (١) . وما أكثر الآيات التى تأمر بطاعته صلى الله عليه وسلم ، وأنها من طاعة الله عز وجل .

(١) الآية ٧ من سورة الحشر .

وهذا الرسم قد ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا الكتاب الذى يبلغه عن ربه عز وجل .

ثانياً : استمرت كتابة القرآن هكذا فى عهد أبى بكر رضى الله عنه ، ثم حدا حذوه عثمان بن عفان فى خلافته . ومن حكمة الله وتدبيره أن جعل زيد بن ثابت هو الكاتب فى المرات الثلاث ، ثم نسخت المصاحف وبقي مصحف الإمام ، وفى عصر التابعين وتابعيهم لم يتغير الرسم العثمانى . . اللهم إلا فى إعجام المصحف بالنقط وضبطه بالتشكيل ، ووضع علامات عند رؤوس الآى مما لا يدخل فى صميم الكتابة بتغيير حروف الكلمات . .

هذا ولم يختلف فى ذلك أحد ، ولم يعترض معترض ، ولم يتقل أن أحداً فكر فى استبدال هذا الرسم برسم آخر .

وبقى الرسم العثمانى مقدساً لا يمس استقلاله ، ولا يستباح حماه . . ومن المعلوم بالضرورة أن اتباع الصحابة واجب خصوصاً الخلفاء الراشدين . : وذلك لحديث العرياض بن سارية قال : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون . . فقلنا يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا . . قال : «أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن تأمر عليكم عبد ، وأنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً . . فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة» (١) .

(١) الترغيب والترهيب للمنذرى ج ١ ص ٧٨ وقال : رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه وقال الترمذى حديث حسن صحيح .

ومن أقوال الصحابة ما رواه ابن أبي داود في كتاب المصاحف بإسناد صحيح إلى مصعب بن سعد قال : « أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان رضي الله تعالى عنه المصاحف فأعجبهم ذلك ولم ينكر عليه أحد » (١) .

وكذلك يروى شارح العقيلة عن أنس بن مالك رضي الله عنه : « أن عثمان أرسل إلى جند من أجناد المسلمين مصحفا ، وأمرهم أن يحرقوا كل مصحف يخالف الذي أرسل إليهم » (٢) .
ثالثا : إجماع الأئمة :

فقد قال الفراء - وهو من علماء العربية - : « اتباع المصحف إذا وجدت له وجهاً من كلام العرب ، وقراءة القراء أحب إلى من خلافه » (٣) .

وقال أشهب : سئل مالك رحمه الله . . هل تكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ؟ فقال : « لا .. إلا على الكتابة الأولى »
رواه أبو عمرو الداني في المقنع (٤) ثم قال : « ولا يخالف له من علماء الأمة » .

وفي موضع آخر : « سئل مالك عن الحروف في القرآن مثل الواو والألف .. أتري أن تغير من المصحف إذا وجدا فيه كذلك ؟ فقال : لا » قال أبو عمرو : « يعني الواو والألف المزيديتين في الرسم لمعنى ، المعدومتين في اللفظ ، نحو الواو في « أولوا الأبواب » و (أولات) و (الربوا) ونحوه » (٥) .

(١) الجمع الصوتي للقرآن ص ٦٧ للاستاذ لييب السعيد .

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن ج ١ ص ٣٧١ .

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن ج ١ ص ٣٧١ .

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن ج ١ ص ٣٧١ .

وقال الإمام أحمد رحمه الله : « تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في (ياء أو واو أو ألف) أو غير ذلك » (١) .

وقال البيهقي في شعب الإيمان : « من كتب مصحفاً فينبغي أن يحافظ على أحرف الهجاء التي كتبوا بها تلك المصاحف ، ولا يخالفهم فيها ، ولا يغير مما كتبوه شيئاً فإنهم أكثر علماً ، وأصدق قلباً ولساناً ، وأعظم أمانة . . فلا يبغي أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم » .

وفي فقه الشافعية : « كلمة الربوا تكتب بالواو والألف كما جاء في الرسم العثماني ، ولا تكتب بالياء هكذا (الربى) ولا بالألف هكذا (الربا) لأن رسمه سنة متبعة » (٢) .

وفي فقه الحنفية : « أنه لا يبغي أن يكتب المصحف بغير الرسم العثماني » (٣) .

وقال النيسابوري : « وقال جماعة من الأئمة : إن الواجب على القراء والعلماء وأهل الكتابة أن يتبعوا هذا الرسم في خط المصحف فإنه رسم زيد بن ثابت وكان أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتب وحيه » (٤) .

وأذكر هنا ملاحظة قد تكون هامة : إن المتأمل في أدلة الفريق الأول لا يجد فيها نصاً من القرآن ولا من السنة .. فكيف كان هذا الرسم توقيفياً ؟ ولعل هذا ما جعل الفريق الثاني يقولون بالاصطلاح : وأقول : إنه توقيفي لأنه من السنة العملية بإقرار الرسول صلى الله

(١) الإمام أحمد والبيهقي ذكره الزركشي في كتابه « البرهان في علوم القرآن » ج ١ ص ٣٧٩ طبعة عيسى الحلبي بالقاهرة .
(٢) (٤٠٣٠٢) المصدر السابق .

عليه وسلم فالسنة إما قول أو فعل أو تقرير . . والرسم العثماني قد فاز بالتقرير .

الرأى الثانى : أن رسم المصحف اصطلاحى ولذلك تجوز مخالفته إلى غيره . ومن أنصار هذا الرأى القاضى أبو بكر الباقلانى فى « الانتصار » فقال ما ملخصه : « وأما الكتابة فلم يفرض الله على الأمة فيها شيئاً ، وليس فى نصوص الكتاب ولا مفهومه أن رسم القرآن وضبطه لا يجوز إلا على وجه مخصوص ، ولا فى نصوص السنة ما يوجب ذلك ويدل عليه ، ولا فى إجماع الأمة ما يوجب ذلك ، ولا دلت عليه القياسات الشرعية ، بل السنة دلت على جواز رسمه بأى وجه سهل . . لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر برسمه ، ولم يبين لهم وجهاً معيناً ، ولا نهى أحداً عن كتابته . . ولذلك اختلفت خطوط المصاحف . . فمنهم من كان يكتب الكلمة على مُخرج اللفظ ، ومنهم من كان يزيد وينقص لعلمه بأن ذلك اصطلاح ، وأن الناس لا يخفى عليهم الحال . . ولأجل هذا بعينه جاز أن يكتب بالحروف الكوفية والخط الأول ، وأن يجعل اللام على صورة الكاف ، وأن تعوج الألفات ، وأن يكتب على غير هذه الوجوه ، وجاز أن يكتب المصحف بالخط والهجاء القديمين ، وجاز أن يكتب بالخطوط والهجاء المحدثه » .

أما ابن خلدون فيقول فى مقدمته (١) ما نصه :

« فكان الخط العربى لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام

(١) مقدمة ابن خلدون الباب الخامس الفصل الثلاثون ص ٣٧٧ ، ٣٧٨ وهو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى طبعة دار الشعب بالقاهرة . . وقد ألف ابن خلدون هذه المقدمة سنة ٧٧٩ هـ .

والإتقان والإجادة ، ولا إلى التوسط لمكان العرب من البداوة والتوحش وبعدهم عن الصنائع .. وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم ، وكانت غير مستحكمة في الإجادة ، فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها ، ثم اقتنى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركاً بما رسمه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ثم قال : كما يقتنى لهذا العهد خط ولى أو عالم تبركاً ، ويتبع رسمه خطأ أو صواباً .. وأين نسبة ذلك من الصحابة فيما كتبوه ، فاتبع ذلك وأثبت رسماً ونبه العلماء بالرسم على مواضعه .. ولا تلتفتن في ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين من أنهم - أى الصحابة - كانوا محكمين لصناعة الخط .. ثم قال : ويقولون في مثل زيادة الياء في « بأيد » أنه تنبيه على كمال القدرة الربانية وأمثال ذلك مما لا أصل له إلا التحكم المحض ، وما حملهم على ذلك إلا اعتقادهم أن في ذلك تنزيهاً للصحابة عن توهم النقص في قلة إجادة الخط » . أ . هـ

فأنت ترى أن ابن خلدون يعزو اصطلاحية رسم المصحف إلى عدم إجادة الصحابة للرسم بالكتابة .. ولذلك - في زعمه - فإن هذه الأحرف الزائدة مثل الألف والواو والياء إنما جاءت نتيجة لعدم معرفتهم لقواعد الكتابة ، وأن التابعين ومن بعدهم اتبعوا رسم الصحابة للتبرك فقط !!!

رأى ثالث : وهو معزو إلى الشيخ عز الدين بن عبد السلام فيقول : « لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسوم الأولى باصطلاح الأئمة لثلا يوقع في تغيير من الجهال .. ولكن لا ينبغي إجراء هذا على

اطلاقه لثلا يؤدى إلى دروس العلم ، وشيء أحكمته القدماء لا يترك مراعاته لجهل الجاهلين ، ولن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة (١) .

ومن هذا السياق نفهم أن الشيخ عز الدين يريد الجمع بين الرأيين السابقين وذلك بالمحافظة على الأثر العثماني في الرسم ، واتباع الرسم الإملائي الحديث لتيسيره على الناس الذين لا يجيدون القراءة في المصاحف العثمانية .

وقد تابعه في ذلك الإمام الزركشى فقال (٢) : « وكان هذا في الصدر الأول ، والعلم حى غض ، وأما الآن فيخشى الإلباس » ثم استشهد بكلام الشيخ عز الدين .

ثم تابعهما ابن قيم الجوزية (٣) فقال : « وأما كتابته على ما أحدث الناس من الهجاء فقد جرى عليه أهل المشرق بناء على كونها أبعد من اللبس ، وتحاماه (٤) أهل المغرب بناء على قول الإمام مالك وقد سئل : « هل يكتب المصحف على ما أحدث من الهجاء ؟ فقال : لا ، إلا على الكتابة الأولى » ثم ساق كلام الزركشى وابن عبد السلام :

وهنا يقول الشيخ الزرقاني : « أقول وهذا الرأى يقوم على رعاية الاحتياط للقرآن من ناحيتين .. ناحية كتابته في كل عصر بالرسم المعروف فيه ، إبعاداً للناس عن اللبس والخلط في القرآن ، وناحية إبقاء رسمه الأول ، يقرأه العارفون ، ومن لا يخشى عليهم الالتباس :

(١) البرهان ج ١ ص ٣٧٩ .

(٢) مناهل العرفان ج ١ ص ٣٧٨ .

(٣) مناهل العرفان ج ١ ص ٣٧٨ .

(٤) تحاماه أهل المغرب أى تجنبوه .

ولا شك أن الاحتياط مطلب ديني جليل ، خصوصا في جانب حماية التنزيل .

ولكن الأرجح والآكد في هذه الآراء هو الرأي القائل بالثبات على الرسم العثماني ، وبأنه توقيني لا يجوز العدول عنه إلى غيره . وتحرم مخالفته لما يأتي :

أولا : لتوافر الأدلة الثابتة بإقرار الرسول صلى الله عليه وسلم الكتاب وبيجامع الصحابة رضوان الله عليهم السابق ذكره ، وأن عثمان أمر زيدا والنضر القرشيين أن يكتبوه بلسان قريش كما سبق ولقولهم : القلم أحد اللسانين .

وأما قول ابن خلدون السابق الذي يفهم منه أن الصحابة كتبوا المصاحف وهم غير مجيدين لفن الكتابة ، فهذا قول ليس فيه شيء من الصحة بل هو قول حاقد على العرب ، وصمهم بالتوحش والبدواة في حين أن للعرب في القديم صفات حميدة وطباعاً رقيقة عبروا عنها في أشعارهم ونثرهم . . وما يقوله ابن خلدون من أن أثر بداوتهم وتخلفهم عن فن الكتابة انعكس على كتابتهم للمصحف واستدلاله بالحروف المزينة في بعض الكلمات دون بعضها ؛ وحكمه عليها بأنها نتيجة عدم إجادة صنعة الكتابة ، فإن كلامه هذا يمكن مناقشته والرد عليه :

وهو أن الصحابة الذين كتبوا « بأيد » يباين هم الذين كتبوا « الأيدي » يباين واحدة .. والذين كتبوا « لأذخنة » بألف زائدة بعد الهزة وقبل الذال هم الذين كتبوا « ولأمرنهم » (١) بدون زيادة

(١) الآية ١١٩ من سورة النساء قوله تعالى خبيرا عن الشيطان : « ولأصلنهم ولأمننهم ولأمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولأمرنهم فليغيرن خلق الله » .

الألف ، والذين كتبوا « وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها » التي في سورة إبراهيم (١) بناء مفتوحة هم الذين كتبوا « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » التي في سورة النحل (٢) بناء مربوطة . فإن كان الصحابة غير متمكنين في الرسم لكتبوا كل الكلمات المتساوية أو المتشابهة بطريقة واحدة في الصواب والخطأ .

فتلا إذا كنت أنا غير عالم بكتابة حروف هجاء الكلمات وكتبت كلمة « اللؤلؤ » كتبها « اللؤلأ » بهزتين على الألف ، لكنت كتابتي لها في كل موضع على هذا الخطأ .

ولكن لما كان هذا التمييز من الصحابة بين مثل هذه من موضع لآخر فإن ذلك يرجع إلى حكم أهمها الله لهم ، وأسرار أجزاها الله على أيديهم في رسم المصاحف ، وأن هذا من إعجاز القرآن في رسمه كإعجازه في لفظه .. ولكن ابن خلدون لم يفهم أو لم يرق له ما حاوله بعض العلماء من أمثال أبي العباس المراكشي من استكناه هذه الأسرار أو الكشف عنها حيث قال فيما مضى في « لأذبحنه » زيدت الألف تنبيهاً على أن المؤخر أشد في الوجود من المقدم عليه لفظاً ، فالذبح أشد من العذاب « أ . ه .

وذلك لأن سيدنا سليمان صلى الله عليه وسلم قد توعد الهدهد - لما افتقده - بالعذاب بالضرب مثلاً أو بالذبح . . فقال الله مخبراً بذلك : « لأعذبه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين » (٣)

(١) الآية ٣٤ من سورة إبراهيم .

(٢) الآية ١٨ من سورة النحل .

(٣) الآية ٢١ من سورة النمل .

وكذلك « بأبيد » في قوله تعالى : « والسماء بينناها بأبيد » (١) زيدت الياء الثانية إشارة إلى أن القوة التي بنى الله بها السماء هي أحق بالثبوت في الوجود من الأيدي التي هي جمع يد .

وكأن ابن خلدون لم يعرف قاعدة النحو المشهورة القائلة « زيادة المبني تدل على زيادة المعنى » .

ثم إننا نرى ابن خلدون في موضع آخر من مقدمته يربط بين علم القراءات وبين رسم المصحف فهو إذن يرد على نفسه فينقض ما قاله آنفاً . . . ومما قال : « وربما أضيف إلى فن القراءات فن الرسم أيضاً ، وهي أوضاع حروف القرآن في المصحف ورسومه الخطية لأن فيه حروفاً كثيرة وقع رسمها على غير المعروف من قياس الخط كزيادة الياء في « بأبيد » وزيادة الألف في « لأاذبحنه » . . . وحذفت الألف في مواضع دون أخرى وما رسم فيه من التاءات ممدودا والأصل فيه مربوط على شكل الهاء وغير ذلك ، فلما جاءت هذه المخالفة لأوضاع الخط وقانونه احتيج إلى حصرها فكتب الناس فيها أيضاً عند كتبهم في العلوم » أ . هـ .

وبمناقشة هذا الرأي في تعليقه بما قال أبو بكر البلاقلاني وبما قاله ابن خلدون يتبين ضعفه فلا يعتد به وتقل أهميته .

ثانياً : نأتى إلى مناقشة الرأي الثالث فنقول :

إذا تمت كتابة المصاحف بالرسم الإملائي الحديث للعامة ،

(١) الآية ٤٧ من سورة الذاريات .

(٢) مقدمة ابن خلدون الباب السادس الفصل الحادى عشر « علوم القرآن من

التفسير والقراءات » ص ٤٠٣ طبعة دار الشعب بالقاهرة .

وتمت كتابته بالرسم العثماني القديم للخاصة حفاظاً على التراث - كما يقول عز الدين بن عبد السلام - أو الاحتياط للقرآن - كما يقول الشيخ عبد العظيم الزرقاني - إذا تم هذا وذاك والعوام كثيرون ، والخواص قليلون فسوف يتطلب ذلك نسخ الأعداد الكثيرة لكثرة العوام ، ونسخ القليل لقلّة الخواص ، ومع كثر الزمن وتعاقب الأجيال تندثر النسخ المكتوبة بالرسم العثماني ، بل وتهمل - كما اندثر مصحف الإمام المجرد من النقط والتشكيل - وبهذا يخفى الأثر الإسلامي في كتابة المصاحف التي بين أيدينا اليوم ، وبالتالي يعتمد الناس في قراءتهم على المصاحف المرسومة بالرسم المستحدث فينقطع حبل التلقي بين الطلاب والحفاظ مع أن أهم ما في القرآن هو التلقي لتدوم سلسلة الإسناد متصلة .

ثالثاً : إذا كان السبب الدافع إلى كتابة المصاحف بالرسم المستحدث هو هذه الأحرف الساقطة كتابة وثابتة نطقاً أو بالعكس ، فإن الكتابة بالإملاء الحديث لا تخلو من ذلك في كتاباتنا العادية في غير القرآن الكريم .. فإننا ننطق كلمات مثل (هذا - ذلك - لكن - هؤلاء - أولئك) وفي كل منها ألف محذوفة كتابة ، ومنطوقة قراءة بعد (هاء) هذا و (ذال) ذلك و (لام) لكن .. الخ .. وأما العكس فاننا لا ننطق حروفاً مكتوبة مثل (الواو) بعد (ألف) أولئك و (الألف) بعد (واو) الجماعة مثل قالوا ، وأعطوا و (اللام) في مثل الشمس والنهار ..

وليس هذا الحال قاصراً على اللغة العربية وحدها ولا على رسم المصحف وحده .. بل عم ذلك جميع اللغات التي يتكلم بها البشر .

وليك أشهر اللغات انتشاراً وهي الإنجليزية والفرنسية والألمانية .

ففي اللغة الإنجليزية : كلمات عدد حروف هجائها كتابة يزيد
عنها نطقاً ، أو ينقلب الحرف المكتوب عند النطق إلى حرف آخر
لا يجانسه ولا يتحد معه في المخرج .

مثال ذلك : في اللغة الإنجليزية :

الكلمة بالعربية	الكلمة بالإنجليزية	النطق باللغة العربية
سرور	Pleasures	(بليجر) قلب حرف S الأول إلى G وحذف الحرفان الأخيران فلم ينطقا
مقبرة	Tomp	(توم) لم ينطق الحرف الأخير P
يعرف	Knew	(نيو) لم ينطق الحرف الأول K

مثال في اللغة الفرنسية :

الكلمة بالعربية	الكلمة بالفرنسية	النطق باللغة العربية
يعمل	Travail	(ترافاي) حذفت الحروف الأخيرة (LLE)
ريف	compagne	(كمبني) حذفت الحرف G وقلب الحرف o إلى a
كثير	Beaucoup	(بيكو) لم ينطق الحرفان الأخيران np

مثال : في اللغة الألمانية :

الكلمة بالعربية	الكلمة بالألمانية	النطق باللغة العربية
عامل	arbiter (أيبير) لم يظهر في النطق	الحرف (r) الأول
إلى اللقاء	auf wiederseun (أوف فيدرزي)	قلب حرف (w) عند النطق وحذف من النطق حرف (n) الأخير

وبعد . .

فلعل أكون قد وفيت موضوع كتابة القرآن الكريم بعض حقه من البحث والتحجيص بما يجلي وجه الحقيقة . . وهو أن رسم القرآن توقيفي لا تجوز مخالفته، وأن الدعوة إلى كتابة المصحف بالهجاء الحديث تؤدي إلى ضياع الرسم العثماني ، وبذلك تضيق - لا قدر الله - ميزة القرآن عن غيره من الكتب السماوية السابقة .. وإذا كانت اللغة العربية الفصحى تجمع حولها مائة مليون عربي ، فإن رسم المصحف العثماني يجمع حوله ألف مليون مسلم قابلة للزيادة .

ونزيد على ذلك أن قواعد الهجاء غير ثابتة من عصر إلى عصر . . فلو كتب بها المصحف ثم تعاقبت الأجيال ، وتغيرت قواعد الكتابة ، ودار في فلكها رسم المصحف لصعبت قراءة المكتوب بها ، واعتبرت القديمة منها أثراً .. وهكذا . . فيرفع الأمان عن ألفاظ القرآن ، ويجعل الناس يختلفون فيها بالزيادة والنقصان ويتنازعون بشأنها بين التضعيف والرجحان .

إذن فالأفضل والأولى اتباع الرسم العثماني حتى يبقى للقرآن
جلاله ، وللفظه صونه واحترامه .

والله تعالى أعلم

ملاحظة هامة : إذا كان رسم المصحف في عهد عثمان هو نفس
الرسم الذي كتب به في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر
رضي الله عنه فلماذا أطلق عليه الرسم العثماني . وكان الأولى أن يـ
الرسم النبوي ، أو الرسم البكري ؟ .

والجواب : لقد كان هذا الرسم هو الذي كتب في عهد النبي صلى
الله عليه وسلم ، ومن بعده في عهد أبي بكر . ولكن لم ينسب إلى
أحدهما ، لأن المصحف في عهديهما لم يكن منتشرأ وذائعاً بين صفوف
المسلمين في جميع مواطن الإسلام ، وكان قاصراً على الحفاظ من
الصحابة رضوان الله عليهم ، وأن القرآن في العهد النبوي كان محفوظاً
في الصدور ، منقوشاً في الرقاع واللخاف . . وبذلك لم يكن مصحفاً
ذا دفتين بالمعنى المفهوم والشكل المشهور . وفي العهد البكري كان
مجموعاً في صحائف وسوره موزعة فيها ، وهذا لم يكن مصحفاً
ذا دفتين أيضاً .

أما في عهد عثمان رضي الله عنه فنسخ ما في صحيف أبي بكر
إلى مصاحف وزعت على الأقطار، وكل بلد نسخت عنه ووزعته على
طوائفها وعلماؤها وقراءها، فكان أخرى أن ينسب ذلك إلى عثمان ،
وأولى بإضافة الرسم إليه لأنه عمل شامل اشتركت فيه الأمة ، وعثمان
هو الذي قادها إلى جمع المصحف ليجمع الناس على ما قرأ به

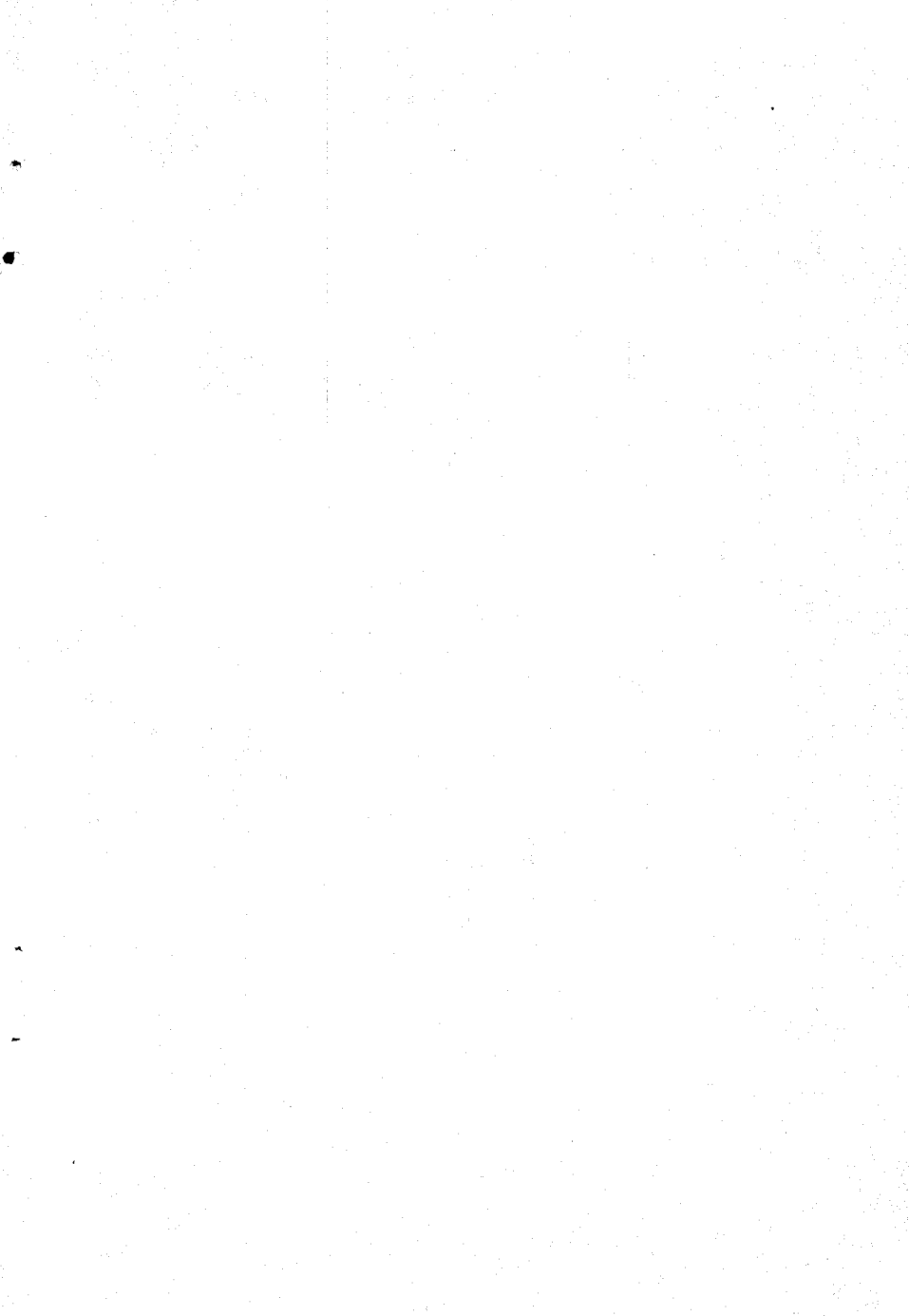
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكرس كل جهده ، وجند الهيئة
العليمة بالقرآن ومكنوناته .. ولهذا نسب رسم المصحف إليه .

نضيف إلى ذلك اتساع البلاد ، وامتزاج العرب بالعجم مما
كان سبباً في اختلاف اللهجات الإقليمية ، مع اختلاف المبعوثين
بالإسلام إلى هذه البلاد المفتوحة .

كل هذا دفع عثمان إلى جمع الأمة كلها على رسم معين ، بدلا
من الرسوم المتباينة .. فكان حرياً بأن ينسب إليه رسم المصحف فيقال :
الرسم العثماني .

والله تعالى أعلم





الفصل الرابع

حُكْمُ تَرْجَمَةِ نِصِّ الْقُرْآنِ وَأَضْرَارِهَا

قال الله تعالى في سورة المائدة : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » (١) .

هنا أمر من الله للنبي صلى الله عليه وسلم بأن يبلغ تنزيل الله إلى الناس .. ولكن هل إلى قوم مخصوصين وبأى لغة ؟ لا .. فإن القرآن يبين المقصودين بوصول الدعوة إليهم ، ويحدد لغة التبليغ .. فقال تعالى : « وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين » (٢) .

فهذه الآيات تفصيل لما أجمل في الآية الأولى حيث أنه قد ورد فيها « رب العالمين » ليشمل العالم العربي والعجمي والحنى والملائي وما وراء ذلك من عوالم - لا نعلمها - الله يعلمها وإنك لتستطيع أن تجعل الآيات الأربع كالحلقة أولها وآخرها في يدك فإنك ستجدها هكذا .

« وإنه لتنزيل رب العالمين بلسان عربي مبين » ووسطها « نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين » أى أن رسول السماء جبريل أمين على هذا التنزيل الذى يثبت فى قلبك بل هو يشمل كل قلب فكأن قلب الرسول صلى الله عليه وسلم قد غطى بالقرآن وتدفرت به .. واللسان ترجمان القلب فلا يستطيع أن يعبر بغير ما فى قلبه .. فأنذر يا محمد الأمم المختلفة فى لغاتها ولهجاتها بلسان التنزيل العربى .. فإما النطق بنص التنزيل تلاوة وإما لا . . . ولذلك

(١) الآية رقم ٦٧

(٢) سورة الشعراء آيات رقم : ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥

تحرم روايته بالمعنى بألفاظ عربية مرادفة لألفاظ القرآن .

ولو اقتصرنا على هذا الحد من القول في شأن ترجمة القرآن
لكفى .. ولكن من الناس من لا يقتنعون من قريب ، فهؤلاء نعرفهم
بإجماع علماء الإسلام على تحريم قراءة القرآن وكتابته بغير لغته
التي نزل بها .. فقد قال صاحب^(١) البرهان : « لا تجوز قراءته
بالعجمية سواء أحسن العربية أم لا ، في الصلاة وخارجها .. لقوله
تعالى : « إنا أنزلناه قرآنا عربياً » ثم قال : « واستقر الإجماع على
أنه يجب قراءته على هيئته التي يتعلق بها الإعجاز لنقص الترجمة عنه
ولنقص غيره من الألسن عن البيان الذي اختص به دون سائر
الألسنة .. وإذا لم تجز قراءته بالتفسير العربي لمكان التحدى بنظمه
فأحرى أن لا تجوز الترجمة بلسان غيره » أ . هـ

ثم ذكر الزركشى أقوال العلماء في ذلك فقال :

قال الففال : « عندي أنه لا يقدر أحد أن يأتي بالقرآن بالفارسية^(٢) .
قيل له : فإذا لا يقدر أحد أن يفسر القرآن .. قال : ليس كذلك ..
لأن هناك يجوز أن يأتي ببعض مراد الله ، ويعجز عن البعض .. أما إذا
أراد أن يقرأه بالفارسية فلا يمكن أن يأتي بجميع مراد الله .. أي أن
الترجمة إبدال لفظة بلفظة تقوم مقامها .. وذلك غير ممكن بخلاف
التفسير » .

وقال أبو الحسين بن فارس في كتابه فقه العربية : « لا يقدر
أحد من الترجمة على أن ينقل القرآن إلى شيء من الألسن » ثم قال :

(١) الإمام الزركشى ص ٤٦٤ وما بعدها .

(٢) أو بأي لغة أخرى غير عربية انظر البرهان ج ١ ص ٤٦٥ .

لأن العجم لم تتسع في الكلام اتساع العرب .. ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله تعالى : « وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء »^(١) لم تستطع أن تأتي بهذه الألفاظ مؤدية عن المعنى الذي أودعته ، حتى تبسط مجموعها ، وتصل مقطوعها ، وتظهر مستورها فتقول : « إن كان بينك وبين قوم هدنة وعهد فحفت منهم خيانة ونقضاً ، فأعلمهم أنك قد نقضت ما شرطته لهم ، وأذنهم بالحرب ، لتكون أنت وهم في العلم بالنقض على سواء » أ . ه .

وفي مذهب المالكية : جاء في حاشية^(٢) الدسوقي على شرح الدردير ج ١ لا تجوز قراءة القرآن بغير العربية ولا يجوز التكبير في الصلاة بغيرها ، ولا بمرادفها من العربية .

مذهب الحنابلة : قال صاحب المغني ج ١ : « ولا تجزئه القراءة بغير العربية ، ولا إبدال لفظ بلفظ عربي ، سواء أحسن القراءة بالعربية أم لم يحسن » .

وقال ابن حزم في كتاب المحلى ج ٣ : « من قرأ أم القرآن - أى الفاتحة - أو شيئاً منها أو شيئاً من القرآن في صلاته مترجماً بغير العربية أو بألفاظ عربية غير الألفاظ التي أنزل الله تعالى عامداً لذلك أو قدم كلمة أو آخرها عامداً لذلك ، بطلت صلاته وهو فاسق لأن الله تعالى قال : « قرآنا عربياً » . وغير القرآن ليس عربياً فليس قرآناً ، وإحالة عربية القرآن تحريف لكلام الله .. وقد ذم الله تعالى من فعلوا ذلك فقال : « يحرفون الكلم عن مواضعه » أ . ه .

(١) الآية رقم ٥٨ من سورة الأنفال .

(٢) مناهل العرفان للزرقاني ج ٢ بتصرف ص ٥٨ .

بعد أن ذكرت الأدلة من القرآن ، وأقوال العلماء في حكم الترجمة وعرفنا إجماعهم على التحريم أذكر هنا أوجه الحكمة في المحافظة على لغة القرآن العربي : (١) .

أولاً : أن الترجمة الحرفية تستلزم المحال ، وما يستلزم المحال محال ، والمحال هنا هو أن لا بد من الوفاء بجميع المعاني الأولية والثانوية للقرآن ، وبجميع مقاصده الرئيسية التي هي الأولية والثانوية للقرآن ، وبجميع مقاصده الرئيسية التي هي الهداية والآية والتعبد .. وهذا مستحيل لأن المعاني الثانوية للقرآن مدلوله لخصائصه العليا التي هي مناط بلاغته وإعجازه ، وما كان لبشر أن يحيط بها فضلاً عن أن يحاكيها في كلام له .

ثانياً : أن هذه الترجمة تشجع غير العرب على انصرافهم عن الأصل العربي مكتفين بما يشاع عندهم من الترجمات ، فإذا امتد الزمن وتعاقت الأجيال عليها فسوف يقال : إنها القرآن ، ولا يقال ترجمة له .. وربما طفق الكليل فقيل : قرآن إنجليزي أو فرنساوي .. مثلاً . وبذلك يضيع ، وضياعه نكبة تغرى النفوس على التحريف في دين الله ما دامت قد ضعفت هيئته على اللسان العربي .

ثالثاً : إذا فتحت أبواب الترجمة فسوئدى ذلك إلى التزامم الخطير عليها بمعنى أن كل أمة تترجم القرآن إلى لغتها ، وتقوم هي الأخرى بنفس الدور من لغتها إلى لغات غير لغتها وهكذا دواليك .. وحينذاك لا يستطيع أحد تمييز الأصل من الفرع ، ولا الصواب من الخطأ فتضيع الحقيقة ، وأخذت كل أمة تقول - ادعاء - : قرآننا أصح

من قرآن غيرنا . . وهذا أخطر الخطر ، وينطوى على الكفر الصريح .

رابعاً : أن هذه الترجمة تذهب بالعامل المهم في مقومات المجتمع الإسلامي الذي يعتبر الدين هو رباطه المتين في علاقات الأوطان الإسلامية داخلياً وخارجياً . . وعماد الدين الإسلامي هو القرآن العربي .

ثم إن أمة الإسلام بمثابة العقد المنظوم بحبل الله الذي يقول : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » (١) . فإذا انقطع الحبل تفرقت حبات العقد وتناثرت .

هذه هي الحكم التي وفي الله بها المسلمين مما كان يحق بهم من التصرف في لغة القرآن . . وقد طالعنا التاريخ بوجوده من أعين الأمة الذين برزوا في كل فروع العلوم بالرغم من أنهم ينتمون إلى سلالات غير عربية .

فن الفرس . الصحابي الجليل سلمان الفارسي في إدارة الحروب وفن القتال . والإمام البخاري أمير المؤمنين في علم الحديث وكذلك النسائي والترمذي . وابن رشد في الفقه والفلسفة . والقرطبي في التفسير . والزنجشري في البلاغة الذي نراه يتعصب للعربية فيقول : « الحمد لله على أن جعلني من علماء العربية ، وجعلني على الغضب للعربية ، وأبى لي أن أفرد عن صميم أنصارهم وأمتاز ، وأنضوي إلى لفيف الشعوبية وأنحاز ، وعصمتني من مذهبهم الذي لم يجد عليهم إلا الرشق باللسنة اللاعنين ، والمشق بألسنة الطاعنين » (٢) .

(١) الآية رقم ١٠٣ من سورة آل عمران .

(٢) قول الزنجشري والبيروني ذكره الشيخ محمد سليمان في كتابه من أخلاق

ويقول أبو الريحان البيروني - وهو من أصل غير عربي - :
« الهجو بالعربية أحب إلى من المدح بالفارسية » ويقول : « ديننا
والدولة عربيان توأمان يرفرف على أحدهما القوة الإلهية ، وعلى
الآخر اليد السماوية .. وكما احتشدت طوائف من التوابع وخاصة منهم
(الجبل والديلم) في لباس الدولة جلايبب العجمة ، فلم ينفق لهم في
المراد سوق ، وما دام الأذان يقرع آذانهم كل يوم خمساً ، وتقام
الصلاة بالقرآن العربي المبين خلف الأئمة صفأ صفأ ، ويخطب به
لهم في الجوامع بالإصلاح ، كانوا للبين والفم ، وحبل الإسلام
غير منقسم ، وحصنه غير منتمل » .

وبعد فلعل بهذا البيان يكون قد وضع الحق ، واستقر في الأذهان
حكم ترجمة القرآن بنصه ترجمة حرفية من لغته إلى اللغات الأجنبية .

أما الترجمة التفسيرية بمعنى أن يترجم تفسير القرآن ، فهذه
ليست بنقل لنص الآيات ولكن يقوم المترجم بنقل ما يدل على معاني
كلمات القرآن إلى كلمات غير عربية .

فهذه جائزة بشرط أن يعنونها المترجم بأنها ترجمة تفسير .
هذا والله أعلم .



الفصل الخامس كيف نتعامل مع المصحف كتابة

وفيه مسائل :

- ١ - فيما يتعلق بالكاتب وأدوات الكتابة .
- ٢ - في حكم كتابة القرآن الكريم على الجدران .
- ٣ - في حكم تأول القرآن الكريم في غير ما أنزل له .
- ٤ - في حكم بيع الآيات المكتوبة في لوحات خطية وحكم تصغير الخط إلى درجة عدم إمكان القراءة .
- ٥ - في حكم كتابة القرآن فيما هو معرض للتلف .
- ٦ - في حكم كتابة القرآن بالذهب أو الفضة .

المسألة الأولى :

فما يتعلق بالكاتب وأدوات الكتابة :

يقول سبحانه وتعالى : « فلا أقسم بمواقع النجوم . وإنه لقسم لو تعلمون عظيم . إنه لقرآن كريم . في كتاب مكنون . لا يمسه إلا المطهرون . تنزيل من رب العالمين » (١) .

« في كتاب مكنون » يعنى مصون من النجاسات والحبائث ،

(١) الآيات رقم ٧٥ - ٧٩ من سورة الواقعة .

والتحريف والتبديل ، (وذلك في أقرب الأقول) ومن العلماء من تشدد في ذلك فقال : لا يجوز للمحدث مسه ولا قراءته حتماً ولو كان محدثاً حديثاً أصغر .

ومن المعروف أن المصاحف تكتب على ورق وعداد وأقلام ، أو بألات الطباعة .. فيجب أن تكون هذه الأدوات طاهرة ، فلا يكتب على ورق متنجس ، ولا مغصوب ولا مسروق ، ولا تشتري الأدوات بمال فيه ريباً أو شبهة الربا أو بأى مال فيه شبهة الحرام بكل ألوانه ، كما أن المساء الذي يذاب فيه المداد يجب أن يكون طاهراً .

أما الكاتب : فيشترط فيه ما يشترط في القارئ من حيث الآداب العامة ، والطهارة من الحدث الأكبر ، ومن الحيض والنفس بالنسبة للمرأة .

أما الحدث الأصغر فيجوز فيه التفصيل .. فان كان يكتبه للتعليم فلا تلزمه الطهارة منه ، وإن كان يكتبه ليتعبد بتلاوته فتلزمه الطهارة من الحدثين الأصغر والأكبر .

أما عمال الطباعة الذين يعملون في طباعة المصاحف من جمع الحروف والملازم والتدريس والتطيف فهؤلاء يتطهرون من الحدث الأكبر فقط ، والمرأة من الحيض والنفس .

ولكن لا تلزمهم الطهارة من الحدث الأصغر مراعاة لمكثهم زمناً طويلاً في العمل ، وإلزامهم بهذه الطهارة فيه حرج لهم ، وتضييق عليهم .. وتأخذ في ذلك عموم قوله تعالى : « وما جعل عليكم في

الدين من حرج» (١) وقوله تعالى « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » (٢)
وإن كان الأولى الطهارة من الحدث الاصغر عند القيام بطباعة أو
كتابة المصاحف .. فيكون ترك الطهارة منه من باب ترك الأولى ولكن
لا إثم فيه .

وإذا كنا نمنع الكتاب وعمال الطباعة المسلمين من مباشرة
عملهم في المصاحف وهم محدثون بالحنابة وما يماثلها فكيف بمن هم
غير مسلمين في البلاد الأجنبية ويقومون بطبع المصاحف في مطابعهم
فالمبغض آكد في حقهم ، لأنهم لا يتحورزون عن الأحداث والأخبار
ولا يتورعون عن امتهان المصاحف .. فعامل الطباعة المسلم يستقر في
نفسه احترام المصحف فيكون شأنه في ذلك غير شأنه لو كان يطبع
شياً غير القرآن .

أما الأجانب عن الإسلام فشأنهم مع المصحف كشأنهم مع
غيره ، ثم إنهم غير مأمونى الجانب من مثل التحريف وغيره .. فواجب
المسلمين أن لا يمكثوا الأجانب من طبع المصاحف .
والله تعالى أعلم .

• • •

المسألة الثانية :

في حكم كتابة القرآن على الجدران (٣) :

الجدران إما جدران مساجد، وإما جدران منازل وما شابهها ..
فجدران المساجد اتفق الأئمة على كراهة كتابة شيء من القرآن عليها ..

(١) الآية ٧٨ من آخر سورة الحج .

(٢) الآية ٢٨٦ من آخر سورة البقرة .

(٣) الفقه على المذاهب الأربعة طبعة وزارة الأوقاف .

فقال المالكية : « إن كانت الكتابة في القبلة كرهت لأنها تشغل المصلى سواء كان المكتوب قرآنا أو غيره ، ولا تكره فيما عدا ذلك » .
وقال الشافعية : « يكره كتابة شيء من القرآن على جدران المسجد وسقوفه ، ويحرم الاستناد لما كتب فيه من القرآن بأن يجعله خلف ظهره » .

وقال الحنابلة : « تكره الكتابة على جدران المسجد وسقوفه ، وإن كان فعل ذلك من مال الوقف حرم فعله » .

وقال الحنفية : « لا ينبغي الكتابة على جدران المسجد خوفا من أن تسقط وتهان بوطء الأقدام » .

فاننا أمام أقوال الأئمة نجد المالكية يعللون الكراهة بإشغال المصلى ، والحنفية يعللونها بالخوف من سقوط الجدران ، ثم الإجماع منهم جميعاً على الكراهة بصفة عامة .. أما جدران المنازل وماشابهها . فإن علة الكراهة قائمة بسبب عدم التحرز من تطاير التنجاسات أو عبث العصيان .. قال الإمام القرطبي في مقدمة تفسيره^(١) : « ومن حرمة - أي القرآن - ألا يكتب على الأرض ولا على حائط كما يفعل بهذه المساجد المحدثه^(٢) .. ثم روى عن محمد بن الزبير قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يحدث قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب في أرض .. فقال لشاب من هذيل : « ما هذا ؟ » قال من كتاب الله كتبه يهودى ، فقال : « لعن الله من فعل هذا .. لا تضعوا كتاب

(١) ص ٢٦ طبعة دار الشعب بالقاهرة .

(٢) المساجد المحدثه بالنسبة لزمها وبالنسبة لنا أثرية . والرواية قال حدثنا محمد بن علي الشقيق عن أبيه عن عبد الله بن المبارك عن سفيان عن محمد بن الزبير قال سمعت عمر بن عبد العزيز .. الخ .

الله إلا موضعه » وقال محمد بن الزبير : « رأى عمر بن عبد العزيز ابنا له يكتب القرآن على حائط فضربه » فالرواية الثانية هي الشاهد على هذه المسألة فلو كانت كتابة القرآن على الجدران مباحة لما منع عمر بن عبد العزيز ابنه من الكتابة .

هذا والله تعالى أعلم .

* * *

المسألة الثالثة :

حكم تناول القرآن الكريم في غير ما أنزل له .

التأول هنا على نوعين : نوع بالكتابة ، ونوع بالنطق ..

فأما الذى بالكتابة فمثل الذى نراه مكتوباً فى المتاجر والمطاعم والمشارب والفنادق (اللوكندات) وما شابه ذلك .. فإنك تجد صاحب المطعم قد كتب على باب مطعمه أو فى داخله آيات قرآنية مثل : « كلوا واشربوا هنيئاً » ومثل « ولحم طير مما يشهون » .

ونحن نرى أن هاتين الآيتين تتحدثان عن أكل وشرب الخنة ، وكذلك لحم الطير .. ومن المشهور يقيناً والمؤكد أن أكل الخنة وشربها لا يكون إلا للمؤمنين الصادقين .. والمطعم يدخله المؤمن والكافر ، والبر والفاجر فكيف يأكل الكفرة والعصاة والفجرة من هذا الأكل الخاص بالمؤمنين المتقين ؟ .. وهذا تناول بآيات القرآن يخرجها عما أنزلت بخصوصه .

أما لو كتب مثلاً الآية التى تقول : « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » أو الآية التى تقول : « يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالاً طيباً

ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » لو كتب مثل هذه الآيات لكان أفضل .. إذ أنها تتضمن النهي عن الإسراف وتتضمن الأمر بالأكل من المال الحلال والطعام الحلال ، وترك خطوات الشيطان .. ولكني أعتقد أن صاحب المطعم لا تعجبه الآية الأولى لأنها تنهى عن الإسراف .. وهو يجب أن يأكل الناس بأسراف حيث يكون هو الرابع . !!

وأما محلات المشارب كمحال عصير الفواكه فانهم يكتبون « ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً » ومنهم من يكتب « وجعلنا من الماء كل شيء حي » .

فالآية الأولى فيها خروج عن مقصدها الذي أنزلت بشأنه .. وهو أن السقيا من الكأس المزوج شرابه بالزنجبيل ، هو شراب أهل الجنة فلا يطعمه إلا أهلها ويحرمه من كان فاسقاً أو عاصياً وفاجراً أو كافراً .. ومحلات العصير في دنيانا يدخلها الصالح والطالح .. فكيف بالفساق والعصاة والفجرة والكفرة يشربون .. وهذا خروج بالآية الكريمة عن مضمونها .. أما الآية « وجعلنا من الماء كل شيء حي » ففيها الموعظة الحسنة إذ تذكر الناس بقدره الخالق القدير .

وأصحاب الفنادق يكتبون : « ادخلوها بسلام آمين » . وهذه أيضاً للجنة .

وما قيل عن المطاعم والمشارب يقال هنا وأشد منه لأن من الفنادق ما يجري فيه المنكر والفحشاء .

هذا مع التنبيه على أن الإنسان إذا أراد أن يكتب آيات قرآنية مثل « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » ألا يكتبها على جسم الحائط وإنما تكون

في إطار أى برواز لأنه كما علم من المسألة السابقة أن كتابة القرآن على الحدران مكروهة .

وأما التأويل بالنطق : كأن تكون في صلاة وبجوارك شيء ثم أتى أحد الناس يستأذنك في أخذه ، وأنت لا تريد قطع الصلاة - ولا تقطعها - وتكون في القراءة فتقول بقراءتك « فخذها بقوة » فيكون هذا تأويلاً وهو محرم ، وتبطل إذا كان قصد قائلها التكلم . أما إذا كانت قراءة له أصلاً وصادفت حضور من يستأذن في أخذ الشيء فلا تبطل الصلاة به .

والله تعالى أعلم .

• • •

المسألة الرابعة :

في حكم بيع الآيات المكتوبة في لوحات خطية وحكم تصغير الخط إلى درجة عدم إمكان القراءة بالعين المجردة .

الحكم الأول : إننا نرى مع بائعي الصحف وبائعي اللوحات وفي المكتبات إطارات بين محيطها آية أو جزء آية من القرآن لعرضها للبيع فما حكم هذا . . . ؟

إن مثل هذه الآيات ليس في كتابتها حرج لأنها مستوفية حقها من الكتابة بالخط الحسن الجميل .. ومن آداب كتابة القرآن أن يحسن خطه ، إلا أنى أضع بشأنها تنبيهات وأقيدها بآداب بالنسبة للكاتب

(١) إشارة إلى قوله تعالى في قصة موسى مخاطباً له : « وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوها بأحسنها سآوريكم دار الفاسقين » ورقم الآية ١٤٥ من سورة الأعراف .

والبائع والمشتري .. فأداب الكاتب قد سبق ذكر بعضها في المسألة الأولى ، والبعض الآخر : أن ينبه على أنها آية من القرآن وأن يكتب الآية كاملة كآيات القسم فلا بد أن يكتب الآية التي بعدها وفيها جواب القسم مثل « والضحى والليل إذا سجى » ولا يقتصر على ذلك بل يكتب التي بعدها وهي جواب القسم « ما ودعك ربك وما قلى » حتى يتم الكلام من القسم وجوابه .. وكذلك آيات المسألة .. فلا بد أن يكتب جواب السؤال مثل « يستلوفك عن الروح » فلا يقتصر على كلمة الروح بل يكتب ما بعدها « قل الروح من أمر ربي » .. وهكذا . . . وأن يختار الآيات التي فيها إنذار أو تبشير أوحث على الفضائل كالصبر ، والإنفاق في سبيل الله ، والبر بالوالدين ، والجهاد ، وحب الاستشهاد في سبيل الله ، والصلاة . . . الخ .

وآداب البائع باعتباره حاملاً لها فيجب ألا يكون جنباً ، وأن لا يكذب في تحديد ثمنها ، وإذا كان هذا حراماً في جميع المبيعات فالحرمة أشد بالنسبة لهذه . . . ومن آدابه أن لا يتناولها بيده اليسرى .. ومن آداب المشتري أن يكون طاهراً ، وأن يأخذها بيده اليمنى ، وأن لا يساوم في ثمنها ، وأن لا يفضل آية عن آية فالقرآن كله مفضل وعظيم ، وأن يقصد بشرائها التذكر والاتعاظ بما فيها ، لا بقصد تزوين الحدران بها ، وأن يجنبها الأماكن التي تنطرق إليها القاذورات والأنجاس ، وأن يبعدها عن عبث الأطفال ، وأن من في البيت لا يقرأونها بصوت أو تحريك شفاههم في حالة الخنابة ، وكذلك مسها وحملها .. أما مجرد النظر إليها أو قراءتها بالقلب في هذه الحالة فلا حرج عليه .

الحكم الثاني : حكم تصغير الخط إلى درجة عدم إمكان القراءة بالعين المجردة ..

إن المطلوب في قراءة القرآن الكريم أن تكون بخط واضح بحيث يستطيع القارئ له القراءة بدون تكلف أو مشقة أو إجهاد نظر .. وذلك لتيسير التلاوة والحفظ . أما لو كتب بخط صغير جداً تصعب قراءته فهذا مكروه .

قال القرطبي في مقدمة تفسيره (١) : « ومن حرمة - أي القرآن - أن يصغر المصحف . . روى الأعمش عن إبراهيم عن علي رضي الله عنه قال : لا يصغر المصحف .. قلت : وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه رأى مصحفاً صغيراً في يد رجل فقال : من كتبه ؟ قال : أنا .. فضربه بالدرة ، وقال « عظمو القرآن » أ . ه .

وروى ابن أبي داود السجستاني عن ابن المسيب (٢) قال « لا يقول أحدكم مسيئداً أو مصيحفاً .. ما كان لله تعالى فهو عظيم » أ . ه . وقال الإمام الزركشي : « وتكره كتابته في القطع الصغير » (٣) . وهذا الحكم بالكراهة ينطبق على القرآن الذي يكتب جميعه في صفحة واحدة بخط صغير جداً .

والله أعلم

• • •

(١) ص ٢٥ طبعة دار الشعب بالقاهرة . . هذا وقد قال القرطبي : روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى أن يقال مسيئداً أو مصيحفاً . والسيوطي قال عن ابن المسيب قال بدون إسناد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ومعنى هذا أنه من كلام ابن المسيب لا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وهو الصحيح وما في القرطبي خطأ .

(٢) الإتيقان في علوم القرآن للسيوطي ج ٢ ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٣) البرهان ج ٢ ص ٤٧٩ .

في حكم كتابته فيما هو معرض للتلف . .
من مظاهر احترام القرآن وتعظيمه أن لا يكتب في الأوراق
التي يغلب عليها التعرض للتلف . .

هذه قاعدة عامة . . ولكن لو أردنا تطبيقها فإننا نستطيع في
أحوال دون أحوال ، وهذه الأخيرة مثل الصحف اليومية والأسبوعية
– ويقصد بها غير المتخصصة في شئون الدين – لأن الصحف الدينية
أمرها معروف ويمكن لها الحيلة بحفظها . . أما الصحف غير الدينية
فإنها لا تخلو من كتابة القرآن ولو آية أو بعض آية . . وهي سريعة
التعرض للتلف والبلى ، وفي ذات الوقت هي وسيلة فعالة وهامة
في توعية الجماهير بالدين ففيها تحقق المصلحة وأي مصلحة . . وهنا
فلا بد من الإذعان للإفادة الهائلة لمجتمع المسلمين وهذه المنفعة العظيمة
العامة لو منعت الكتابة من الصحافة لحرم الناس منها حرماناً يكسر
القلوب ، والحيلة للقرآن حق لله ، ووعي الناس بدينهم حق لله والناس ،
وحق الله مبنى على المسامحة وحق الناس مبنى على المشاحة .

إلا أني أتنبه القائمين على شئون الطباعة أن ينهوا في أعلى الصحيفة
أن بها آية قرآن فتقطع مساحتها وتحرق . . والتحريق لا جرم عليه
ولا إثم إذ علم أن سيدنا عثمان رضي الله عنه لما نسخ المصاحف أحرق
الصحف الأولى .

وأنبه قراء الصحف إذا كان الواحد منهم لا يريد الاحتفاظ بالصحيفة
فعلية قبل إهلاكها أن يقطع الجزء الذي كتبت فيه الآية القرآنية ويحرقها

ولا إثم عليه بهذا الإحراق لأننا نعلم تمام العلم مصير هذه الأوراق
فإنها ترمى في كل مكان ظاهر أو نجس نظيف أو قذر وأنها تباع
للباعة ليلفوا بها بضاعتهم المبيعة للناس .

.. والله ..

لقد وجدت مرة ورقة صحيفة وبها آيات قرآنية في مرحاض
من المراحيض العامة .. وإذا كان الفقه الإسلامي يكره الاستنجاء من
البول والغائط بالورق المكتوب باللغة العربية لشرفها ومنزلتها ولأن
ما كتب فيها يتضمن حروفاً هي الحروف التي تتكون منها كلمات
القرآن والأحاديث النبوية وأسماؤه وأسماؤه الله وهكذا . . وإذا كان ذلك
مكروهاً في جانب نصوص القرآن والسنة يكون ذلك حراماً تحريمياً
فاحشاً .

وإذا كان الله سبحانه وتعالى يقول في شأن القرآن : « لا يمسه
إلا المطهرون » فأولى بنا وأوجب أن نحول بينه وبين النجاسات
و الأفتداز .. وقد روى لنا الإمام الزركشي في كتابه البرهان (١) قال :
« قال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمى في ذكر منصور بن
عمار أنه أوتى الحكمة وقيل : إن سبب ذلك أنه وجد رقعة في الطريق
مكتوباً عليها « بسم الله الرحمن الرحيم » فأخذها فلم يجد لها موضعاً
فأكلها ، فأرى فيما يرى النائم قائلاً قد قال له : قد فتح الله عليك
باحترامك لتلك الرقعة فكان بعد ذلك يتكلم بالحكمة » أ . هـ .

وأنا لا أقول بأكل ما يوجد من أوراق فيها قرآن ، ولكني
أقول بحرقها تأسياً بعثمان رضي الله عنه . . وثمة تنبيه أخير ، وهو :

(١) البرهان في علوم القرآن ج ١ ص ٤٤٩ .

إذا وجد مصحف قد أخذ في التلف ، فلا يوضع في الشقوق مثلاً ولا يدفن في الأرض . بل يحرق فإنه أحفظ له . والله تعالى أعلم

* * *

المسألة السادسة :

في حكم كتابة القرآن بالذهب أو الفضة :

وكتابه بالذهب والفضة يكون بصرهما ثم يكتب بالمنصر .. فهذا حرام .. لما فيه من إسراف .. وإذا كان القرآن هو الذي يدعو إلى الاعتدال والتوسط . فأولى أن يعمل فيه بما يدعو إليه . . ورب قائل يقول : إن كتابته فيه معنى التعظيم له .. وأقول : تعظيم القرآن بتلاوته ، والعمل به عبادة . وهذا الحكم بالنسبة للذهب .

أما بالفضة فحائز . والحائز منها التحلية فقط وليست الكتابة . بأن يحلى غلافه مثلاً أو الصندوق الذي يوضع فيه أو علاقته .

وفي فقه الشافعية (١) : « يجوز تحلية المصحف بالفضة للرجل والمرأة .. وأما بالذهب فلا يجوز إلا للمرأة » . والحائز من الذهب هو تحلية المصحف وليست الكتابة كما هو مذهب الشافعية بالنسبة للمرأة . وفي مقدمة تفسير القرطبي (٢) يقول : « ومن حرمة - أي القرآن - أن لا يحلى بالذهب ولا يكتب بالذهب فتخلط به زينة الدنيا .. وروى مغيرة عن إبراهيم أنه كان يكره أن يحلى المصحف أو يكتب

(١) الفقه على المذاهب الأربعة (عبدات) ص ٧٣٦ تحقيق وإعداد لجنة وزارة الأوقاف بالقاهرة .

(٢) ص ٢٥ طبعة دار الشعب بالقاهرة ..

بالذهب أو يعلم عند رموس الآي أو يصغر ، وعن أبي الدرداء (١) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا زخرتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدبار (٢) عليكم » وقال ابن عباس وقد رأى مصحفاً قد زين بفضة : « تغرون به السارق وزينته في جوفه » أ . ه .

وقال الإمام الزركشي في البرهان (٣) : « ويستحب تطيب المصحف وجعله على كرسي ، ويجوز تحليته بالفضة إكراماً له على الصحيح .. روى البيهقي بسنده إلى الوليد بن مسلم قال : سألت مالكا عن تفضيض المصاحف ، فأخرج إلينا مصحفاً فقال : حدثني أبي عن جدي أنهم جمعوا القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه ، وأنهم فضضوا المصاحف على هذا (٤) ونحوه : وأما التحلية بالذهب فالأصح أنه يباح للمرأة دون الرجل » أ . ه .

هذه هي الأقوال التي لم تجوز كتابة المصحف بالذهب وكذلك بالفضة ، ولكن أجازوا التحلية فقط بالفضة للرجال والنساء والتحلية بالذهب للنساء فقط . والله تعالى أعلم .

-
- (١) رواه الحكيم الترمذي ، أبو عبد الله في نوادر الأصول من حديث أبي الدرداء . والحديث أورده القرطبي في تفسيره لآية من سورة النور وهي قوله تعالى : « في بيوت أذن الله أن ترفع . . . الخ » ص ٤٦٥٩ طبعة دار الشعب بالقاهرة . هذا وقد مر تحقيق الحديث في فصل « توضيح كلمة المصحف » .
- (٢) الدبار : الهلاك وفي رواية : فالدمار بالميم بدل الباء .
- (٣) ص ٤٧٨ ج ١ .
- (٤) « هل هذا » إشارة إلى المصحف الذي أخرجه مالك وكان مفضضاً .



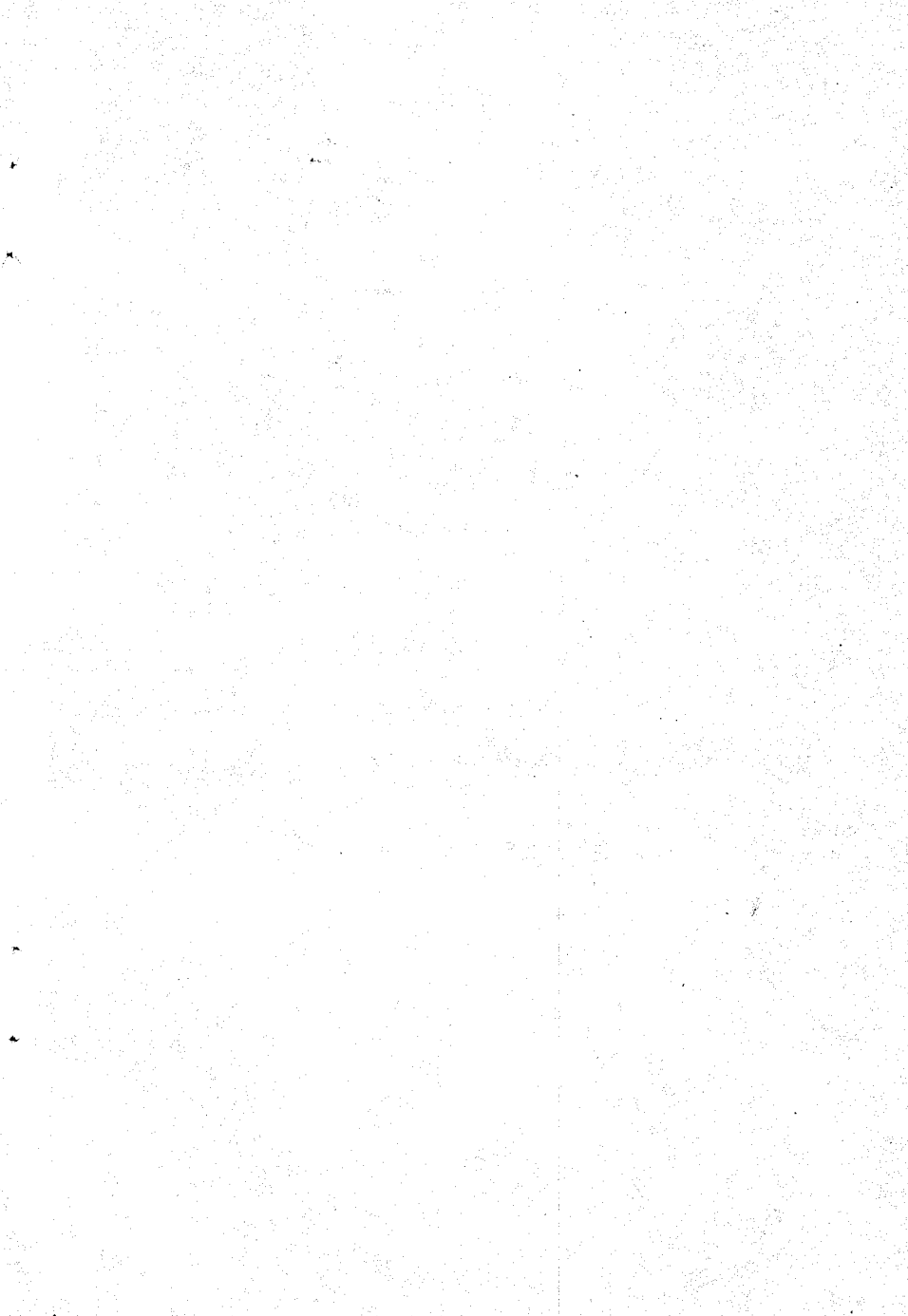
الباب الثالث

آدابُ تعليم القرآن

وتعليقه للغير

وفيه خمسة فصول :

- ١ - فضل تعلمه وتعليمه للغير .
- ٢ - حكم حصول المعلم على أجر .
- ٣ - آداب المعلم مع تلميذه ، ومع الناس .
- ٤ - آداب المتعلم مع معلمه ، ومع الناس .
- ٥ - حكم تعليم القرآن لغير المسلم .



الفصل الأول فضل تعلم القرآن وتعليمه

قال الله تعالى : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » (١) وقال جل شأنه : « إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم » (٢) . وقال عز من قائل : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لئن بينته للناس ولا تكتمونه » (٣) .

في الآية الأولى يأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بتبليغ ما أنزله عليه من الوحي إلى الناس . . . والتبليغ لفظ يشمل الإعلان بالدعوة ، والتعليم . . . ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من فوره بإعلام من معه من الصحابة ما نزل عليه ، ولا يتوانى في ذلك ، ثم إن الله سبحانه يتوعده إن كتم شيئاً من الوحي عن الناس .

وفي الآية الثانية يلعن الله من كتم الآيات البينات - التي تعلمها وحفظها - عن الناس . . . واللعن هو الطرد من رحمة الله ، ثم استثنى

(١) الآية ٦٧ من سورة المسائدة .

(٢) الآياتان ١٥٩ ، ١٦٠ من سورة البقرة .

(٣) الآية ١٨٧ من سورة آل عمران .

الله الذين تابوا واستقاموا على الطريق فبينوا ما عندهم من القرآن
والعلم للناس ، وجعلهم من أهل القبول في رحمته بتوبته عليهم .

وفي الآية الثالثة : أن هناك عهداً وميثاقاً من الله على كل أمة
نزل عليها كتاباً أن تتعلمه وتعلمه ، ولا تضن بتعليمه ، ولا تكتم
منه شيئاً .

ولا شك في أن أمة الإسلام هي خير الأمم ، وكتابها هو أفضل
الكتب ، فالأمر لها أكد وأبلغ من غيرها ، فصار واجباً عليها ألا تألو
جهداً ، ولا تترك سبيلاً فيه تبليغ القرآن وتعليمه إلا سلكته ، وما ذلك
إلا لأن القرآن تستنزل به الرحمات ، ويتقى به غضب الله ، وله
الفضل في هداية الناس ، وصلاح دنياهم وأخراهم . . يقول تعالى :
« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه
سبل السلام . ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى
صراط مستقيم » (١) .

وقال تعالى : « وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا
لعلكم ترحمون » (٢) .

لهذا وجب علينا نحن المسلمين العمل الدائب على تعليم كتاب الله
لأفراد الأمة بإنشاء مدارس لتحفيظ القرآن ، والاستعانة في ذلك
بجهود الحفاظ ، وبوسائل الاعلام المتنوعة . . وإني أرى أن الإذاعة
المرئية (التلفزيون) هي أفضلها لأنها تجمع بين السماع والرؤية
والكتابة على أن يختار لذلك الوقت المناسب للكبار والصغار .

(١) : آياتان ١٥ ، ١٦ من سورة المائدة .

(٢) الآية ١٥٥ من سورة الأنعام .

وبهذا تكون الدولة قد ساهمت في دعم علاقة الناس بكتاب الله ، وأدت دوراً فيه نفع الأمة بدلاً من حشو البرامج الإذاعية بالأغاني الخليعة ، والروايات والتعليقات التافهة والمفسدة .

فإذا تم استخدام هذه الوسائل في تعليم القرآن تكون الأمة قد ربت أبناءها ، وأرضت ربها .. وما ذاك إلا لما لحمة كتاب الله من فضل عظيم عند الله سبحانه . . وقد قال سبحانه : « إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور . ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور » (١) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى في صحيحه عن عثمان بن عفان : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » (٢) . وروى مسلم في صحيحه عن سعد بن هشام عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة » (٣) . والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران » (٤) . أى أجر المشقة وأجر القراءة .

وفي صحيح مسلم عن أبي إسحاق قال سمعت البراء (٥) يقول : قرأ رجل سورة الكهف وفي الدار دابة فجعلت تنفر فنظر فإذا ضبابة - أو صحابة - غشيتة قال فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم

(١) الآيتان ٢٩ ، ٣٠ من سورة فاطر .

(٢) صحيح البخارى كتاب فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه :

٢٣٦/٦

(٣) وهم الملائكة .

(٤) صحيح مسلم كتاب فضائل القرآن باب فضل الماهر بالقرآن : ١٩٥/٢

(٥) هو البراء بن عازب .

فقال : « إقرأ فلان فإنها السكينة نزلت عند القرآن » وفي رواية نزلت للقرآن» (١) وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بن كعب : « إن الله أمرني أن أقرأ عليك » قال : « آلهه سماني لك ؟ قال : « الله سماك لى » قال : — أى أنس — فجعل أبى يبكى (٢) .

وعن أبى أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تعلم آية من كتاب الله استقبلته يوم القيامة تضحك في وجهه » (٣) .
وعن أنس بن مالك قال (٤) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من علم ابنه القرآن نظراً (٥) غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ومن علمه إياه ظاهراً (٦) بعثه الله يوم القيامة على صورة القمر ليلة البدر ، ويقال لابنه : أقرأ فكلما قرأ آية رفع الله عز وجل الأب بها درجة حتى ينتهى إلى آخر ما معه من القرآن » .

هذا هو فضل تعليم القرآن عند الله ... فهلا نسعى لحفظه وتعلمه ..

وهلا نستعين بالقرآن حتى نكون مع الملائكة البررة الكرام .

(١) صحيح مسلم كتاب فضائل القرآن باب نزول السكينة لقراءة القرآن :

١٩٤٠١٩٣/٢

(٢) صحيح مسلم كتاب فضائل القرآن باب استحباب قراءة القرآن على أهل

الفضل : ١٩٥/٢

(٣) الحديث قال فيه الإمام الهيثمى صاحب كتاب مجمع الزوائد : « رواه

انطربانى ورجاله ثقات » ج ٧ ص ١٦١ نشر مكتبة القدسي بالقاهرة .

(٤) الحديث قال فيه الهيثمى : « رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه من لم أعرفه »

ج ٧ ص ٦٦ .

(٥) نظراً أى من المصحف .

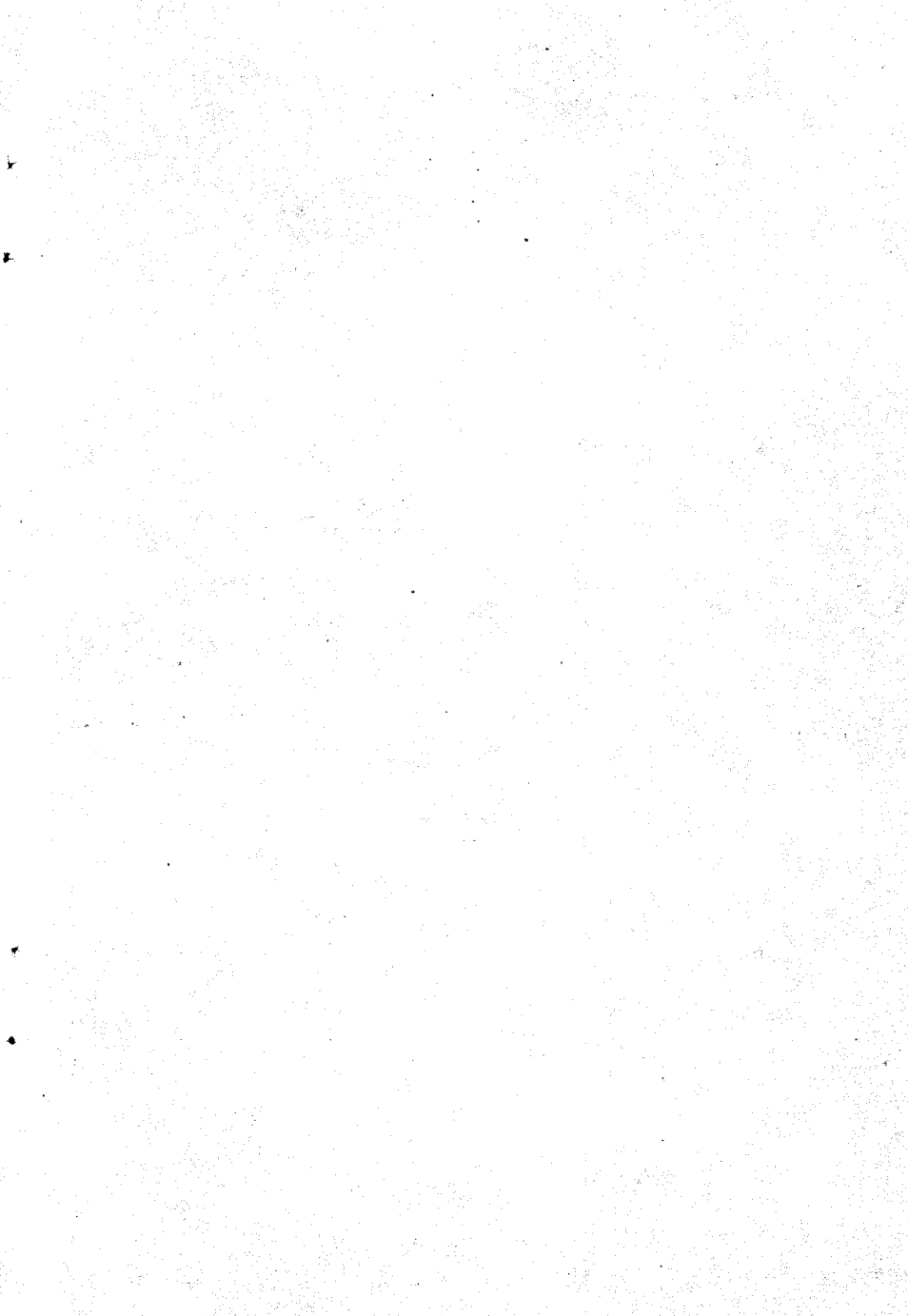
(٦) ظاهراً أى عن ظهر قلب .

وباب الله واسع لا يضيق إلا أعلى من استكف واستكبر .
فنسأل الله تعالى السلامة .

أو الآثار في فضل تعلم القرآن واستذكاره كثيرة فاخترت منها
لما يسمح به المقام .

والله تعالى أعلم .





الفصل الثاني حكم حصول المعلم على أجر

اختلف العلماء في هذه المسألة .. فنحن فريق أخذ الأجرة ، وفريق أباحها .

فن المانعين : الزهري وأبو حنيفة : قال الزهري : « لا يجوز » وقال أبو حنيفة : « يكره تعليم القرآن بأجرة » ، واستند في ذلك على قوله تعالى : « ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً » (١) .

وقالوا : إن تعليم القرآن واجب يحتاج فيه إلى نية التقرب والإخلاص كالصلاة والصيام .

والإمام القرطبي رحمه الله يفند هذا عند تفسيره للآية المذكورة فيقول : « إن قياسهم على الصلاة والصيام فاسد لأنه في مقابلة النص وهو الحديث الذي خرجه البخاري من حديث ابن عباس (٢) :

(١) الآية ٤١ من سورة البقرة .

(٢) وحديث ابن عباس فان البخاري حدثني سيدان بن مضارب أبو محمد الباهل حدثنا أبو مشر البصرى هو (صدوق) يوسف بن يزيد البراء قال حدثني عبد الله الأحنس أبو مالك عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس . . . « وفي رواية أخرى عن أبي سعيد الخدري وليس فيها : « إن أحق ما أخذتم . . . » ولكن فيها : « وما يدريك أنها رقية : اضربوا لي مكم بهم » وأصل الحديث وارد في الرقية بالقرآن وأخذ الأجرة عليها وهو في الصحيحين البخاري ومسلم . أنظر صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن باب فاتحة الكتاب : ٢٣١/٦ وصحيح مسلم كتاب السلام باب استحباب الرقية من العين :

٢٠٠١٩/٧

قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن أحق ما أخذتم عليه أجرأ كتاب الله » ثم إن الصلاة والصيام عبادات محضة مختصة بالفاعل ، وتعليم القرآن عبادة متعددة لغبر المعلم فتجوز الأجرة على محاولته النقل كتعليم كتابة القرآن ، وأبو حنيفة الذى يكره تعليم القرآن بأجر نراه أخذ الأجر على تعليم الشعر والغناء المعلوم بأجر معلوم ، فكيف يجوز الإجارة فيما هو معصية ويبطلها فيما هو طاعة « أ . هـ . بتصرف .

وإني أقول : إن الآية التى استدلت بها المانعون نزلت فى بنى اسرائيل وعلماهم حينما كان أحبار اليهود يأخذون الرشوة ليغيروا صفة النبي صلى الله عليه وسلم الثابتة فى كتبهم ويكتبوها عن الناس بل ويبدلون هذه الصفات بصفات أخرى ليست له صلى الله عليه وسلم .. ولذلك نرى الآية جاءت بعد قوله تعالى : « ولا تكونوا أول كافر به » وسياق الآية كاملة هكذا « وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإياي فاتقون » والآية التى يعدها : « ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون » .

وأما الفريق الذى أجاز الأجر على تعليم القرآن فهم : مالك والشافعى وأحمد وأبو ثور وإسحاق . واستندوا إلى حديث البخارى السابق ذكره .

وإني أقول : إن أخذ الأجر على تعليم القرآن جائز ولكن بضوابط .. أولاً : إذا كان معلمو القرآن من الفقراء الذين يتكسبون بما لا يكفى معاشهم من أى عمل آخر - وهم كثير - فخير لهم أن يستغنوا بتعليم القرآن .. وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم تعليم

سور من القرآن صداقاً في الزواج .. والزواج ضرورة من ضرورات الحياة، إلا أنه لا يصل إلى درجة الضرورة في شراء المطعم والملبس والمسكن حيث أنها عناصر الحياة الأساسية التي لا تقوم بدونها . والزواج إذا كان ضرورياً فضرورته لا تتوقف عليها حياة الشخص ولذلك جعل النبي صلى الله عليه وسلم الصوم بديلاً عنه حينما قال : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » وعناصر الحياة الأساسية لا بديل لها يقوم مقامها . . وهذا هو حديث جعل القرآن صداقاً . ففي صحيح مسلم عن سهل بن سعد الساعدي قال : « جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله أهب لك نفسي .. فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد فيها النظر وصوبه ثم طأطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه .. فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئاً جلست . فقام رجل من أصحابه فقال يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها فقال : « فهل عندك من شيء ؟ » فقال : لا والله يا رسول الله .. فقال : « اذهب إلى أهلِكَ فانظر هل تجد شيئاً » فذهب ثم رجع فقال : والله ما وجدت شيئاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انظر ولو خاتماً من حديد » فذهب ثم رجع فقال : ولا والله يا رسول الله ولا خاتماً من حديد ولكن هذا إزارى ^(١) (قال سهل راوى الحديث ما له رداء) فلها نصفه .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماتصنع بإزارك إن لبسته لم يكن عليها منه شيء ، وإن لبسته لم يكن عليك منه

(١) كانت ملابس العرب مكونة من قطعتين مجموعهما يسمى رداء ولذلك قال سهل راوى الحديث ما له رداء أى حلة كاملة .. وكان الرجل له إزار فقط وهى القطعة التي تنطى الجزء الأسفل من الجسم .

شيء فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام فراه رسول الله صلى الله عليه وسلم مولياً فأمر به فدعى فلما جاء قال : « ماذا معك من القرآن » ؟ . قال معي سورة كذا وسورة كذا « عددها » فقال تقروهن عن ظهر قلب ؟ قال نعم قال : « اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن » وفي رواية قال : « انطلق فقد زوجتكها فعلهما من القرآن » (١) .

وإذا كان الأمر كذلك فمن باب أولى أن يكون القرآن طريقنا لتوفير عناصر الحياة الأساسية .

ثانياً : إذا جاز ذلك فليس معناه أن يستغل معلم القرآن ظروف الناس وحاجتهم إليه كأن يكون وحيداً في قرية ، أو نجح ، أو حي من مدينة ولا منافس له من المعلمين ويجد إقبال الراغبين في تعلم القرآن شديداً فيطلب ويغالى في طلبه ولكن المفروض أن يأخذ بعفاف ، ويقنع بالكفاف ، ولا يعرض القرآن للمساومة فيسمع ما يسمع من التشنيع والتعنيف .

ثالثاً : ومن ناحية أخرى ينبغي ألا يضمن راغبو التعلم بأموالهم ولا يستكثروا ما ينفقون ، بل ينبغي أن يوجهوا نياتهم في العطاء إلى إقراض الله قرصاً حسناً ، ويكون اعتقادهم هو قول الله عز وجل : « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم . الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منها

(١) صحيح مسلم كتاب النكاح باب الصداق وجواز كونه تعليم قرآن .

ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم
يَحْزَنُونَ» (١).

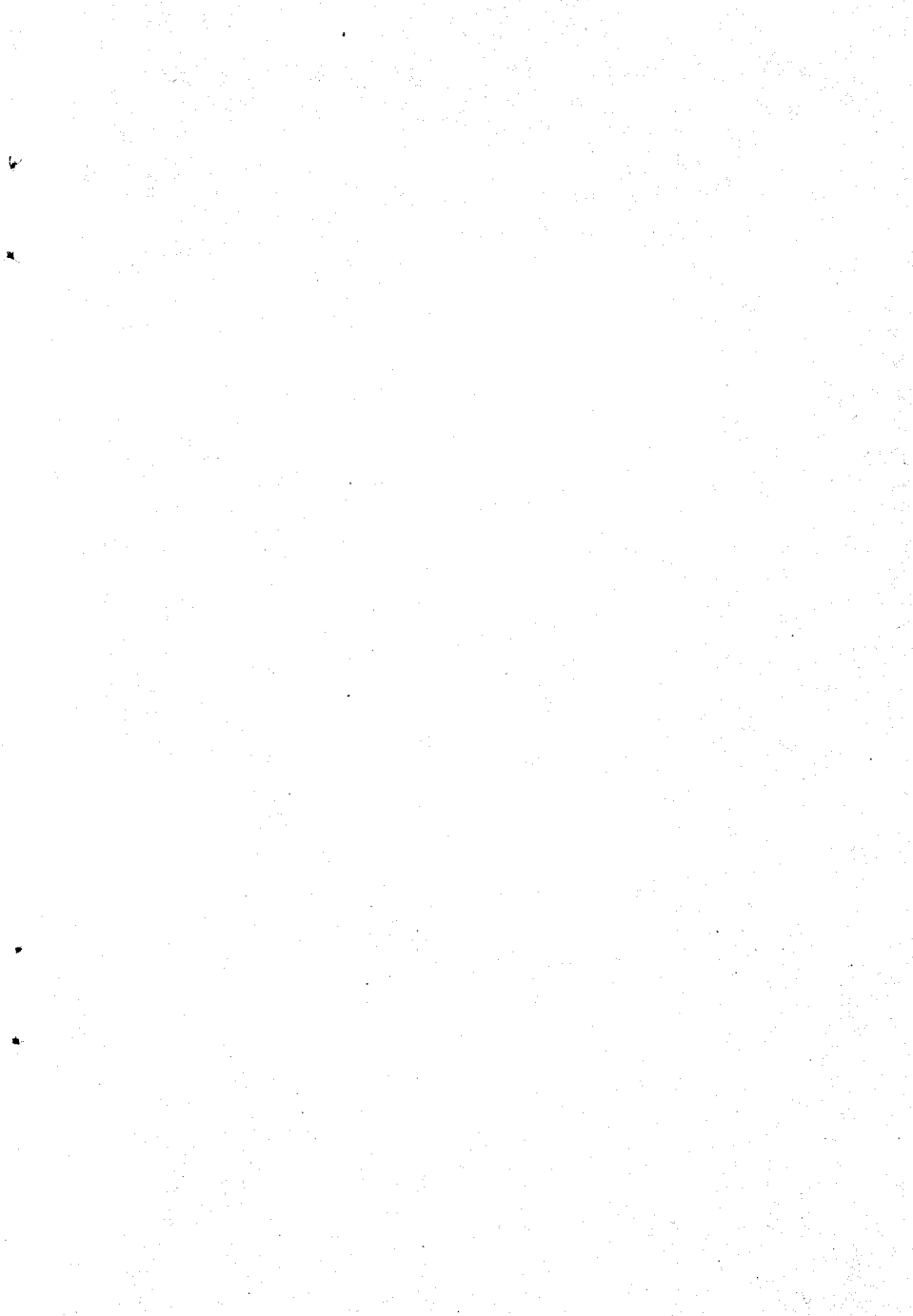
وبهذا يكون تعليم القرآن ميداناً تجتمع فيه فضائل العفة والقناعة
من المعلمين .

والإنفاق بكرم وسخاء في سبيل الله من الراغبين في التعليم .

هذا والله أعلم .



(١) الآيتان رقم ٢٦١ ، ٢٦٢ من سورة البقرة .



الفصل الثالث آداب المعلم مع تلميذه ومع الناس

من المعلوم بدهاءة أن الفرع يتبع الأصل . وأنه لا يستقيم الظل والعود أعوج . وأن لكل مقتد مثلاً يحتذيه .

والمعلم بصفة عامة ، ومعلم القرآن بصفة خاصة هو القدوة لتلميذه . فواجب على القدوة أن يسلك مسلكاً حسناً في تعليم من يعلمهم ، فلا يريهم من نفسه ما ينفرهم ، فيتحلى بصفات الحلم والرفقة والأمانة ، والصدق والإخلاص ، وأن يهتم بهم اهتمامه بأبنائه ، فإن الصبي قادر على النقد الصامت بل هو ميزانه الخفي الذي لا يستعمله عن قصد وفن : ولكن يميز به بين الطيب والخبيث بغريزة فطرية أودعها الله في طبيعته النقية . هذا إذا كان الطالب صيباً .

أما إذا كان بالغاً فإنه قادر على الازدراء ، وربما التهكم ، ويستطيع النقد بفن وقصد وغالباً ما يكون النقد أو التهكم من وراء ظهر المعلم . وإني أستأنس في هذا ببعض مآثورات عن الإمام الغزالي^(١) بتصرف يؤدي الغرض :

أولاً : الشفقة : وهي صفة تتطلب من المعلم حيال تلاميذه أن

(١) كتاب إحياء علوم الدين ج ١ كتاب العلم (بيان وظيفة المرشد المعلم)

يجريهم مجرى آبائه فيعاملهم برفق ولين ، فهش عند لقائهم ، ويرحب بهم عند قدومهم ، مقتدياً في ذلك برسول الله صلى الله عليه وسلم القائل : « إنما أنا لكم مثل الوالد لولده » (١) .

والمعلم شريك للوالد في تربية أبنائه فهما متضامنان في فوز الأبناء في الدنيا بما يوصلهم إلى شاطئ النجاة.. فالأب ينفق ماله فيما يغذى الجسم والعقل ، والمعلم يبذل جهده فيما يبصر العقل ويربي النفس والوجدان .

ثانياً : الحلم : وهو أن يبصر المعلم على تلميذه في حال التعلم .. فربما كان الطالب بطيء الفهم ، ضعيف الحفظ .. وهذه حالة لا يد له فيها ، فهي خارجة عن إرادته ، فإن استعجله فلن يحقق معه هدفاً ، وربما أربكه فيكون سبباً في اضطرابه وتلجلجه بالقراءة .. وبذلك يتعسر عليه الحفظ والفهم .. والعلاج لهذا : أن يستثير همته تارة بعامل التنافس بين أقرانه ، وتارة بتبصيره بمستقبله الذي يتوقف على حفظه واستيعابه ، فيلاطفه ويلاينه .. ومثله في ذلك مثل الصائغ الذي يصنع من الذهب حلياً .. فإن استعمل العنف في دقه فلن يفوز منه بشيء .. أما إذا تحايل بأصول صنعه فإنه سينجح في إخراج القرط - مثلاً - سليماً جميلاً غير مشوه ولا معيب .

ولكى يتضح الغرض من القول سأضرب أمثلة لمعلمي القرآن .

أما الأول : فقد جمع بين الشفقة والحزم .

فن الشفقة أنه كان يشركنا في طعامه وشرابه ولو بشيء يسير ، وبعد الفراغ من الدرس كان يجالسنا ليسامرنا بالحديث ، فيقص علينا

(١) الحديث خرجه الإمام العراقي وقال : رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة .

من الحكايات والنوادر ما يدعو إلى الصفات الحميدة ، وكنا في ذلك الوقت في أعمار متقاربة بين السادسة والعاشرة تقريباً . . . ومن الحزم فانه كان يعنف الواحد منا إذا أخطأ تعنيفاً خفيفاً كلدغة أو ضربة خفيفة بكف يده ، ولا يزيد على ذلك .

وأما الثاني : - عفا الله عنهم ورحمهم جميعاً فقد رحلوا إلى ربهم - فانه لم يكن شفوفاً ولا حليماً ولا صبوراً .. فكان يكلفني الجهد بحفظ القدر الكبير في اليوم .. وإذا أسمعتة ما حفظته طلب مني السرعة في القراءة ، فاذا توقفت وقفة ولو يسيرة ، فلا أدرى إلا والسوط أو العصا نازلة على ظهري أو أضلعي .

وأما الثالث : فقد جمع بين الشفقة والحلم .. فمن الشفقة أنه كلما انتهى اليوم الدراسي وهممت بالانصراف ، أو إذا التقينا في دروب القرية ربت على كفتي داعياً لي بالبركة ، وبشرني بالمستقبل - ومن دعائه لي دعوة أذكرها جيداً كأنى أسمعها منه الآن « اللهم افتح عليك فتوح العارفين بالله » - الأمر البذي يفتح باب الأمل في نفسي وخاطري . . . ومن الحلم أنه إذا أخطأت استوقفتني ولم يستعجلني بل يتركني لأتذكر ما نسيت ، فاذا عجزت بدأ لي بما توقفت عنده ، دون مس بضرب ولا لدغ .. ولكن كل ما يفعله أن الملح الغضب في وجهه باقتطاب جبينه .

لقد سردت هذه الذكرى لضرب المثل بالمعلم النافع وغيره .. وبالطبع لم أحقق حفظ القرآن عند الثاني .. بل تحقق لي عند الأول والثالث .

ثالثاً : النصح وهو وسيلة لتبصير الطالب بفائدة ما يتعلمه وعلى الأخص القرآن . . فيرشده إلى الكيفية المثلى لحفظه ، وأن يكون نصحه شاملاً للمعاني الفضيلة والأخلاق الحسنة والآداب العامة الحميدة لينشأ التلميذ عليها .

رابعاً : الطهارة وحسن المظهر . . الطهارة مقصود بها الحسية والمعنوية . . فالحسية أن يكون طاهراً من النجاسات ، ومن الحديثين الأكبر والأصغر . . والمرأة إذا كانت معلمة فتكون طاهرة من الحيض والنفاس . . والطهارة المعنوية أن تكون نيته خالصة لله ، لأن من الظواهر الداعية للأسى أن بعض المعلمين ينظرون أولاً وأخيراً إلى الأجر والمكافأة ، وبناء على قيمتها يحدد معاملة تلميذه .

أما إذا كانت نيته خالصة لله تعالى فإنه سيجتهد في تتميم القرآن لتلميذه بدون مراعاة لمقدار الأجر .

وأما حسن المظهر ، فمقصود به الهدام المهذب ، والتصرفات اللائقة بمقام القرآن . . فيتزهد عن الأعمال المنقصة لقدره ، حيث أننا نرى بعض المعلمين وخاصة في الريف لا يهتمون بمظهرهم فلا ينظفون ملابسهم وأجسامهم مما يجعلهم يحكون جلودهم بأظافرهم ، أو يأتون بأفعال تتعارض مع الذوق . . كالبصق والتمخيط في مجلس الدرس بدون منديل مثلاً .

وهذا ما يدفع التلميذ إلى علم احترامه إن لم يكن في مواجهته . . فن وراء ظهره حينما يختلى بأقرانه ، وربما تأثر التلميذ به فيشعر في تقليده .

خاصاً :- الاستقامة . . وهي صفة تجعل من المعلم نموذجاً كريماً

في نظر تلاميذه ، والاستقامة مقصود بها حسن الأخلاق ومنها الصدق والأمانة ، والعدل والوفاء ، والصبر والكرم... الخ. فلا يكون متصفاً بأضدادها، لأن هذه الأضداد لا تتواءم مع تعليم القرآن الكريم الذي يدعو بمثل قوله : « ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين »^(١) ولكي يكون مقتدياً برسول القرآن صلى الله عليه وسلم الذي كان على خلق عظيم ومتأدباً بأدب ربه العليم .

سادساً : التدرج في التعليم :

فيبتدئ بتعليمه الكتابة والقراءة ثم تحفيظ القرآن ابتداء من فاتحة الكتاب وقصار السور التي تبدأ بسورة الناس (قل أعوذ برب الناس) ثم يصعد به في القرآن حتى يختتم بسورة البقرة . ولتتكمّل عن طريقة التحفيظ تفصيلاً :

١ - أن يخصص المعلم قدرًا من الآيات ليكتبه المتعلم في « اللوح » بخط يده، وبعدها يقرأه من اللوح على أستاذة ليصحح له النطق بمخارج الحروف صحيحة ، وتسمى هذه المرة « بالتصحيح » وأما مقدار هذا فإن كان من قصار السور فلتكن سورة واحدة ، وإن كان من السور الطوال فبمقدار ثلث الربع أو ربه أو نصفه حسب استعداد كل تلميذ .

٢ - ثم ينتهي التلميذ ناحية منفرداً ليحفظ ما كتبه في « اللوح » بالتكرار والتسميع لنفسه عن ظهر قلبه، حتى يتأكد أنه حفظ فيتقدم إلى شيخه ليسمعه .. فإن كان قد حفظ فيها ونعمت وإن لم يحفظ فليعاود التكرار (وتسمى هذه المرة بتسميع اللوح) .

(١) الآية رقم ٣٣ من سورة فصلت .

٣ - بعد أن يقطع شوطاً في حفظ عدد من السور على هذا النهج ، يسمع منه الشيخ كل يوم قدرأ من (الماضي) بترتيب . (وتسمى هذه المرة بتسميع الماضي) وهكذا حتى يتم حفظ القرآن كله على خير ما يرام ، ثم بعد ذلك يبتدئ معه المعلم في طريقة التجويد أو الترتيل حسب قواعد الأحكام فيشرح له قواعدها من حيث المد والقصر ، والإدغام ، والإظهار ، والإشمام ، والقطع ، والوصل ، والفصل ، والسكتات اللطيفة ، والققلقة ، وتعطيش الجيم ، وإخراج اللسان في حروف (التاء والذال والظاء) والتأكيد والتخفيف ... الخ .

والقرآن الكريم يرشدنا إلى هذا فيقول : « وقرآنأ فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً » (١) . ويقول جل شأنه : « ورتل القرآن ترتيلاً » (٢) ثم إن جبريل عليه السلام نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم فعرض عليه القرآن عرضتين ، وذلك في السنة التي توفي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

سابعاً : أن ينهى المعلم المتعلم عن سوء الأخلاق ، والتأدب في معاملة الناس كبيرهم وصغيرهم ، ويزجره عن اكتساب السيئات ، ويفحش له ارتكاب الأعمال الناقصة والقييحة .. وليكن ذلك بطريق التلميح لا التصريح .. لأن التصريح في ذلك يرفع حجاب الهيبة ، وينزل سيف التبجح ، وإذا صدر التبجح للمعلم انعدم الاحترام ، وأضحت المرأة كاشفة لستار الهيبة ، وإذا كان الأمر كذلك انعدمت الفائدة .

ثامناً : أن يكون قصد المعلم من تعليمه القرآن : هو أداء الرسالة

(١) الآية رقم ١٠٦ من سورة الإسراء .

(٢) الآية رقم ٤ من سورة الزمل .

وتنفيذ الميثاق الذى عليه لله .. إذ قال الله عز وجل : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه » (١) ومعنى هذا أن لا يكون أكبر همه الحصول على الأجر .. وهنا يقول الإمام الغزالي رحمه الله : « وكيف يطلب منه أجراً وهو - أى المتعلم - سبب له فى الحصول على الثواب والأجر الإلهى » .

أما آداب وصفات المعلم مع عامة الناس :

فينبغى أن يكون ملتزماً بمحدود الأدب الذى فى القرآن .. وهى آداب المعاشرة والمجالس ودخول البيوت ومعاملة الأهل والخيران بأن يكون ودوداً محبباً عطوفاً عفيفاً .. لا يسطو على الموائد ، ولا يتشمم رائحة المواقد ، ولا يتسمع إلى ما ليس له فيه حق ، منزهاً فلا يتكلم إلا الصدق ، ولا ينطق إلا الحق ، ولا يخشى فيه لومة لائم .. إذا مشى لازمته الهيبة ، وإذا توقف وقف معه الاحترام ، لا يسمع للهو ، ولا يخوض فى اللغو ، ويربأ بنفسه عن الشبهات ، ويتأذى عن مواطن السيئات ، يصل من قطعه ، ويعفون عن من ظلمه ، واصلاً رحمه ، جواداً كريماً ، متأنياً حليماً ، عادلاً حكيماً ، ويكون لأمر دينه مطيعاً ، ولفروضه مؤدياً ، وإذا غضب فله ، وإذا رضى فله ، وإذا كره فله ، وإذا أحب فله ، ومع كل هذا يكون للقرآن مرتلاً ، وللناس إماماً ومعلماً .. وبذلك يكون من الذين وردت صفاتهم فى القرآن إما جملة أو تفصيلاً ومن ذلك قوله تعالى فى سورة الرعد :

« إنما يتذكر أولو الألباب . الذين يوفون بعهد الله ولا يتقضون الميثاق . والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب . والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا

(١) الآية رقم ١٨٧ من سورة آل عمران .

للصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدعون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبي الدار . جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبي الدار» (١) .

وفي آخر سورة الفرقان قال الله تعالى :

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً . والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً . إنها ساءت مستقراً ومقاماً . والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً . والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً . إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً . ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً . والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً . والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً . والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين واجعلنا للمتقين إماماً . أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً . خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً » (٢) .

(١) الآيات رقم ١٩ إلى ٢٤ من سورة الرعد .

(٢) الآيات رقم ٦٣ إلى آخر السورة .

الفصل الرابع آداب المتعلم في مجلس الدرس

بعد أن قدمت ما ينبغي أن يكون عليه المعلم أبين هنا ما ينبغي أن يكون عليه المتعلم من الآداب والصفات الحسنة والحميدة . . وفي هذا الصدد نرى الإمام الغزالي رحمه الله يصدرها به :

الصفة الأولى : ونذكرها بتصرف :

تقديم طهارة النفس من رذائل الأخلاق ، ومذموم الأوصاف والعادات . . ومعنى هذا أن تعلم القرآن عبادة القلب ، وصلاة السر ، وقربة الباطن إلى الله تعالى . . وكما لا تصح الصلاة إلا بالطهارة الظاهرة للبدن والملابس والمكان ، فكذلك لا تصح العبادة الباطنة - عبادة القلب - إلا بطهارته من النفاق والمكر والخبث ، والحقد والحسد ، والعداوة والبغضاء . . وهي نجاسات قلبية ونفسية وباطنية . . والقرآن الكريم كالزروع لا ينبت إلا في التربة الخصبة الصالحة . . أما الأرض السبخة أو المريضة فلا ينبت فيها زرع ، وإن نبت بعض الشيء لا ينمو ، وإن نما لا يشمر ، وإن أثمر لا يأتي بجيد الثمر . . فالقرآن لا ينبت ولا ينمو ولا يشمر إلا في القلب الطيب الصالح الطاهر . . وعلى هذا يكون طالب القرآن نظيفاً طاهراً من هذه الصفات السيئة ، متحلياً بالصفات الحسنة السمحة الكريمة . . مثل الصدق . والأمانة ، والإخلاص . . وبالحملة كل متطلبات الإيمان .

الصفة الثانية :

أن لا تكون الدنيا ومطالبها أكبر همه ، وكل شغله . . فيتخفف من علاقتها . . وذلك لأنه جند نفسه وعقله لطلب علم القرآن .. وما دام كذلك وجب أن يكرس جهده ، ويجمع همته على التحقيق والإجادة حتى يحصل له حفظه ، بل ويتعدى مرحلة الحفظ إلى العمل به ، كما علمنا ذلك سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « كنا نحفظ العشر آيات فلا ننتقل إلى ما بعدها حتى نعمل بهن » وروى عنه أنه حفظ سورة البقرة في تسع سنين .. وذلك ليس للانشغال عن الحفظ أو رداءة الفهم .. ولكن بسبب التدقيق والتطبيق .

وقد سأل الإمام الشافعي شيخه « وكيعاً » بم حصلت على العلم . . ؟ فقال : « بطول السهر ، وافتراش المدر ، والاستناد على الحجر » . ثم أنشد قائلاً :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدي لعاصي

الصفة الثالثة :

أن لا يتكبر على العلم ولا على المعلم . . لأن العلم وخاصة القرآن يضيح بين (الكبر والخزى والكسل) فيجب أن يكون متواضعاً ، لأن الكبر دافع إلى الأنفة من الناس ، ومن أنف منهم بعد عنهم ، ومن بعد عنهم انقطع به سبيل المعرفة ، والخزى يمنع من التساؤل . . فالعلم خزائن ومفاتيحها السؤال ، والكسل يدعو إلى تأجيل الاستذكار ويكسر ملكة الفهم ويحل عزيمة الطالب ، ويجب عليه الاحترام لمعلمه كما فعل الصحابة الأجلاء فيما يرويه الشعبي قال : « صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت إليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابها .. فقال زيد : خل عنك يا ابن عم رسول الله .. فقال ابن عباس : هكذا

أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء .. فقبل زيد يد ابن عباس وقال :
هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم « وهنا يقول
الإمام الغزالي : « فلا ينبغي لطالب العلم أن يتكبر على المعلم .. ومن
التكبر على المعلم أن يستنكف عن الاستفادة إلا من المرموقين المشهورين
وهو عين الحماقة ، لأن العلم سبب النجاة والسعادة » ثم يضرب المثل
فيقول : « إن من يطلب النجاة من سبع ضار مفترس لا يفرق بين
أن يرشده إلى الهرب من وجه السبع مشهور أو خامل » ثم يعلق
قائلاً : « وضراوة سباع النار بالجهال بكتاب الله أشد ضراوة من
كل سبع » .

إن الحكمة ضالة المؤمن « ومن يوت الحكمة فقد أوتى خيراً
كثيراً » والقائل يقول :

العلم حرب للفتى المتعالى كالسبل حرب للمكان العالى
الصفة الرابعة :

أن يقصد بتعلمه للقرآن تحلية باطنه ، ونقاوة نفسه ، وطهارة
سريره ، وأن يقصد به القرب إلى الله ، والترقى إلى جوار
الملائكة ، والانضمام إلى صفوف الملائكة ، كما أخبرتنا السيدة
عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الماهر بالقرآن
مع السفارة الكرام البررة » . وفي حديث آخر أن الملائكة كانت تنزل
لتسمع إلى أسيد بن حضير عند قراءته القرآن ، وقد رآها مثل الظلة
إلا أنه لم يعرفها . فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصف
له ما رأى .. وإليك نص الرواية كما هي في صحيح مسلم عن أبي سعيد
الخدري : أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربدته (١) إذ

(١) المربد : يفتح الميم وسكون الراء وفتح الباء المكان الذى يجفف فيه التمر .

جالت (١) فرسه .. فقرأ ثم جالت أخرى فقرأ ثم جالت أيضا ، وقال أسيد فخشيت أن تطأ (يحيى) (٢) . . فقامت إليها فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها .. قال : فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت يا رسول الله بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدى إذ جالت فرسى . . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقرأ ابن حضير » قال فقرأت . ثم جالت أيضاً .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقرأ ابن حضير » قال فقرأت ثم جالت أيضاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقرأ ابن حضير » قال فانصرفت . وكان يحيى قريباً منها خشيت أن تطأه فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج (٣) عرجت في الجو حتى ما أراها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تلك الملائكة كانت تستمع لك ، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستر منهم » (٤) .

وما الماهر بالقرآن . وما أسيد بن حضير إلا نماذج إنسانية ارتفعت بالقرآن حتى سمت إلى الملائكة ، أو نزلت الملائكة إليهم . . فالذي يتعلم القرآن متجرداً من المقاصد الدنيوية - اللهم إلا ما يعينه على تحقيق الخير فيها - ومتحلياً بصفاء الطوية كان في زمرة أسيد بن حضير وأبي بن كعب الذي سماه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ليقرأ الرسول عليه القرآن .

الصفة الخامسة :

أن لا يبخل بالإنفاق على تعلم القرآن ، وليعلم أن كل قرش

(١) جالت : هاجت ونفرت .

(٢) يحيى هو ابن أسيد بن حضير .

(٣) السرج : المصابيح المنيرة .

(٤) صحيح مسلم كتاب « فضائل القرآن » باب نزول السكينة لقراءة القرآن .

ينفقه من ماله ما هو لإقراض حسن يقدمه الله . . . وليعلم أن تعلم القرآن عبادة محضة ، والمال الذي ينفق في العبادات لا يستكثر ، وأنه بمنزلة الزكاة والحج والصدقات . . . وقد ضرب سلفنا الصالح المثل الأعلى في بذل المال والتضحية به في سبيل طلب العلم . . . وتعلم القرآن هو منتهى العلوم ؛ وملتنى المقاصد والحكم . . . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويل أثبتته هنا عسى أن ينفعهم الله به وهو في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله به طريقاً إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتعلمون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتمهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » صدق رسول الله (١) .

والمثل الأعلى في التضحية بالمال هو ما فعلته السيدة (أم ربيعة الرأي) شيخ الإمام مالك رضى الله عنهم ، فان هذه السيدة أنفقت على تعليم ولدها ثلاثين ألف دينار ، وإليك قصتها : « كان فروخ وهو والد الطفل (ربيعة) خرج في البعوث (٢) إلى خراسان أيام بنى أمية وربيعه حمل في بطن أمه ، وخلف عند زوجته ثلاثين ألف دينار ، فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكب فرسه وفي

(١) انظر صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر : ٧١-٨
(٢) البعوث : الغزو .

يده رمح .. فنزل يدفع الباب برمحه فخرج ربيعة وقال : يا عدو الله
أتهجم على منزلى .. ؟ فقال فروخ : وأنت يا عدو الله دخلت على
حرمي .. فتواثبا حتى اجتمع الجيران ، وبلغ مالك بن أنس .. فأتوا
يعينون ربيعة .. وكثر الضجيج .. وكل منهما يقول : لا فارقتك ..
فلما بصروا بمالك سكتوا فقال مالك : أيها الشيخ ألك سعة في غير هذه
الدار؟. فقال الشيخ : هي داري وأنا فروخ .. فسمعت أم ربيعة كلامه
— وكانت في الداخل لا تعلم بما يحدث — فخرجت وقالت هذا زوجي
وهذا ابني الذي خلفه وأنا حامل به .. فتعانقا وبكيا ودخل فروخ
المنزل وقال هذا ابني...؟! فقال نعم .. قال : أخرجي المال الذي
عندك ، قالت دفتته وأنا أخرجه .. ثم خرج ربيعة إلى المسجد ، وجلس
في حلقة العلمية فأتاه مالك والحسن وأشرف أهل المدينة ، وأحذق
الناس به ، وقالت أمه لزوجها : اخرج فصل في مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم .. فخرج فنظر إلى حلقة وافرة بالعلم والناس ،
فأتاها فوقف عليها ، فنكس ربيعة رأسه ليوهم أباه أنه لم يره ، وعليه
قلنسوة طويلة ، فشك أبوه فيه فقال من هذا الرجل ؟ فقيل له : هذا
ربيعة بن أبي عبد الرحمن .. فقال : لقد رفع الله ابني .. ورجع إلى
منزله وقال لوالدته : لقد رأيت ولدك في حالة ما رأيت أحداً من أهل
العلم والفقهاء عليها .. فقالت المرأة : فأما أحب إليك : ثلاثون ألف
دينار أو هذا الذي هو فيه ؟ فقال : لا والله .. بل هذا .. فقالت :
لقد أنفقت المال كله عليه .. قال : فوالله ما ضيعته « (١) .

ولما ختم حماد بن أبي حنيفة سورة الفاتحة ، أعطى أبوه للمعلم

(١) هذه القصة من كتاب « من أخلاق العلماء » ص ١٤٧ ، ١٤٨ لفضيلة
الشيخ محمد سليمان عن ابن خلكان .

خمسمائة درهم . فقال المعلم : ما صنعت حتى أرسل إلى هذا ؟
فأخبره أبوه واعتذر إليه ، وقال : لا تستحقر ما علمت ولدى .
والله لو كان معنا أكثر من ذلك لدفعناه إليك تعظيماً للقرآن .
وفي هذا اجتمعت عفة المعلم مع سخاء أبي حنيفة .

الصفة السادسة :

التحلى بالأدب في مجلس التعليم ، مع المعلم وأيضاً مع أضرابه فأما مع
العلم فلا يتبجح ، ولا يأتي بأعمال يأنف منها أستاذه كالكلام والانصراف
بدون إذن منه ، وكذا الدخول عليه بدون تسليم ، وأن يجلس أمامه
بسكينة ووقار ، وأن لا يرفع صوته على صوت أستاذه في كلام خارج
عن الدرس . . أما رفع الصوت في مسألة علمية فمطلوب ليكتسب
الجرأة في القراءة ، وليتمكن من إظهار الحروف أمام شيخه . . وأما
مع الزملاء فيحترم كل واحد منهم ، فلا يعبث بأدواتهم ومصاحفهم
ولا يهوش عليهم برفع الصوت ، ولا يعطلهم عن أداء واجباتهم ،
وإذا طلب أحدهم العون أعانه ، وأن يوثق العلاقة الحسنة بهم حتى
خارج الدرس . . فيعود المريض ويسأل عن الغائب ، ويعين المحتاج
بقدر استطاعته ، ويشاركهم الأحزان والأفراح ... بقي بعد ذلك
وهو الأهم .. احترامه للقرآن .. فلا يعبث بأدواته ، ولا يقحم نفسه
فيما يندسها .

وأما آدابه وصفاته مع الناس عامة .. فهي أن يتحلى بالصدق
ليتنزه عن الكذب ويحترم مجلس الكبار ، فإن جلس فبأدب ، وإذا
تكلم فبعد استئذان ، وإذا دخل أو انصرف سلم .. أما ما يفعله الآباء
والأمهات من عزل للأبناء عن مجالس الكبار فضرره أكثر من نفعه
- إن كان فيه نفع - وما يقال : إذا تكلم الكبار سكت الصغار ..

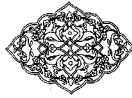
فهذا خطأ وأى خطأ . . ولكن الأفضل : إذا تكلم الصغار صمت الكبار ، وأصغوا إليهم بأذان واعية ، وقلوب مفتحة ، وعقول يقظة ، ليصححوا لهم كلامهم ، وليرشدوهم إلى الكلام المفيد ، وليشجعوهم على صوابهم ، وينبهوهم على خطئهم . . وقد ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً . . وهو أنه كان جالساً مع أصحابه فقال في رواية عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وأنها مثل المسلم فحدثوني ما هي ؟ » فوقع الناس في شجر البوادي - قال عبد الله بن عمر : ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت - ثم قالوا : حدثنا ما هي يا رسول الله . . قال صلى الله عليه وسلم : « هي النخلة » (١) .

ففي هذا الحديث رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يشترك في مجلسه الصبي الصغير عبد الله بن عمر ومعه كبار الصحابة ، وعبد الله ضرب المثل في الأدب والحياء فلم يتكلم في المجلس . . وبعد أن انفض المجلس ، وذهب عبد الله مع أبيه حدثه بما كان في نفسه من معرفته بخواب سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ولكن حياؤه منعه . . فقال أبوه : لو كنت قلبها لكان أحب إلى من أن يكون لي كذا وكذا من حمر النعم . . وهنا يشجع عمر رضى الله عنه ابنه على إبداء الرأي ، بل ويعتز برأيه . . ولذلك فضل رأى ابنه عن ملكيته لعدد من الإبل .

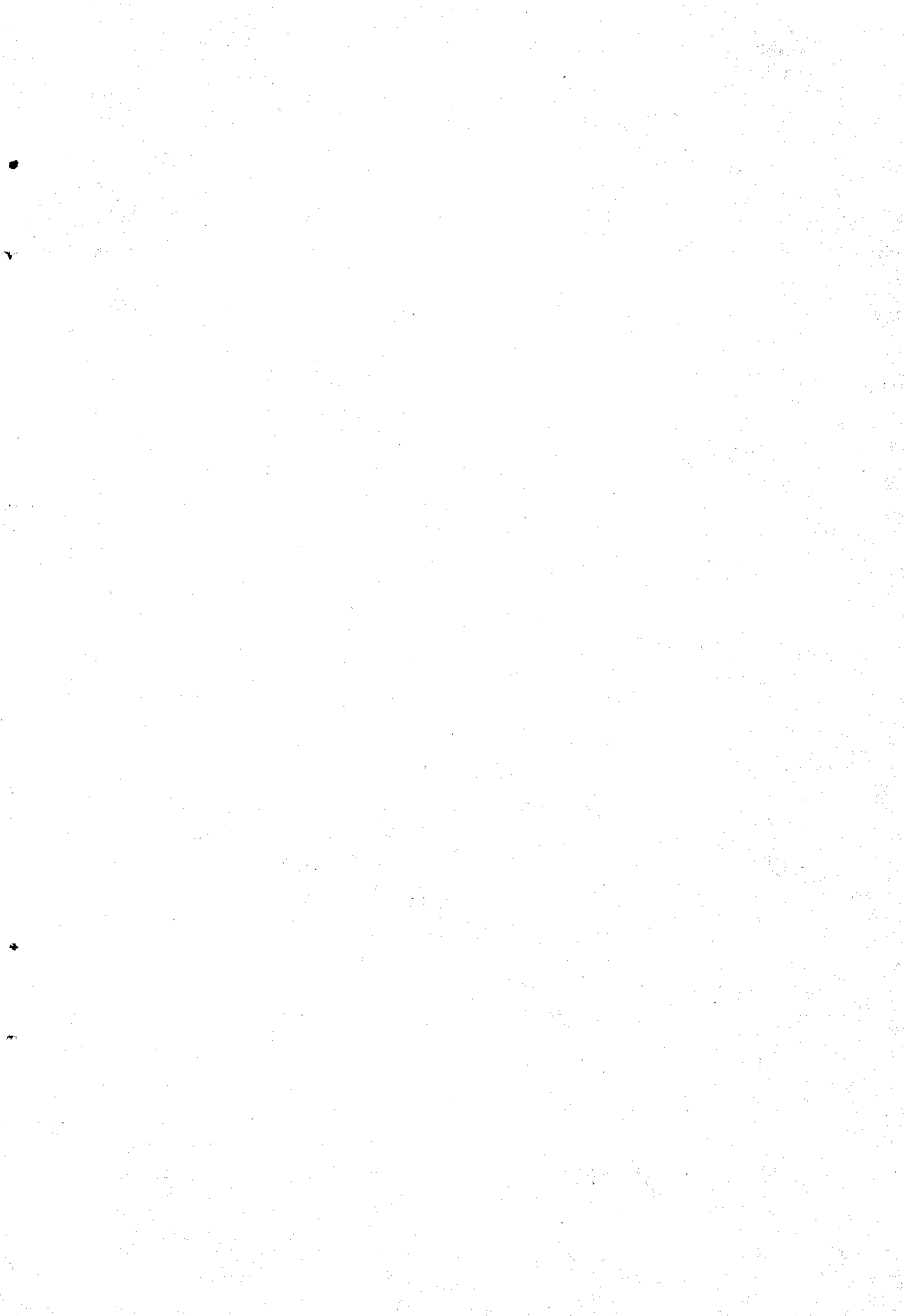
وينبغي للمتعلم أن يتعود من صغره على فعل الطاعات وذلك بأداء العبادات ، وفعل الخيرات ، لينشأ مؤمناً بما يتواءم مع القرآن الكريم .

(١) صحيح مسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب مثل المؤمن مثل النخلة

وقدوته في هذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أجاب سائلا
قال له : من أدبك يا رسول الله ؟ .. فقال صلى الله عليه وسلم : « إن
الله أدبني فأحسن أدبي ثم أمرني بمكارم الأخلاق فقال : « خذ
العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » . . (١)



(١) خرج الحديث الإمام المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير ج ١
ص ٢٢٥ قال : ابن السمان الإمام أبو سعد في كتاب « أدب الاملاء » من جهة صفوان
ابن مفضل الخطي عن محمد بن عبد الله عن سفيان الثوري عن الأعمش عن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله أدبني فأحسن أدبي ثم أمرني بمكارم
الأخلاق فقال : خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » .



الفصل الخامس حكم تعليم القرآن للكافر

الكافر هو من كفر بالله سبحانه وتعالى شركاً به ، أو إنكاراً لوجوده ، أو لصفة من صفاته ، أو لإسم من أسمائه ، أو شكاً في فعل من أفعاله ، أو نسب إليه ما لا يليق بذاته . . . وبالجملة لم يقدره حق قدره ، أو كفر بما يأتي من قبل الله . . . كتباً أو رسلاً وأنبياء ، أو أنكر خلقاً من خلق الله عز وجل كالملائكة ، أو أنكر ما جاء به الدين بالضرورة كالיום الآخر وما فيه من بعث وصراط وميزان وجنة ونار ، أو نسب لله ولداً أو بنتاً من الإنس والجن . أو أنكر القضاء والقدر خيره وشره . . . حلوه ومره .

فهل هذا الكافر الذي نجس حساً وباطناً يجوز له أن يتعلم القرآن ؟
إن القاعدة الأصلية الثابتة في القرآن هي « لا يمسه إلا المطهرون »
والمس يطلق على الحسى والمعنوى . . . فالحسى بالجسم وجوارحه . . . وهذا يحرم على المسلم والمسلمة جنابة وحيضاً ونفاساً ، والمس المعنوى بالقراءة لأنه يمسه بالقلب والعقل والوجدان .

فما بال الكافر الذي نجس حساً وباطناً . . . فنجاسته الحسية حيث أنه لا يتحرر من النجاسة ولا يتطهر من الجنابة . . . فكيف يمسه ظاهره ظاهر القرآن بجريانه على لسانه ؟ .

ونجاسته المعنوية حيث أنه لم يتطهر بالإيمان . . . وهذا بمثابة حاجز

بينه وبين فهم القرآن وتدبره والاتعاظ به والاعتناح بصدقه .. وهذا له شواهد كثيرة .. فكم من المستشرقين الذين دأبوا على قراءة القرآن حتى حفظوه ، قالوا عنه كلاماً جميلاً .. ولكن وأسفاه أصروا على ما هم عليه من عدم الإيمان بنبي القرآن .. وإليك جملة من أقوالهم (١) .

قال المستشرق الألماني الدكتور « شومبس » في القرآن الكريم في إحدى الجمعيات :

« يقول بعض الناس أن القرآن كلام محمد - وهو خطأ محض - فالقرآن كلام الله تعالى الموحى على لسان رسوله محمد ، فليس في استطاعة محمد ذلك الرجل الأعمى في تلك العصور الغابرة أن يأتينا بكلام من عنده تحار فيه عقول الحكماء ، ويهدى الناس من الظلمات إلى النور » .

وقال المستشرق « ماكس متي » :

« إن مرشد المسلمين هو القرآن وحده .. والقرآن ليس بكتاب ديني فقط .. بل هو أيضاً كتاب الآداب والحياة السياسية والاجتماعية .. بل هو يرشد الإنسان إلى وظائفه اليومية .. والأحكام الإسلامية التي توجد في القرآن توجد في السنة ، والتي لا تكون واضحة لا في القرآن ولا في السنة توجد في الفقه الواسع الذي هو علم الحقوق الإسلامي » .

يقول ناقل هذه الكلمات عن المستشرقين : « هذا وإن من عظمة القرآن في ذاته إقرار علماء الإفرنج بسمو مكانته ، واعترافهم برفيع

(١) رواها الشيخ محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المسكي الخطاط (كاتب مصحف مكة المنكرمة) في كتابه « تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه » ص ١٨ ، ١٩ طبعة ثالثي بالقاهرة مصطفى ارة .

منزلة . . . ثم يقول : وهناك بعض من نوابغ مستشرقى الإفرنج ممن تخصص لحفظ القرآن ، وفهم تفاسيره ، ومن يعنى بعلم القراءات وفن التجويد ، ومن ينقطع إلى دراسته ، وبيان مزايا دين الإسلام . . . ولهم في ذلك مؤلفات (وإن بقوا على دينهم) .

وهذا هو بيت القصيد (وإن بقوا على دينهم) إذن رغم ما عرفوه إلا أنهم لم يؤمنوا برسوله . . . وكيف لا وأسلافهم القدامى هم الذين أخبرنا عنهم القرآن فقال جل شأنه « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » (١) وبناء على ما تقرر فإنه يمنع من مس القرآن ظاهراً كسه المصحف بيده ولسانه ، وباطناً بقلبه أن يمنع من مسه وقراءته . . . إلا أن الإمام النووي (٢) رضى الله عنه قال : « إن كان يرجى إسلامه فلا يمنع من تعلمه وقراءته ، وإن كان لا يرجى فيمنع . . . هذا وقد استشهد بقوله تعالى : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » (٣) .

والله تعالى أعلم .

مسألة :

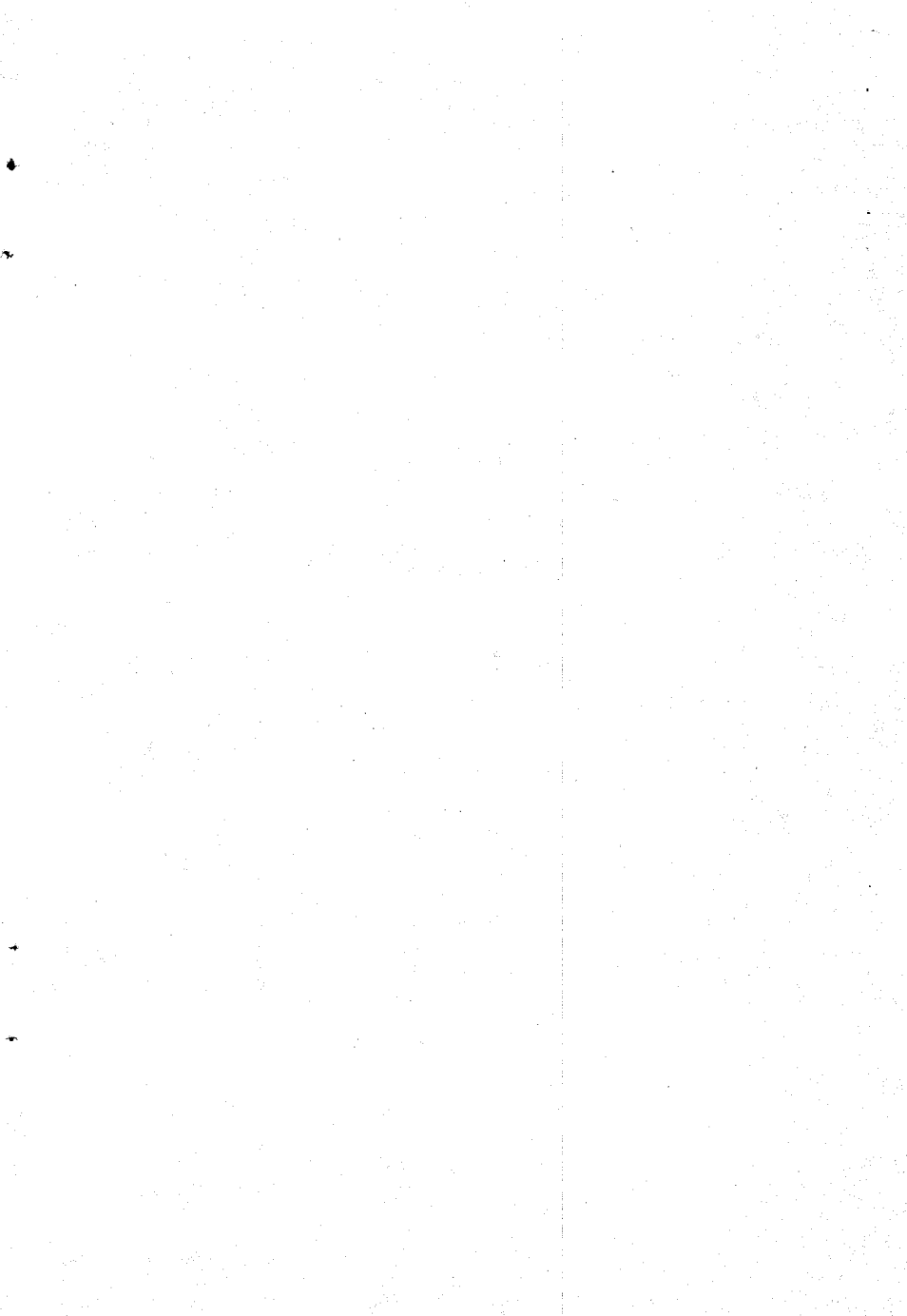
إذا كان حكم الكافر هكذا بالنسبة لمس المصحف وقراءته للقرآن فإن الحكم بمنع بيع المصحف له يكون أكد وأبلغ وكذلك إهداؤه له .

والله تعالى أعلم

(١) الآية رقم ١٤٦ من سورة البقرة .

(٢) في كتاب التيسان في آداب حملة القرآن .

(٣) الآية ٦ من سورة التوبة .

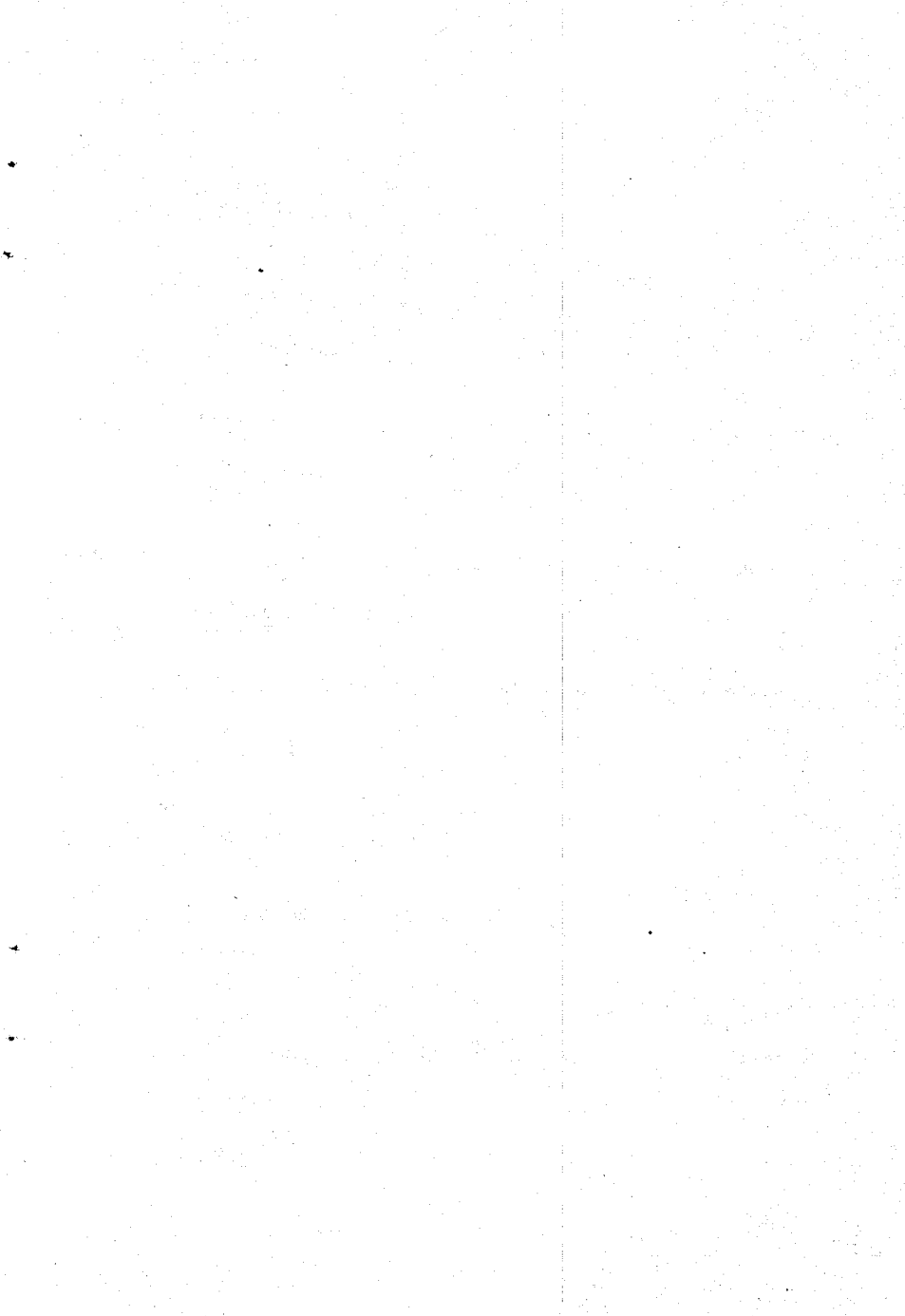


الباب الرابع تلاوة القرآن وأحكامها

وفيه ستة فصول :

- ١ - فضل القرآن . وفضل حامله وثوابه .
- ٢ - طرق القراءة وأحكامها . الترتيل وفيه مسائل ،
والتجويد وفيه مسائل .
- ٣ - أماكن وأوقات القراءة . ما يستحب منها وما يجنب .
- ٤ - آداب القارئ وقت القراءة .
- ٥ - سجدة التلاوة وأحكامها .
- ٦ - الرقية بالقرآن .. حكمها وأدلتها .

مسائل في : ١ - هل الأفضل القراءة من المصحف أم عن ظهر
قلب ، ٢ - فضل قراءة الجماعة بالتناوب ، ٣ - حكم اقتران
القراءة بالقيام بأعمال دنيوية ، ٤ - فيما يفعله الناس من قراءة
القرآن على المقابر .



الفصل الأول فضل القرآن وفضل حامله وثوابه

قال الله عز وجل على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم :
« إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت
أن أكون من المسلمين . وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدى
لنفسه ، ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين » الآيات من آخر سورة
النمل (١) .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : أمرني ربي أن أتلو
القرآن ، كما هو في سورة المزمل « ورتل القرآن ترتيلاً » والأمر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر لأئمة . . فإن أطاعوه وعملوا به
أثابهم الله من فضله على عملهم هذا . . ولذلك قال جل شأنه في
سورة فاطر : « إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا
مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور . ليوفيهم أجورهم
ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور » (٢) وقوله تعالى : « إن هنا القرآن
يهدى للتي هي أقوم » (٣) .

(١) الآيات : ٩١ ، ٩٢

(٢) الآيات : ٢٩ ، ٣٠

(٣) سورة الاسراء : ٩

وقوله تعالى : « الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً » أول سورة الكهف

وقوله تعالى : « ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين »
أول سورة البقرة

والآيات كثيرة فى فضل القرآن .. أما السنة فقد مر برك حديث السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن وهو يتتبع فيه وهو عليه شاق له أجران » رواه البخارى ومسلم .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من شغله القرآن وذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ، وفضل كلام الله تعالى على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه » .

(الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول الأصل ٢٥٣)

وعن أبى أمامة رضى الله عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تفرنكم هذه المصاحف المعلقة ، إن الله تعالى لا يعذب قلبا وعى القرآن »

(نفس المصدر السابق)

وفى مقدمة تفسير القرطبي^(١) عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن هذا القرآن مأدبة الله

(١) أسنده أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن محمد بن الأنبارى النحوى اللغوى فى كتاب الرد على من خالف مصحف عثمان .

فتعلموا من مآدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن هو حبل الله المتين ،
والنور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة من تمسك به ، ونجاة من
اتبه ، لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعيب ، ولا تنقضى عجائبه ،
ولا يخلق عن رد أحدكم ، فآتواوه فإن الله يأجركم بكل حرف عشر
حسنات ، أما أنى لا أقول ألم حرف ، ولا ألفين أحدكم واضعاً إحدى
رجليه يدع أن يقرأ سورة البقرة فإن الشيطان يفر من البيت الذى تقرأ
فيه سورة البقرة ، إن أصفر البيوت من الخبز . البيت الصفر (١) من
كتاب الله .

وروى الترمذى وقال حديث صحيح عن أبي هريرة رضى الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يجيء صاحب القرآن يوم
القيامة فيقول يا رب حله فيلبس تاج الكرامة ، ثم يقول يا رب زده
فيلبس حلة الكرامة ، ثم يقول يا رب ارض عنه فيرضى فيقول له
اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة » .

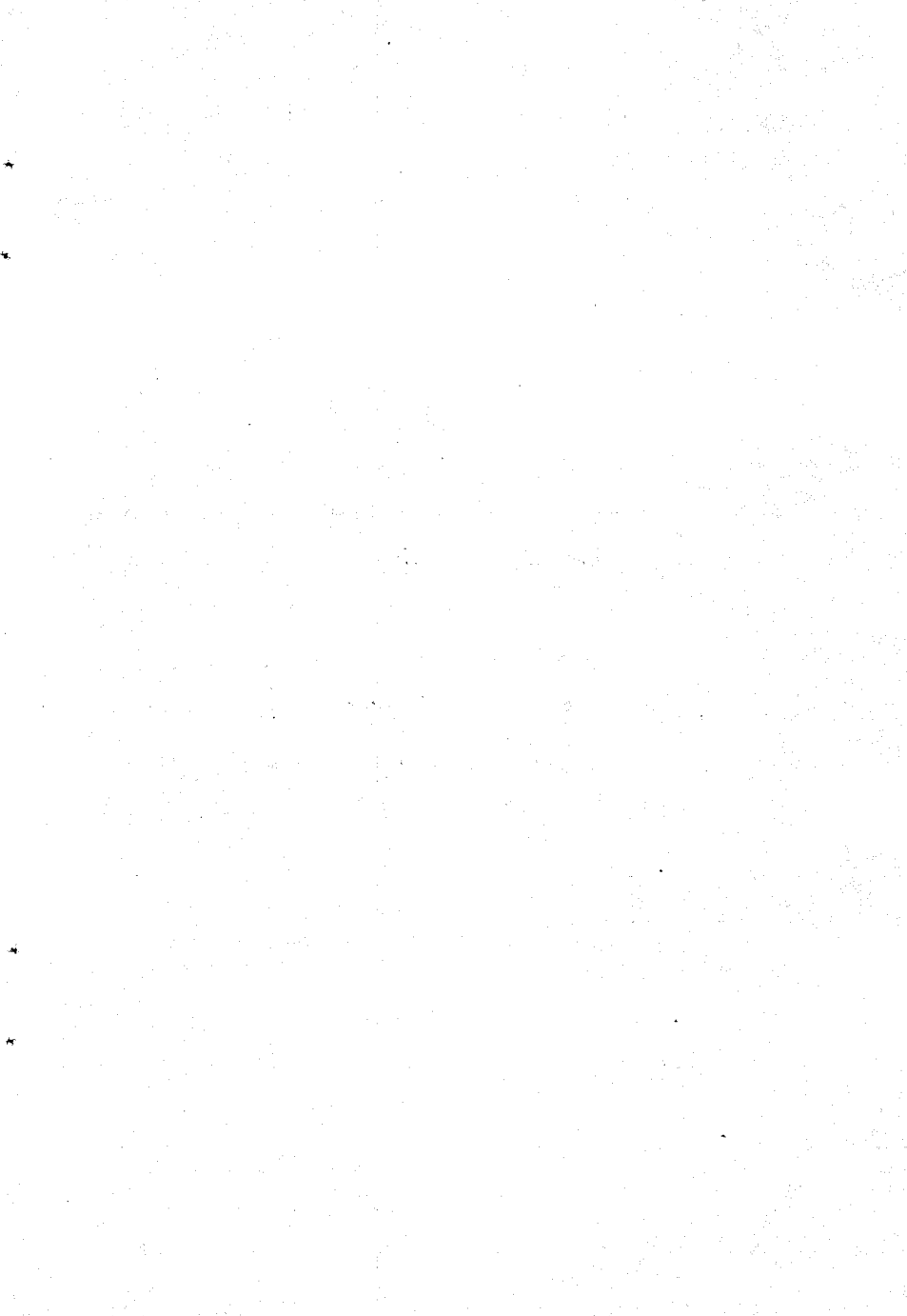
وروى أبو داود عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت
ترتل فى الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها » أ ه . . القرطبي
بتصرف .

والأحاديث والآثار فى فضل القرآن وحامله أيضا كثيرة
نكتفى منها بهذا القدر هنا .. لأن الفصول الآتية بإذن الله ستضمن
المزيد .

والله تعالى أعلم .

* * *

(١) البيت الصفر أى الخصال من القرآن .



الفصل الثاني طرق القراءة وأحكامها

أولا طريقة الترتيل : وهى الطريقة المثلى . . ونحها مسائل :
المسألة الأولى فى بيانها :

لقد ورد الأمر بها والإرشاد إليها فى قوله تعالى : « ورتل القرآن ترتيلا »^(١) وقوله تعالى : « وقرآنأ فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا »^(٢) . وكلمة « فرقناه » فيها قراءتان : الجمهور بتخفيف (الرء) . وابن عباس وعلى وابن مسعود وأبى بن كعب وقتادة ومن معهم بتشديد (الرء) فعلى قراءة التخفيف يكون معنى كلمة (مكث) أى على ترسل وتمهل فى التلاوة والترتيل ، فيعطى القارئ القراءة حقها من ترتيلها وتحسينها وتطييبها بالصوت الحسن ما أمكن من غير تلحين ولا تطريب مؤد إلى تغيير لفظ القرآن بزيادة أو نقصان فان ذلك حرام ، وعلى قراءة تشديد الرء فيكون معنى (مكث) تناول فى مدة النزول شيئا بعد شئ^(٣) .

(١) الآية رقم ٤ من سورة المزمل .

(٢) الآية رقم ١٠٦ من سورة الإسراء .

(٣) تفسير القرطبي طبعة دار الشعب (عند تفسيره لهذه الآية) .

وقال الله تعالى : « الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به »^(١) يقول الإمام القرطبي في تفسيرها : « إن المعنى يرتلون ألفاظه ويفهمون معانيه فان تفهم المعاني يكون بالاتباع لمن وفق » وهنا رأى يقول : إن المعنى : « يتبعونه حق اتباعه » ويمكن الجمع بين الرأيين والأخذ بهما ، وهو أنه ليس هناك مانع يمنع من اتباع القرآن حق الاتباع مع إعطاء الحروف والكلمات حقها من الترتيل ، ولأن القراءة المستوفية حقها تؤثر في النفوس والأفئدة ، الأمر الذي يترتب عليه صلاح القارئ والسامع فيتبعان القرآن حق اتباعه .

ويؤيد هذا قوله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم : « لا تحرك به لسانك لتعجل به . إن علينا جمعه وقرآنه . فإذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم إن علينا بيانه »^(٢) فكلمة « فاتبع قرآنه » تؤدى المعنيين معا اتباع القراءة ، واتباع القرآن ، إذ أن القرآن والقراءة مصدران مترادفان .

* * *

المسألة الثانية : ما يجنب فيها :

قد يترتب على القراءة بطريقة الترتيل أن يسرع القارئ إسراعا مفرطاً بحيث يخل بالقراءة من حيث عدم توفيتها حقها من الأحكام والتدبر.. وهذا الإسراع يسمى في اللغة بالهذ . . وقد ورد النهي عنه في صحيح مسلم عن أبي وائل قال : جاء رجل يقال له « نهبك بن سنان » إلى عبد الله (بن مسعود)^(٣) فقال : يا أبا عبد الرحمن .. كيف نقرأ

(١) الآية رقم ١٢١ من سورة البقرة .

(٢) الآيات رقم من ١٦ إلى ١٨ من سورة القيامة .

(٣) (ابن مسعود) زادها المؤلف لإيضاح حيث ذكر في المتن عبد الله فقط

وأنبه بأنه إذا ذكر عبد الله فقط فيصرف إلى عبد الله بن مسعود .

هذا الحرف ألفاً تجده ألفاً أم تجده ياء « من ماء غير آسن أو من ماء غير ياسن » قال فقال عبد الله : وكل القرآن أحصيت غير هذا !!؟ قال إني لأقرأ المفصل في ركعة .. فقال عبدالله هذا كهذ الشعر!؟ إن أقواماً يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم .. ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع ، إن أفضل الصلاة الركوع والسجود .. إني لأعلم النظائر التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهما .. سورتين في كل ركعة .. ثم قام عبد الله فدخل علقمة في أثره ثم خرج فقال : قد أخبرني بها « (١) .

ولعل سائلاً يقول ما هي النظائر التي أخبر بها علقمة .. والرواية الثانية توضح ما أخبر به عبد الله بن مسعود علقمة .. قال وائل فجاء علقمة ليدخل (عليه) (٢) فقلنا له : سله عن النظائر التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها في ركعة .. فدخل عليه فسأله ، ثم خرج علينا فقال : عشرون سورة من المفصل في تأليف عبد الله « (٢) .

ففي هاتين الروايتين نجد « نهيك بن سنان » يقول لعبد الله بن مسعود : إني أقرأ المفصل كله في ركعة واحدة .. فرد عليه عبد الله : إنك تهذ كهذ الشعر .. أي تسرع إسراعاً مفرطاً ، وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ المفصل كله في ركعة ، بل كان يقرأه في عشر ركعات .. أي في كل ركعة سورتين ، وهذا القدر الذي كان يقرأه (نهيك) في الركعة يدل على كثرة حفظه وإتقانه .

ومن هنا نعلم أن الإسراع المفرط في الترتيل منهي عنه وهذا ما قاله الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث .

(١) صحيح مسلم كتاب المسافرين باب ترتيل القراءة واجتناب الهذ : ٢٠٤/٢

(٢) الضمير في عليه يرجع إلى ابن مسعود .

المسألة الثالثة :

هذه المسألة تترتب على ما قيل في سابقها « في كم يقرأ القرآن »
وأستطيع عنونها بهذا العنوان . . هناك أقوال كثيرة منها أنه يحتم كل
شهر ، ومنها كل خمسة عشر يوماً ، ومنها كل عشرة أيام ، ومنها
كل أسبوع ، وكل ثلاثة أيام ، وكل يوم . . وهذه هي الروايات
في ذلك :

روى الطبراني بسند جيد : سئل أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم : كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزئ القرآن ؟
قال : « كان يجزئه ثلاثاً وخمساً » (١) .

وروى أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اقرأ
القرآن في كل أسبوع ولا تزدد » (٢) .

روى أبو داود عن عبد الله بن عمرو أنه قال : يا رسول الله
في كم أقرأ القرآن ؟ قال : « في شهر » قال : إني أقوى من ذلك
— ردد أبو موسى هذا الكلام — وتناقصه حتى قال : « اقرأه في سبع »
قال : إني أقوى من ذلك قال : « لا يفقه من قرأه في أقل من ثلاث » (٣) .

وفي رواية البخاري عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « اقرأ القرآن في شهر » قلت إني أجد قوة . . .
حتى قال : « فاقرأه في سبع ولا تزدد على ذلك » (٤) .

(١) حديث الطبراني ذكره الزركشي في البرهان ج ١ ص ٤٧١ .

(٢) رواه أبو داود في كتاب الصلاة وذكره الزركشي في البرهان في نفس

الصفحة .

(٣) رواه أبو داود في كتاب الصلاة أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيله .

(٤) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب في كم يقرأ القرآن : ٦ / ٢٤٣

وفي سنن الترمذى عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث » .

ويمكن أن يفهم من هذه الروايات أن قراءة القرآن في أقل من ثلاثة أيام مكروهة كما حكى الزركشى ثم قال : وحملوا عليه حديث : « لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث » .

وفي موضع آخر يقول الزركشى : « يستحب استيفاء كل حرف أثبتته قارئ » ثم ذكر قول الحلبي : « هذا ليكون القارئ قد أتى على جميع ما هو قرآن ، فتكون ختمة أصح من ختمة : إذا ترخص بحذف حرف أو كلمة قرئ بها » أ . ه .

وهذا يختلف بحسب أحوال الناس .. فكل شخص يأخذ بما يناسبه في النشاط والضعف ، والتدبر والغفلة ، والتفرغ وسعة الوقت ، أو الانشغال بأعماله وضيق وقته .. فليس المهم مقدار ما يقرأ .. بل المهم هو التدبر وإتقان القراءة وحسن العمل .

* * *

المسألة الرابعة : تقسيم القرآن إلى طول ومئين ومئتان ومفصل :

في الكلام السابق وردت كلمة المفصل .. ولعل سائلا يسأل :

« ما هو المفصل من القرآن ؟ » وما هي العشرون سورة التي كان

يقرأ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ . وكلام الإمام النووي (١)

يتضمن الإجابة فقال : « جاء بيان هذه السور العشرين في رواية

في سنن أبي داود : الرحمن والنجم في ركعة ، واقتربت والحاقة

(١) في شرحه لحديث مسلم الذي مضى في المسألة الثانية (ما يجتنب في الترتيل) .

في ركعة ، والطور والذاريات في ركعة ، والواقعة ونون في ركعة ،
وسأل سائل والنازعات في ركعة ، وهل أتى ولا أقسم في ركعة ،
وعم والمرسلات في ركعة ، والدخان وإذا الشمس كورت في
ركعة» أ هـ .

أما الكلام عن المفصل فاعلم أن العلماء قالوا : إن القرآن على أربعة
أقسام : الطول ، والمثون ، والمثنائي ، والمفصل .

فالطول : بضم الطاء المشددة وفتح الواو سبع سور هي :
(البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ،
والأنفال ، والتوبة) وهذه ثمانى لأنهم عدوا الأنفال والتوبة سورة
واحدة ، ولذلك لم يفضلوا بينهما بالبسمة لأنهما نزلتا جميعاً في مغازى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسميت طولاً لطولها .

والمثون : هي السور التي بعد التوبة وسميت بذلك لأن كل
سورة تزيد على المائة آية أو تقاربها .. فاعلم أن كل سورة تزيد على
المائة آية أو تقاربها فهي من المثين .

والمثنائي : ما ولى المثين .. وقد سمي القرآن كله مثنائي لأن الأنبياء
والقصص ثثنى فيه أو لأنه جمع بين الأمور المزدوجة مثل : الأمر
والنهي ، والخبر والإنشاء والترغيب والترهيب . . . الخ . وقيل تطلق
المثنائي على سورة الفاتحة لأنها ثثنى في كل ركعة^(١) أو لأن الرسول
صلى الله عليه وسلم قد سماها له الوحي بالمثنائي .. قال الإمام أحمد^(٢)

(١) الكلام عن تقسيم القرآن طول ومثين ومثنائي من البرهان للزركشى .

(٢) والكلام عن حديث المثنائي من تفسير ابن كثير في تفسير سورة الفاتحة :

في رواية عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في أم القرآن : « هي أم القرآن ، وهي السبع المثاني ، وهي القرآن العظيم » والحديث القدسي قال الله عز وجل فيما يرويه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين : . . ولعبدى ما سأل . . فإذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال الله : حمدنى عبدى ، وإذا قال (الرحمن الرحيم) قال الله : أثنى على عبدى فإذا قال (ما لك يوم الدين) قال مجذنى عبدى . فإذا قال (إياك نعبد وإياك نستعين) قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل ، فإذا قال : (إهدنا الصراط المستقيم) قال : هذا لعبدى ولعبدى ما سأل » (١) .

ومعنى الصلاة في قوله سبحانه : « قسمت الصلاة » أى القراءة . والمفصل (بضم الميم وفتح الفاء وفتح الصاد المشددة) هو ما يلي المثاني وسمى مفصلاً لقصر سوره ، ولكثره الفواصل التى بين السور بالبسملة .. واختلف في أوله .. والقول الصحيح عند أهل الأثر أن أوله سورة (ق) قال أبو داود في سننه (٢) بسنده إلى أوس بن حذيفة قال أوس : فسألت أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف تحزبون القرآن فقالوا : « ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشر وثلاث عشرة

(١) وسند الحديث القدسي : قال مسلم : حدثنا اسحاق بن ابراهيم الحنظلى هو ابن راهويه ، حدثنا سفيان بن عيينه عن العلاء يعنى ابن عبد الرحمن بن يعقوب الحرقي عن أبيه عن أبي هريرة والحديث رواه النسائى ، وابن اسحاق والترمذى وعبد الله بن الإمام أحمد انظر تفسير ابن كثير : ٢٥ / ١ .

(٢) هذه الرواية من البرهان للزركشى ج ١ ص ٤٢٦ ، - ٤٢ .

وحزب المفصل وحده » . فاذا جمعنا هذه الأعداد وجدناها ثمانية وأربعين تبدأ بالبقرة حتى آخر الحجرات، وهذه الرواية تؤيد من قالوا : إن أول المفصل سورة (ق) وآخر سورة (الناس) .
والله تعالى أعلم .

* * *

المسألة الخامسة : نزيد القارئ معرفة بكيفية قراءة القرآن في سبعة أيام على سبعة أحزاب .

الحزب الأول : فاتحة الكتاب . البقرة . آل عمران . النساء . .
(ثلاث سور غير فاتحة الكتاب) .

الحزب الثاني : المائدة . الأنعام . الأعراف . الأنفال . التوبة
(خمس سور) .

الحزب الثالث : يونس . هود . يوسف . الرعد . إبراهيم . الحجر . النحل (سبع سور) .

الحزب الرابع : الإسراء . الكهف . مريم . طه . الأنبياء . الحج . المؤمنون . النور . الفرقان (تسع سور) .

الحزب الخامس : الشعراء . النمل . القصص . العنكبوت . الروم . لقمان . السجدة . الأحزاب . سبأ . فاطر . يس (١١ سورة) .

الحزب السادس : الصافات . ص . الزمر . غافر . فصلت . الشورى . الزخرف . الدخان . الحاثية . الأحقاف . محمد . الفتح . الحجرات (ثلاث عشرة سورة) .

الحزب السابع : من أول سورة (ق) حتى نهاية سورة (الناس)

ومن السنة أن يقرأ بعدها فاتحة الكتاب ، والخمس آيات الأولى من سورة البقرة وآخرها : « وأولئك هم المفلحون » .

وهذا لمن وفقه الله على فعل الطاعات وكان لديه من الوقت ما يتسع لذلك ، ثم يدعو بما يشاء وإن كان هناك دعاء مأثور رواه البيهقي في دلائل النبوة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو عند ختم القرآن : « اللهم ارحمني بالقرآن ، واجعله لي أماناً ونوراً ، وهدى ورحمة ، اللهم ذكرني منه ما نسيت ، وعلمني منه ما جهلت ، وارزقني تلاوته آناء الليل ، واجعله لي حجة يا رب العالمين » .

وفي قراءة ابن كثير أن القارئ يكبر عند أول سورة « والضحى » فيقول : الله أكبر ثم يسكت سكتة ثم يقرأ .. وهكذا في نهاية كل سورة حتى يصل إلى آخر « قل أعوذ برب الناس » .

ولكن القراء غير ابن كثير لا يكبرون في قراءتهم ، وقال في ذلك سليم الرازي : ولا يكبر في قراءة الباقيين ، ومن حجته أن في ذلك ذريعة إلى الزيادة في القرآن ، فيتوهم أنه من القرآن فيثبت فيه « . أ . ه .

وإني أستحسن قول سليم الرازي لأن كثيراً من البدع ألحقت بالسنن فأخذت صفتها من الثبوت . والله تعالى أعلم .

* * *

ثانيا : طريقة التجويد :

وهي أيضا مستحبة .. والتجويد هو تحسين الصوت وتزيينه مع الالتزام بأحكام القراءات من المد والتقصير والإدغام والإظهار . الخ . . وذلك لإشباع الحروف باستيفائها حقها من هذه الأحكام .

وهذه الطريقة تؤيدها النصوص من السنة النبوية . فقد روى أبو يعلى عن طريق عثمان النهدي قال : دخلت دار أبي موسى فما سمعت صوت صنج ولا بربط^(١) ولا ناي أحسن من صوته ، واستمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قراءة أبي موسى فقال : « لقد أوتى هذا من مزامير داود » فبلغ ذلك أبا موسى فقال : يا رسول الله : « لو أعلم أنك تسمع لقراءتي لحبرته لك تحجيرا » أى لرفعت صوتي وحسنه وزينته .

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن عبد الله بن قيس أو الأشعري أعطى زمماراً من مزامير آل داود » . وفي الرواية الثانية عن أبي موسى قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي موسى : لو رأيتني وأنا استمع لقراءتك البارحة ، لقد أوتيت زمماراً من مزامير آل داود »^(٢) ومعنى هذا أن أبا موسى كان يقرأ بطريقة الترتيل بصوت حسن . ولما سمع هذا من الرسول صلى الله عليه وسلم قال له : « لو أعلم أنك تسمع لقراءتي لحبرته لك تحجيراً » أى كنت رفعت صوتي وحسنه وزينته .

* * *

مسألة أولى :

ولكن هذه الطريقة عبارة عن خيط رفيع بين المستحب والمكروه ففيها محاذير لا بد أن تجتنب ويحذر منها ، فإن القارئ بها إذا لم يراع

(١) الصنج : آلة موسيقية تشبه العود وهو لفظ معرب .

والربط : فى الأصل هو صدر الأوز والعود يشبهه .

(٢) صحيح مسلم كتاب فضائل القرآن با استحباب تحسين الصوت بالقرآن :

الدقة في الأحكام ومستلزماتها فر بما مطط بحروف المد فيخرج
بالحروف الممدودة عن حدها فيجعل الألف الواحدة ألفات
والياء ياءات والواو واوات أو يقصر ما ليس بمقصور وبذلك يدخل
في القرآن ما ليس منه .. فيكون حراما .

وإذا أدت هذه الطريقة إلى الترعيد والترجيع فيكون مكروها..
والترعيد هو أن يرفع القارئ صوته ثم يخفض ثم يرفع ثم يخفض
وهكذا .. وذلك في الحرف الواحد .. والترجيع أن يجعل القارئ صوته
يتردد في حلقه .

والإمام الشافعي^(١) رضى الله عنه كره هذا إذا مطط القارئ
وأخرج الكلام عن موضعه بزيادة أو نقص ، أو مد غير ممدود ،
وإدغام ما لا يجوز إدغامه .. ونحو ذلك .

وإذا أدى التطريب إلى عدم فهم القرآن يكون حراماً كما يفعل
بعض القراء الذين يغترون بأصواتهم الجميلة فتسمعه ونادراً ما تسمع
منهم كلمات القرآن بوضوح .

* * *

مسألة ثانية :

قال الإمام القرطبي : « قلت : إذا لم يفهم معنى القرآن بترديد
الأصوات وكثرة الترجيحات فهذا حرام » أ . ه بتصرف .

ثم استطرده فقال : « كما يفعل القراء بالديار المصرية الذين
يقرءون أمام الملوك والحنائز ويأخذون على ذلك الأجور والحوائز

(١) قال هذا الإمام النواوى في شرحه لحدِيث أبى موسى الأشعري من صحيح
مسلم باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن .

ضل سعيهم ، وخاب عملهم .. فيستحلون بذلك تغيير كتاب الله ، يهونون على أنفسهم الاجتراء على الله بأن يزيدوا في تنزيله ما ليس فيه ، جهلاً بدينهم ، ومروقاً عن سنة نبيهم .

هذا . . . وقد اكتفيت بهذا القدر من كلامه ففيه تجريح لقراء مصر .. ثم إنه رحمه الله أطلق حكمه ، على جميع قراء مصر والحقيقة غير ذلك فبعضهم يصدق عليهم حكمه ، والبعض الآخر متزن وملتزم بقواعد الأحكام مع حسن الصوت والحشوع فيه .

أما الذين يصدق عليهم حكمه فإنهم لم ينتهوا إلى حد الغناء الزائد عن الحد بل يفعلون ما هو أدهى وأمر .. ألا وهو الرياء بقراءتهم .. فإذا كان المجلس الذي يقرأ فيه يضم الأعيان من رؤساء ووزراء قرأ بحسن صوت بل يتغنى ويترنم ، وإذا كان المجلس من عامة الناس قرأ بتكاسل وخمول حتى يكاد السامع يقول « ليته سكت » هذا وقد لاحظ الناس ذلك على نفر من القراء المشهورين .. فليتهم ينتهون عن هذا لأنهم بذلك يسيئون إلى سمعة حملة كتاب الله رب العالمين .

* * *

مسألة ثالثة :

« حول اقتراح تلحين القرآن موسيقياً » .

لقد سمعنا أن بعض الناس ينادون بتجربة تلحين القرآن موسيقياً شأنه في ذلك شأن القصائد والأناشيد . . . ويعلل أصحاب الفكرة لهذا الرأي بأن هذا سيجذب قلوب الناس . . . وهذه فكرة مبتدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

وقد ذكر الحافظ ابن كثير^(١) رواية عن البخارى والحكيم الترمذى^(٢) عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين ، فإنه سيجىء قوم من بعدى يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم » . ويقول ابن كثير : « إن المطلوب هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه ، والحشوع ، والانقياد والطاعة .. فأما الأصوات بالنغمات المحدثه المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية ، والقانون الموسيقى ، فالقرآن منزه عن ذلك ويجل ويعظم أن يسلك فى أدائه هذا المذهب ، وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك » أ . ه .

إن للقرآن ألحانه الخاصة به التى نزل بها من الله ، وله موسيقاه الفطرية التى لا تحتاج إلى التكلف الذى يصنع فى القصائد والأناشيد .. وهذا الحديث السابق نراه يبدأ بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اقرأوا القرآن بلحون العرب .. » ويقول فى هذا المعنى الدكتور صبحى الصالح^(٣) : « فذلك شأن الإيقاع فى القرآن .. ليست الفاصلة فيه كقافية الشعر تقاس بالتفعيلات والأوزان ، وتضبط بالحركات والسكنات ، ولا النظم فيه يعتمد على الحشو والتطويل ، أو الزيادة والتكرار ، أو الحذف والنقصان ، ولا الألفاظ تحشد حشداً ، وتلتصق إلتصاقاً ، ويلتمس فيها الإبهام والإغراب .. بل الفاصلة طليقة من كل قيد ، والنظم بنجوة من كل صنعة ، والألفاظ بمعزل

(١) فى كتاب فضائل القرآن تحقيق الشيخ محمد رشيد رضا .

(٢) رواه الترمذى فى كتابه « نوادر الأصول » : الأصل ٢٥٣ ص ٣٣٢ وما بعدها .

(٣) فى كتابه « مباحث فى علوم القرآن » ص ٣٣٤ .

عن كل تعقيد ، يلين أو يشتد ، ويهدأ أو يهيج ، ينساب انسياباً
 كالماء إذ يسقى الغراس ، أو يعصف عصفاً كأنه صرصر غاتية
 تهرّ الأنفاس .. ثم يسوق أمثلة لذلك فيقول : « إن المرء ليحار
 إذا قرأ مثلاً سورة الرحمن فيتساءل : هل انبعث إيقاعها الرخي
 المنساب من مطلعها أم من ختامها أم من خلال آياتها ؟ وإذا هو يقطع
 بأن النغم يسرى فيها كلها ، في فواصلها ومقاطعها ، وفي ألفاظها
 وحروفها ، وفي انسياقها وانسيابها ، حتى لو انتقى مقطعاً واحداً من
 مقاطعها ، أو موضوعاً واحداً من موضوعاتها ، والتمس في أجزائه
 النغم والإيقاع لكان في كل جزء منه نغمة ، وفي كل حرف منه
 لحن من ألحان السماء » . وفي مثال آخر يقول : « رأيت لونا أزهى
 من نضرة الوجوه السعيدة الناظرة إلى ربها ، ولونا أشد تجمهاً من
 سواد الوجوه الشقية الكالحة الباسرة في قوله تعالى : « وجوه يومئذ
 ناضرة . إلى ربها ناظرة . ووجوه يومئذ باسرة . تظن أن يفعل بها
 فاقرة » (١) لقد استقلت في لوحة السعداء لفظة ناضرة بتصوير أزهى لون
 وأهأه . كما استقلت في لوحة الأشقياء لفظة باسرة برسم أمقت لون
 وأنكاه » .

والأمثلة التي ذكرها الدكتور صبحي ليست هي الوحيدة ذات
 اللون البارز .. ولكن القرآن كله نسق ونسيج واحد في الكمال وفي
 ذات الوقت يتنوع بتنوع المواقف بين الحث والزجر ، والترغيب
 والترهيب ، والصلاح والفساد ، والجنة والنار ، والطامعين والعصاة ،
 والسلم والحرب ، والتوحيد والشرك ، والإخلاص والنفاق .. وفي ذلك
 يقول : « إن هذا القرآن يمتاز بأسلوب إيقاعي غني بالموسيقى مملوء نغماً حتى

(١) الآيات ٢٢ إلى ٢٥ من سورة القيامة .

ليكون من الخطأ الشديد أن تفاضل بين سورة وأخرى ، أو توازن بين مقطع ومقطع لكننا حين نؤمى إلى تفرد سورة منه بنسق خاص إنما نقرر ظاهرة أسلوبية بارزة تؤيدها بالدليل ، مؤكدين أن القرآن نسيج واحد في بلاغته وسحر بيانه إلا أنه متنوع تنوع موسيقى الوجود في أنغامه وألحانه .

ثم أشار إلى قول المرحوم سيد قطب^(١) الذى يقرر فيه : « فقد أعنى التعبير من قيود القافية الموحدة ، والتفعيلات التامة ، فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة ، وأخذ في الوقت ذاته من الشعر الموسيقى الداخلية ، والفواصل المتقاربة في الوزن التى تغنى عن التفاعيل ، والتقفية التى تغنى عن القوافى » أ . هـ

وهنا يلتقط أصحاب اقتراح تلحين القرآن موسيقياً « كلمة بلحون العرب » الواردة في الحديث فيقولون : ان قصدنا التلحين الموسيقى العربى لا الأجنبى ونحن نقول : هذا أيضا مخالف لمفهوم الحديث .. لأن القرآن ليس غناء حتى يخضع لمقام البياتى وغيره ، وليس شعرا حتى يخضع لبحور الشعر كالكامل وغيره .. ولكن له أوزانه وألحانه الخاصة به الراسخة في أحكام تجويده بقواعدها المشهورة الثابتة .

وإليكم مناقشة فكرتكم وما يترتب عليها :

١- إذا لحن القرآن موسيقياً فإنه لا يتميز بتأثيره الفطرى في النفوس والقلوب ، وإنما يعود التأثير في ذلك الحين إلى الطرب المصطنع .. ومن يدرى .. لعل أحداً بعد ذلك يتدرج بالفكرة فيقترح مصاحبة الآلات الموسيقية للقارئ . ! !

(١) في كتابه : التصوير الفنى في القرآن .

٢ - إن هذا التلحين يخرجُه عن كونه قرآناً إلى ما يشبه الغناء
والنشيد .

٣ - إن الذي يشتغل بالترنيم الموسيقى لا يلتفت إلى معانيه بإدراكه
الوجداني ، ولا يتفهم مقاصده بقلبه .

٤ - مما لا شك فيه أن هذا التلحين لن يراعى فيه مخارج الحروف
بأحكامها الراضحة في قواعد التجويد .. وهذا سيؤدى حتماً إلى التمليط
والترجييع والرعش الصوتى أو تموجه .. وهى أمور لا تجوز شرعا
ولا يتفق ذلك مع جلال القرآن وهيبته .

قد يجيب صاحب الفكرة على التعليقات المذكورة بأنه سيراعى
مخارج الحروف ولا ينشغل عنها .. وردنا على ذلك : أن السنة
منعت ذلك .. وقد مر بنا نص الحديث السابق .. ثم إن الإسلام قد
وهبه الله طابعاً يميزه عن غيره فى كثير من مظاهره وعباداته .. فن
ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لعن الله اليهود والنصارى
اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

ومن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة : وجد
اليهود يصومون يوم غاشوراء تكريماً لموسى عليه السلام .. فقال :
« نحن أولى بموسى ، وإن عشت للقابل لأصومن التاسع » ومعنى هذا
مخالفة اليهود حتى لا نكون على وتيرتهم .

والأمثلة كثيرة .. مثل صوم شهر رمضان ، وملابس الإحرام فى
الحج ، واتخاذ الكعبة قبلة ، والأذان .. وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يتشاور فى شأن الإعلام بالصلاة فاقترحوا اتخاذ الناقوس أو النفخ

في البوق ، أو إشعال النار .. والنبي صلى الله عليه وسلم يرفض كل ذلك لأن فيه تشبهاً بغير المسلمين .. وأخيراً شرع الله سبحانه وتعالى الأذان بصيغته التي نسمعها كل يوم خمساً .

ثم أقدم لكم مثالا من التأثير الفطري للقرآن في النفوس .. وهو ما رواه مسلم في صحيحه عن جبير بن مطعم - وكان مشركاً - وكان قد ذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لفداء الأسرى بعد غزوة بدر قال جبير : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في (المغرب) يقرأ (بالطور) فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه » وفي رواية ثانية يقول : « فلما سمعته قرأ : أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون خلت أن فؤادي قد انصدع » وفي رواية ثالثة يقول : « كاد قلبي أن يطير » .

فالقرآن له أوزانه الخاصة دونها الأوزان المفتعلة .

وهنا يعلق ابن كثير على حديث « جبير بن مطعم » فيقول : « وناهيك بمن تؤثر قراءته في المشرك المصّر على الكفر فكان هذا سبب هدايته .. ولهذا كان أحسن القراءات ما كان بخشوع القلب » أ . ه .

فيا لله للمسلمين وشبابهم الذين لا يجذبهم سماع القرآن إلا إذا كان ملحنًا موسيقياً .. وهو القرآن ذاته الذي جذب إليه قلوب من كانوا يعبدون الأصنام .

وأخيراً أقول للذي يقترح هذا الاقتراح : إذا كانت نيتك في ذلك حباً للقرآن فلا عليك إذا اقتنعت بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم

وآراء الصحابة والعلماء . . لأن النية الحسنة إذا ظهر خطؤها ورجع
صاحبها إلى الصواب فسيؤجر على ذلك لأن الرجوع إلى الحق فضيلة .
أما إذا كان قصدك صرف الناس عن هدى القرآن وإشغالهم
بالطرب ، فسوء نيتك راجع إليك ، ولن يسمح لك أحد بتنفيذ ما تريد .
والله تعالى أعلم .



الفصل الثالث أماكن وأوقات تلاوة

من المعروف أن قراءة القرآن لها فضل كبير ، وأنها مطلوبة في كل مكان وزمان إلا ما استثنى منها ما دام القارئ طاهرا ، ولكن الله سبحانه وتعالى فضل بعض الأماكن على بعض ، وكذلك الأوقات ، فأما الأماكن التي يكون لتلاوة القرآن فيها زيادة في الفضل والثواب بالقياس على الصلاة .. فهي كالاتي :

(١) المساجد الثلاثة التي أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بفضل الصلاة فيها على غيرها فقد .. روى البخارى ومسلم عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » (١) . والأفضلية بالترتيب :

(١) المسجد الحرام بمكة . (ب) مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة (ج) المسجد الأقصى بالقدس .. فالذي يسعده الله بزيارة هذه البيوت فليكثر فيها من قراءة القرآن .

٢ - يلي هذا الفضل مساجد الله جميعها المنتشرة في البلاد لقول الله تعالى : « في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار » (٢) .

(١) صحيح البخارى كتاب الصلاة باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة : ٧٦/٢
وصحيح مسلم كتاب الحج باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة : ٤/١٢٤، ١٢٥
(٢) سورة النور الآيات : ٣٦، ٣٧

٣- ويلحق بالمسجد مكان صلاة الشخص في أى مكان صلى فيه إذا أراد أن يقرأ بعد الصلاة القرآن .

مسألة أولى :

وتحرم القراءة في أماكن قضاء الحاجة كالمراحيض والحرائب التى يتخذها الناس مبال، وكذا ما خصص لإلقاء القاذورات وخلافها .
وتحرم القراءة في أماكن اللهو والفجور كبيوت الدعارة وحانات الخمر .

مسألة ثانية :

قال الإمام النووي (١) : « وأما القراءة في الحمام فقد اختلف السلف في كراهيتها فقال جماعة منهم : « لا يكره » وهم إبراهيم النخعي ومالك وهو قول عطاء ، وقال جماعة : « يكره » وهم علي بن أبي طالب رضى الله عنه (٢) ، وجماعة من التابعين منهم الشعبي والحسن البصرى ومكحول . . قال الشعبي : تكره القراءة في ثلاثة مواضع : في الحمامات ، والحشوش ، وبيوت الرحى وهى تدور . وقال أبو ميسرة : لا يذكر الله إلا في مكان طيب (٣) أ . ه .

وإنى أرجح القول بالكراهة لمثل ما قاله أبو ميسرة . ويلحق بيت الرحى وهى تدور : المصانع والورش وهى تدور أيضا ، وأى مكان يكون فيه لفظ خشية التشويش على القارئ فيخلط فيه ما ليس

(١) في كتابه « التبيان في آداب حملة القرآن » ص ١٥ .

(٢) رواه عن الإمام على رضى الله عنه ابن أبي داود .

(٣) « التبيان » المرجع السابق .

منه ، فإذا انتفت علة التشويش فلا كراهة . . وأما قراءة السائر في الطريق فباحة كصلاة النافلة للراكب .

كما كره النبي صلى الله عليه وسلم القراءة للناعس مخافة الخلط . . فقد روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم « قال إذا نعس في الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه » (١) .
وأما ما يؤيد القراءة في الطريق - ماشيا أو راكبا - فقد روى مسلم عن معاوية بن قرة قال : سمعت عبد الله بن مغفل المزني يقول : « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح في مسير له سورة الفتح على راحلته فرجع في قراءته قال معاوية : لولا أني أخاف أن يجتمع على الناس لحكيت لكم قراءته » (٢) .

وأما الأوقات التي يكون للقراءة فيها مزيد فضل فهي :

١ - منها ما هو على مدار اليوم : وهما الفجر والعصر لما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر ، فيعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم الله - وهو أعلم بكم - كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون » (٣) فهذا الوقتان تشهدهما الملائكة فرجو أن يشهدوا قراءتنا .

(١) صحيح مسلم كتاب الصلاة بات أمر من نعس في صلاته : ١٩٠/٢

(٢) صحيح مسلم كتاب فضائل القرآن باب ذكر قراءة النبي صلى الله عليه وسلم

سورة الفتح يوم فتح مكة : ١٩٣/٢

(٣) صحيح البخاري كتاب الصلاة باب فضل صلاة العصر : ١٤٦، ١٤٥/١ و صحيح

مسلم كتاب الصلاة باب فضل صلاتي الصبح والعصر : ١١٣/٢

٢- ومنها ما هي على مدار الأسبوع :

وهي : الإثنين والخميس والجمعة . فأما الإثنين والخميس فلأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يخصصهما بالصوم فمثل عن ذلك فقال : « أما يوم الإثنين فيوم ولدت فيه ويوم بعثت فيه ، وأما يوم الخميس فيوم ترفع فيه أعمال العباد ، وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم » وأما يوم الجمعة فلقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة » (١) .

٣- ومنها ما هو على مدار الشهر : وهي الليالي البيض من كل هلال وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ، وكذلك أول الهلال ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يصوم هذه الأيام فيستحب قيام ليلها وإحيائها بقراءة القرآن الكريم .

٤- ومنها ما هو على مدار السنة وهي كثيرة : شهر رمضان وفيه العشر الأواخر لإمكان وقوع ليلة القدر في أي ليلة منها .. وشهر رمضان هو شهر القرآن كما أخبر بذلك المولى عز وجل .. فأولى أن يتلى فيه القرآن ، ومنها العشر الأول من ذى الحجة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما العمل في أيام أفضل من العمل في هذا العشر » قالوا ولا الجهاد ؟ . قال : « ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر

(١) الحديث رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه في كتاب الجمعة باب فضل يوم الجمعة : ٦/٣ .

بنفسه وماله فلم يرجع بشئ^(١) .

ومنها أول الشهر المحرم ، ويوم عاشوراء منه ، وشهر ربيع الأول
وشهر رجب وفيه ليلة السابع والعشرين ، وشهر شعبان .. وذلك لفضل
هذه الأيام .

وقراءة القرآن مطلوبة في كل وقت - كما قلت آنفاً - باعتبارها
ذكرا لله عز وجل .. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله
في كل أحواله .. إلا أن الأوقات المذكورة لها مزيد فضل وكرامة
عند الله عز وجل يضاعف فيها الحسنات « وإن لله في أيام دهركم
نفحات فاغمتوها » .

والله تعالى أعلم .

• • •

مسألة أولى :

هناك حالات يستحب فيها قراءة القرآن ، وهي حالة خروج
روح الميت .. ففي تفسير ابن كثير لسورة يس ذكر حديثاً طويلاً في
شأن البقرة ويس قال النبي صلى الله عليه وسلم : « .. واقرأوها على
موتاكم » . أى سورة يس .. وفي حالات حدوث النوائب وعند
الإحساس بضيق الصدر ، وفي حالة الغضب ، والخوف والوحشة .

(١) ذكر الإمام العراقي في تخريجه لأحاديث إحياء علوم الدين رواية أخرى
عن ابن ماجة عن أبي هريرة بدون زيادة « ولا الجهاد .. » أما الحديث المذكور في
أعل الصفحة فهو عن البخارى عن ابن عباس (إحياء علوم الدين ج ١ ص ٢١٣)
طبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة .

لأن هذه الأحوال يكثر فيها وسوسة الشيطان ، وخير طارد له هو القرآن الكريم .. هذا وقد سئل أحد السلف الصالح وقد كان وحده .. فقيل له : أنت جالس وحدك ؟ فقال : « جالس وحدي .. ! ! من أراد مؤنسا القرآن يكفيه » .

والله تعالى أعلم .

مسألة ثانية :

وهناك أوقات وحالات ينهى عن القراءة فيها .. مثل وقت خروج الريح ، وإذا كان القارئ حاقناً أو حاقباً^(١) ، ووقت خطبة الجمعة والعيدين للمجالس في المسجد ، وفي الركوع والسجود .



(١) الحاقن والحاقب : هو من احتبس برازه وبوله .

الفصل الرابع آداب القارئ وقت القراءة

قال الله تعالى : « الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني
تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى
ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضل الله فما له
من هاد » (١) .

هذا وقد مر بك الآيتان ٢٩ ، ٣٠ من سورة فاطر في أول
الباب الرابع :

وقال تعالى : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته
خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم
يتذكرون » (٢) .

وقال تعالى : « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان
الرجيم » (٣) .

(١) الآية ٢٣ من سورة الزمر .

(٢) الآية ٢١ من سورة الحشر .

(٣) الآية ٩٨ من سورة النحل .

• قد استعنت في هذا الفصل بكتابي التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ، وإحياء

علوم الدين للامام الغزالي بنصرف .

لقد مر بك آداب المعلم والمتعلم في حال التعليم وخارجه ظاهره
وباطنه ، وهذه الآداب ينطبق شيء منها على القارئ .

ومر بك طرق القراءة وما يراعى فيها من آداب وما يجتنب فيها
من محظورات ، وعرفت الأماكن والأوقات التي تستحب فيها التلاوة
والمكروه والمحرم منها .

والآن نزداد معرفة بالآداب التي تخص من يقرأ كتاب الله في
خلوة أو في ملاء . . . وذلك فيما يأتي :

أولاً : أن يستحضر هبة الله وجلال كلامه في قلبه حتى يحصل
له خشوع ، والخشوع يهيئ للتدبر والفهم ، وهذا يشرح صدره
ويجعله مبهجاً مسروراً .

ثانياً : بعد أن يهيء نفسه بخشوع القلب فعليه أن يستعد بتنظيف
الجسد وأول ما ينظفه منه : فمه . . . لأنه آلة القراءة فيستعمل في تنظيفه
السواك فإن لم يجد فبالفرشاة ، فإن لم يجد فبالماء والصابون . . . ويتجنب
أكل ما له رائحة كريهة كالفجل والبصل والسردين . . . الخ
وذلك من باب احترام القرآن ، وأن يكون على طهارة كاملة من
الحدثين الأصغر والأكبر للرجال والنساء والحيض والنفاس للنساء . .
فيتوضأ ويسبغ الوضوء ، وإن كان لديه طيب فليطيب .

ثالثاً : هيئة الجلوس : فيجلس متوجهاً إلى القبلة إن أمكن ، وعلى
هيئة المتواضع ، كجلوسه للصلاة واضعاً كفيه على فخذه - إن أمكن -
ويتجنب الجلوس أمام الصور وكل ما يشغله ويلهيه ، ويختار أنظف
الأماكن وأهدأها . . . وأفضل القراءة ما كان في الصلاة واقفاً ، وفي

هذا يقول الإمام على كرم الله وجهه : « من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ، ومن قرأه في غير صلاة وهو على وضوء فخمسة وعشرون حسنة ، ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات ، وما كان من القيام بالليل فهو أفضل لأنه أفرغ للقلب » (١) .

تنبيه : حينما نذكر هذه الآداب فليس على وجه الإلزام ولكنها من باب الأفضل والكمال وحينما تنتفي الأعدار . . فن توفرت له أسباب الراحة وترك هذه الآداب فيكون من باب ترك الأولى ، ومن لم تتوفر له فالضرورات تبيح المحظورات ، فيقرأ على أى وضع قاعداً أو مضطجعا . . فقد ذكر الإمام النووي عن أبي موسى الأشعري قال : « إني أقرأ القرآن في صلاتي وأقرأ على فراشي » . وعن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : « إني لأقرأ حزبي وأنا مضطجعة على السرير » (٢) وكل هذا مستمد من قوله تعالى : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقلنا عذاب النار » (٣) .

(١) كلام الإمام على رضى الله عنه ذكره الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين ج ١

(٢) كلام أبي موسى والسيدة عائشة رضى الله عنهما ذكره الإمام النووي في

كتابه التبيين في آداب حملة القرآن .

(٣) الآياتان ١٩٠ ، ١٩١ من سورة آل عمران .

رابعاً : بعد أن يراعى ما سبق ويشرع في القراءة فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم بأى صيغة واردة في ذلك فمن صيغها : « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم » ومنها : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » ويمكن زيادة : « من همزه ونفخه ونفثه » بعد كل منهما ، ثم يقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، ولا يتركها إلا في أول سورة التوبة . فإذا قرأ منها شيئاً ثم توقف وأراد استئناف القراءة فله أن ينطق بالبسملة . . وينبغي له هنا أن يفرغ نفسه من شواغلها حتى يجنب نفسه هواجس الشيطان ، وأن يؤدي لكل آية حقها فإن كانت آية سجدة سجد ، وإذا مر بآية رحمة سأل ، وإذا مر بآية عذاب تعوذ ، فقد روى مسلم عن حذيفة قال : صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع ، عند المائة ، ثم مضى فقلت يصلى بها في ركعة ، فمضى فقلت يركع بها ، ثم افتتح النساء فقرأها ، ثم افتتح آل عمران فقرأها ، يقرأ مترسلاً ، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح ، وإذا مر بسؤال سأل ، وإذا مر بتعوذ تعوذ» (١) .

خامساً : أن يلتزم بالأدب واحترام القرآن فقد يتساهل بعض الغافلين من القراء ، فيأتون بأعمال لا تليق باحترام القرآن

(١) يؤخذ من هذا الحديث أنه يجوز الجمع بين أكثر من سورة في ركعة واحدة . ويجوز القراءة بغير ترتيب السور ويجوز أن يفعل ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم من السؤال ، والاستمادة والتسبيح وذلك في الصلاة وفي غيرها والصلاة فرضاً أو نفلاً إماماً أو مأموماً . وهو مذهب الشافعي وجمهور العلماء سوى أبي حنيفة فقد كره هذا ، وقراءة الرسول صلى الله عليه وسلم بطولها هذه كانت في قيام الليل وتهجد ولم تكن في صلاة ركنية . والحديث في صحيح مسلم كتاب الصلاة باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل : ١٨٦/٢ .

مثل القهقهة ، واللغظ ، والكلام بغير ضرورة خلال القراءة ، والعبث باليد ، والنظر إلى ما يبدد الذهن . . وهذه الأعمال كثير ما لاحظتها على القراء الذين يقرأون في المآتم . . وبالجملة فعليه أن يصون نفسه وجوارحه أثناء القراءة من أى أعمال تخل بمقام القرآن وتكريمه ، وليقتد بما رواه البخارى في صحيحه عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان إذا قرأ القرآن لا يتكلم حتى يفرغ منه « (١) .

سادساً : أن يقرأ على الترتيب فلا يلتقط من كل سورة آية أو آيتين يقرأ بهما كما يفعل كثير من قراء اليوم في المآتم . وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حينما سمعه ، فقد ذكر ابن كثير (٢) في فضائل القرآن رواية عن أبي عبيد : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بلالا يقرأ من كل سورة آية . . فقال : سمعتك يا بلال وأنت تقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة » . فقال بلال : « أخلط الطيب بالطيب » فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقرأ السورة على وجهها » وفي رواية أخرى : « إذا قرأت فانفذها » . وبلال رضى الله عنه كان يقصد جمع آيات الرحمة وآيات الحنة في مرة واحدة فأمره الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقرأه على تأليف الله .

سابعاً : إذا (٣) دخل على القارئ من فيه فضيلة من علم ، أو

(١) في تفسير قوله تعالى : « نساؤكم حرث لكم . . الخ » أنظر صحيح

البخارى كتاب التفسير - سورة البقرة - : ٣٥/٦ .

(٢) ذكره الإمام الزركشى في البرهان ج ١ عن ابن كثير .

(٣) أخذت هذه الفقرة من التبيان في آداب حملة القرآن بتصرف (باب آداب

القرآن) .

صلاح أو شرف ، أو أمانة ورياسة أو ولاية كالأب ، وكذلك إذا دخل عليه كبير السن مع صيانه وعفاه فلا بأس من القيام لأحد هؤلاء على سبيل الاحترام والإكرام لا للرياء والإعظام .

وكذلك إذا كان يقرأ ماشياً ومر على أحد أو جماعة فيستحب له أن يقطع القراءة ويسلم عليهم ، ولو كان يقرأ جالساً ، ومر عليه غيره مسلماً عليه فله أيضاً أن يقطع القراءة ويرد عليه السلام ، ثم يستأنف القراءة بالتعوذ والبسمة ، وإذا عطس جاز له قطع القراءة وحمد الله ، أو عطس غيره فحمد الله جاز له أن يشتمه بقوله : يرحمك الله .. هذا كله في قراءته خارج الصلاة ، وكذلك إذا سمع المؤذن فيقطع القراء ويردد ما يقول المؤذن أو المقيم للصلاة ، وإذا طلب منه حاجة وهو يقرأ فله أن يجيب السائل بالإشارة إذا علم عدم حصول إنكسار في نفس السائل .. أما إذا علم حصول الإنكسار فيقطع ويلبي حاجته ثم يستأنف القراءة بالتعوذ والبسمة كما سبق .

ولو عرض له ريح فيقطع قراءته حتى يتكامل خروجه . . . يقول الإمام النووي ثم يستأنف القراءة ، (١) وإذا أحس بالتأثر سكنت حتى ينتهي ولا يقرأ وهو يتشاءب . . .

وإذا عرض له النعاس ختم قراءته حتى لا يلقي الشيطان في أمنيته فيدخل فيه ما ليس منه .

ثامناً : فإذا انتهى من القراءة دعا الله بما يشاء بما ليس فيه ظلم ولا قطيعة رحم ، ثم يطبقه ولا يتركه مفتوحاً فإن السلف من

(١) وأقول : والأول أن يتوضأ قبل العودة إلى القراءة أو يتميم .

الصحابة كرهوا ذلك ، وأن يحفظه في مكان أمين طاهر بعيد عن عبث الصبيان ، وأن يضعه بيده اليمنى ويأخذه بها كذلك ، وعند الأخذ أن يستقبله بوجهه ولا يأخذه من وراء ظهره ، وإن كان لديه طيب فيطيبه بما ليس فيه دهن حتى لا يتشرب ورقه من دهن الطيب ، ولا يتوسده ، وإذا بلى المصحف فإن لم يمكنه الاحتفاظ به فلا يضعه في شق من حائط ولا في حفرة من الأرض ، والأحوط له أن يحرقه ، وأن لا يترك المصحف مهملاً دون النظر فيه مدة طويلة .. وكان أبو موسى الأشعري يقول : (١) « إنى لأستحي ألا أنظر كل يوم في عهد ربي » وروى زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اعطوا أعينكم حظها من العبادة » قالوا يا رسول الله وما حظهما من العبادة ؟ قال : « النظر في المصحف والتفكير فيه والاعتبار من عجائبه » .
والله تعالى أعلم .

مسألة أولى :

هل الأفضل القراءة من المصحف أم عن ظهر قلب ؟ وهذه المسألة فيها - كما قام الإمام الزركشي - أقوال ثلاثة :

أحدها : أنها من المصحف أفضل لأن النظر فيه عبادة فتجتمع القراءة والنظر ، وهذا قال الإمام الغزالي (٢) فذكر أن الأكثرين من الصحابة كانوا يقرأون في المصحف ، ويكرهون أن يخرج يوم ولم

(١) ذكر القرطبي في مقالة تفسير قول أبي موسى ورواية أبي سعيد الخدري .

(٢) في كتابه إحياء علوم الدين ج ١ ص ٢٥١ طبعة مصطفى الحلبي .

ينظروا في المصحف ، وذكر ابن كثير (١) عن أبي عبيد بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم : « فضل القرآن نظراً على من قرأ ظهراً كفضل القرينة على الناقله » .

وذكر الزركشي في البرهان عن أبي داود بسنده عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : « النظر إلى الكعبة عبادة ، والنظر في وجه والوالدين عبادة ، والنظر في المصحف عبادة » .

والقول الثاني : أن القراءة عن ظهر قلب هي الأفضل ، لأنها تعين على التدبر وهو المطلوب للقرآن لقوله تعالى : « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب » (٢) وإلى هذا ذهب الشيخ عز الدين بن عبد السلام (٣) .

والقول الثالث : وهو يجمع بين القولين واختاره الإمام النووي (٤) فقال : « بولم أر فيه خلافاً ولو قيل : إنه يختلف باختلاف الأشخاص ، فيختار القراءة في المصحف لمن استوى خشوعه وتدبره في حالتي القراءة في المصحف وعن ظهر القلب ، ويختار القراءة عن ظهر القلب لمن لم يكمل بذلك خشوعه ، ويزيد على خشوعه وتدبره لو قرأ في المصحف لكان هذا قولاً حسناً ، والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل » .

(١) في كتابه فضائل القرآن تحقيق الشيخ محمد رشيد رضا .

(٢) الآية رقم ٢٩ من سورة ص .

(٣) ورد رأى الشيخ عز الدين في البرهان وذكرته هنا بتصرف .

(٤) التبيين في آداب حملة القرآن .

فضل قراءة الجماعة منهم القارئ ومنهم السامع
وفضل من دعاهم إلى ذلك

قال الإمام النووي : واعلم أن قراءة الجماعة مستحبة بالدلائل الظاهرة فقد روى مسلم وأبو داود عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده » (١) .

وروى الترمذي والنسائي عن معاوية رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال « ما يجلسكم ؟ » قالوا جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده لما هدانا للإسلام ومن علينا به فقال : « أتاني جبريل - صلى الله عليه وسلم - فأخبرني أن الله تعالى يباهى بكم الملائكة » (٢) .

وأما فضيلة من يدعوهم فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدال على الخير كفاعله » وقوله : « لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم » .

وطريقة قراءتهم هو أن يقرأ بعضهم عشراً أو جزءاً ، ثم يسكت ، ويقرأ البعض الآخر من حيث انتهى الأول ثم يقرأ البعض الثالث .. وهكذا .. وهذا حسن .. وقد سئل مالك رضي الله عنه فقال : « لا بأس به » .

(١) أنظر صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر : ٧٢ / ٨
(٢) أنظر المرجع السابق نفس الباب والصفحة .

في حكم اقتران التلاوة بالقيام بأعمال دنيوية

هل يجوز للشخص الذي يحفظ القرآن عن ظهر قلب أن يقرأه وهو يقوم بعمله الدنيوي كالحياكة والتجارة والتجارة . . . الخ ؟
 نقول وبالله التوفيق : إن قراءة القرآن يطلب لها التدبر والخشوع ، وعمله الذي يقوم به يحتاج أيضاً إلى مراعاة أصوله وإتقانه ، فكيف يتسنى له الجمع بينهما مع إتقان عمله وتدبر قراءته . ؟ فإذا أمكنه الجمع بينهما بشرطها جاز له ذلك ، أما إذا كان يخشى منه إدخال شيء من القرآن في قراءته ، فلا يقرأ ، وإذا شابه شيء من مخوف الاتهام بالرياء فلا يقرأ ، وكذلك إذا كان في عمله شيء من الخطر عليه . أما إذا أمن الخطر والرياء وعدم إدخال ما ليس من القرآن فيه فيجوز له القراءة أثناء العمل وذلك قياساً على قراءة الماشي في الطريق .
 والله تعالى أعلم

مسألة رابعة :

درج العوام على أن يقرأوا القرآن على المقابر أو في البيوت ويقولون للقارئ « اهد » قراءتك لروح فلان المتوفى .

والذي يستحق التنبيه هنا أن كلمة إهداء ثواب القراءة لا يصح التعبير بها لأن الهدية والهبة لا تجوز إلا في الأشياء التي تملك كالأعيان والمنافع ، وثواب القراءة ليس مما يقع عليه التملك ، لأنه فضل وكرم من الله ، وهذا أمر معلق بين الرفض والقبول من الله فإن شاء قبله وإن لم يشأ لم يقبله .. ثم إن هذا من البدع المستحدثة التي ابتدعتها الناس

ولم تكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة من بعده . :
ولكن الذي أُرث عن النبي صلى الله عليه وسلم هو زيارة القبور ،
والدعاء للأموات .

في صحيح مسلم عن ابن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » (١) .

وفي صحيح البخارى عن ابن عباس قال : « مر النبي صلى الله
عليه وسلم على قبرين فقال : إنهما ليعذبان . . وما يعذبان من كبير . .
أما أحدهما فكان لا يستتر - وفي رواية لا يستبرئ - من بوله
وأما الآخر فكان يسعى بالتممية » . قال : ثم أخذ عوداً رطباً
فكسره باثنتين ثم غرز كل واحد منهما على قبر ، ثم قال :
« لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا » وفي رواية : « إلى أن ييبسا » (٢)
والأحاديث الواردة في باب التصديق على الميت كلها متفقة على أن
جميع الصدقات يصل ثوابها إلى الميت ، فيما عدا قراءة القرآن فهمي
التي اختلفوا فيها .

وفي ذلك يقول الإمام النووي : « المشهور في مذهبنا أن قراءة
القرآن لا يصل ثوابها . . وقال جماعة من أصحابنا ، يصل ثوابها . .
وبه قال : أحمد بن حنبل » (٣) أ . ه .

وإني أستنبط سبب الخلاف في قراءة القرآن من الروايات الواردة
في باب الصدقات ، وهو أن جميع من سألوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عما ينفع الميت إنما سألوه عن الصدقة والصوم والحج «

(١) صحيح مسلم كتاب الجنائز باب استئذان النبي صل الله عليه وسلم ربه
عز وجل في زيارة قبر أمه : ٣ / ٦٥
(٢) أي الجريدتان . والحديث في صحيح البخارى كتاب الجنائز باب عذاب
القبر من الغيبة والبول : ٢ / ١٢٤
(٣) الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم باب « وصول ثواب الصدقة للميت »

ولم يسألوه عن قراءة القرآن للميت . . وكل الذى ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث طويل فى شأن البقرة ويس قال فى آخره : « . . . واقرأوها على موتاكم » (١) - يعنى يس - وفى رواية أخرى عن أبى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (٢) « ما من ميت يقرأ عليه سورة يس إلا هون الله عليه » .

وذكر ابن كثير فقال : « ولهذا قال بعض العلماء : من خصائص هذه السورة أنها لا تقرأ عند أمر عسير إلا يسره الله . . وكأن قراءتها عند الميت لتنزل الرحمة والبركة ، وليس عليه بعد خروج الروح »
أ . ه .

ومن هذا التحقيق نعلم أن قراءة القرآن على الأموات وقت خروج الروح مما ينفع الميت بالثواب . . وقد قال فضيلة الشيخ محمد نجيب المطيعى : « ولكن لا يقال إهداء ، بل يقال توسل بالقرآن الكريم إلى الله الرحمن الرحيم ، وكذلك يجوز التوسل بالقرآن للحى » .
والله تعالى أعلم .

• • •

(١) عن ابن كثير فى تفسيره لسورة يس ونقل هذه الرواية عن الإمام أحمد فى مسنده ، والنسائى فى (اليوم واليلة) وأبى داود فى (كتاب الجنائز) ، وابن ماجه (كتاب الجنائز) .

(٢) عن القرطبى فى تفسيره لسورة يس ولكنه قال عن أم الدرداء وصحته فى هامشه عن أبى الدرداء .

الفصل الخامس

سجدة النلاوة وحكمها ومواضعها

لقد عرفنا أن من أدب القارئ أن يؤدي لكل آية حقها .. فإن مر بآية سجدة سجد .. وهنا نبين مواضع السجدة حيث كانت في آيات وسور القرآن الكريم .. فنقول وعلى الله قصد السبيل :

أولاً : تطلب في أربعة عشر موضعاً :

١ - سورة الأعراف .. آخر آية منها وهي قوله تعالى :

« إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله

يسجدون » .

٢ - سورة الرعد الآية ١٥ وهي قوله تعالى :

« ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرها وظلالهم

بالغدو والآصال » .

٣ - سورة النحل الآية ٤٩ وهي قوله تعالى :

« والله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة واللائمة

وهم لا يستكبرون » .

٤ - سورة الإسراء الآية ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ وهي قوله تعالى :

« إن الذين أتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان

سجداً . ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً . ويخرون

للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً » .

والسجود بعد قوله تعالى : « خشوعاً » :

٥ - سورة مريم الآية ٥٨ وهى قوله تعالى :

« أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ومن هدينا واجتبتنا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً »

٦ ، ٧ - سورة الحج وفيها سجدتان الأولى فى الآية ١٨ وهى قوله تعالى :

« ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والحبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء » .

والسجدة الثانية فى الآية ٧٧ وهى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » .

٨ - سورة الفرقان الآية ٦٠ وهى قوله تعالى :

« وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً » .

٩ - سورة النمل الآية ٢٥ ، ٢٦ وهى قوله تعالى :

« ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون . الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم » .

١٠ - سورة السجدة الآية ١٥ وهى قوله تعالى :

« إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا
بحمد ربهم وهم لا يستكبرون » .

١١ - سورة فصلت الآية ٣٧ وهي قوله تعالى :

« ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس
ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون » .

١٢ - سورة النجم آخر آية منها وهي قوله تعالى :

« فاسجدوا لله واعبدوا »

١٣ - سورة الانشقاق الآية ٢١ وهي قوله تعالى :

« وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون »

١٤ - سورة العلق آخر آية منها وهي قوله تعالى :

« كلا لا تطعه واسجد واقترب »

ويلحق بسجدة التلاوة سجدة الشكر وهي سجدة واحدة في

القرآن كله من سورة (ص) الآية ٢٤ وهي قوله تعالى :

« وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب »

ثانياً : دليل مشروعيتها :

من القرآن قوله تعالى : « إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها

خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون » (١) هذا في

(١) سورة السجدة آية : ١٥

شأن المؤمنين .. أما في شأن الكافرين فقال تعالى : « وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون » (١)

ومن السنة : ففي صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ القرآن فيقرأ السورة فيها سجدة فيسجد ونسجد معه حتى ما يجد بعضنا موضعاً لمكان جبهته ، وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول ياويله .. أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة ، وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار » (٢) .

وقد أجمعت الأمة على أنها مشروعة عند قراءة آيات مخصوصة من القرآن الكريم .

ثالثاً : حكمها :

أجمع العلماء على أنها سنة ما عدا أبو حنيفة فإنه قال : إنها واجبة .. والذين قالوا بسنيتها أن تاركها لا يأثم ، أما أبو حنيفة فقال : يأثم تاركها والإثم وعدهم بالنسبة للقارئ والسامع .

رابعاً : شروطها : اتفقت المذاهب على أن شروطها هو ما يشترط للصلاة كالطهارة من الحدثين الأصغر والأكبر . والأنجاس للملابس والأبدان والأمكنة . وشتر العورة . واستقبال القبلة . والإسلام . والبلوغ ، والعقل .. واختلفوا في الشروط الأخرى .. فشرط القصد لم يقل به الشافعية والأحناف للمستمع فيسجد ولو لم يقصد السماع .

وشرط النية لم يقل به الأحناف وقال به الحنابلة .. أما المالكية والشافعية فعدوها ركناً من أركانها إذا كانت في غير الصلاة .. هذا

(١) سورة الانشقاق آية : ٢١

(٢) صحيح مسلم كتاب الصلاة باب سجود التلاوة : ٨٨/٢

ويُزاد في المستمع ثلاثة شروط .. أحدها : أن يصلح القارئ للامامة له . وذلك بأن يكون ذكراً مسلماً عاقلاً بالغاً متوضئاً .. فلو سمعها من امرأة أو صبي أو مجنون أو كافر أو محدث أو جماد كالمدبغ أو من متحدث في هاتف (تليفون) فلا يسجد لذلك كله ، أما المرأة فتسجد لسماعها الرجل بشروطه وإذا لم يؤد سجودها إلى فتنة كأن تكون بحضرة رجال غير محارم لها .

ثانيها : أن تكون القراءة مقصودة .. فلو سمعها من ساه أو نائم يحلم أو من واعظ يتحدث في درس ليستشهد بها ولم يسجد فلا يسجد المستمع لذلك كله .

ثالثها : أن يكون المستمع قاصداً السماع فلو كان ماشياً في طريق أو في شغله وسمع قارئاً يقرأ آية سجدة فلا يسجد المستمع لعدم قصده السماع .. وهذا الحكم الأخير عند المالكية والحنابلة .

خامساً : أسبابها :

اتفق المالكية والشافعية والحنابلة على أن لها سببين .. هما : التلاوة والسماع .. أما الأحناف فزادوا الاقتداء .. فعندهم أن القارئ إذا لم يسجد فليس على المستمع سجود ، والشافعية عندهم وجه في ذلك .. وإن كان في أصل المذهب : السجود بغير اقتداء .

سادساً : أركانها وسننها :

عند المالكية والحنفية : لها ركن واحد وهو وضع الجبهة على الأرض ، أو الإيماء من المريض والمسافر الذي لا يستطيع السجود لشدة المرض والمسافر كأن يكون راكباً دابة أو سيارة . . . الخ .

أما المسافر على قدميه فيسجد على الأرض إذا لم يمنعه مانع من شوك أو وحل .. ولها سنتان (عندهم) هما تكبيرة وضع الجبهة على الأرض أو الإيماءة ، وتكبيرة الرفع منها ، وليس لها تشهد أو سلام .
عند الحنابلة : لها ثلاثة أركان : السجود والرفع منه والتسليمة الأولى .. ولها سنتان وهما التكبيرة وضع الجبهة على الأرض وتكبيرة الرفع وليس لها تشهد .

عند الشافعية : فهم يفصلون في الصلاة أو في غيرها .
فاذا كانت في الصلاة فلها ركنان .. الأول : النية بالقلب من غير تلفظ بها ، فإن تلفظ بطلت صلاته والثاني : وضع الجبهة على الأرض .
وإذا كان في غير الصلاة فيكون لها خمسة أركان :

١ - النية ومحلها القلب ٢ - تكبيرة الإحرام ويسن رفع اليدين عندها ٣ - وضع الجبهة على الأرض ، ويسن له التكبير ، كما يسن التكبير عند الرفع من السجود ٤ - الجلوس بعد السجدة ٥ - السلام والدعاء سنة في جميع المذاهب .

سابعاً : ما يقال فيها : لقد ورد فيها دعاء مخصوص وهو :
« اللهم اكتب لي بها عندك أجراً ، واجعلها لي عندك ذخراً ، وضع عني بها وزراً ، واقبلها مني كما قبلتها من عبدك داود صلى الله عليه وسلم » .
وذلك بعد التسبيح الوارد في سجود الصلاة « سبحان ربي الأعلى ثلاثاً » .

هذا ومن أراد الزيادة فليقل : « اللهم لك سجدت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره بحوله وقوته تبارك الله أحسن الخالقين » ويقول : « سبح قدوس رب الملائكة والروح » .

أما من قرأ أو سمع آية السجدة ولم يكن متوضئاً فلا يسجد ..
وله أن يقول : « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » .

هذا وقد ذكرت ما ورد فيها من دعاء وتسيح لينتفع به من
وفقه الله وأعانته على طاعته ، وكان يصلى منفرداً .. أما إذا كان إماماً
فليعمل بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وهي التخفيف رحمة
بالضعيف والمريض ، إلا إذا رضى المأمومون جميعهم بالتطويل .
ثامناً : أحوالها : إعلم أن لسجود التلاوة أحوالاً أذكرها
باختصار :

منها : إذا كانت صلاة الجماعة .. فإن كانت جهرية وقرأ بها
الإمام فسجد فعلى المأموم متابعتة، وإن كانت سرية وقرأ بها الإمام
فليس على المأموم متابعتة ولو سجد الإمام ، لأن المأموم غير عالم
بقراءته ، وإذا قرأها المأموم في الصلاة السرية فلا يسجد ، فإن سجد
بطلت صلاته لأنه - في هذه الحالة - يأتي بفعل لم يأت به إمامه
(وهو مطالب باتباع الإمام) ، وكذلك إذا سمعها من غير الإمام .

ومنها : إذا كانت الصلاة لمنفرد : فإن كانت جهرية وقرأ بها
وسمعها غير مصلى فعلى السامع السجود بتفصيل شرط القصد والاعتداء
السابق ذكره في الشروط . أما إذا سمع المصلى قراءة غير المصلى فلا
يسجد المصلى ولو سجد القارئ .. وهذه الحالة مستثناة من شرط
الاعتداء والسمع .

ومنها : إذا كانت القراءة في غير الصلاة وكان القارئ محدثاً

«والمستمع متوضئاً فعند الأحناف يجب عليه السجود إذا كان أهلاً
لوجوب الصلاة عليه بأن كان بالغاً عاقلاً ، وعند الحنابلة والمالكية
لا يسجد السامع المتوضئ لاستماع القارئ غير المتوضئ ، لأن القارئ
لا يصح أن يكون إماماً له ، وعند الشافعية لا يسجد السامع - في هذه
الحالة - لأن قراءة القارئ مكروهة .

ومنها : إذا كرر القارئ آية السجدة فعند الحنابلة يسن له تكرار
السجود ، وعند المالكية يسجد عند قراءتها فقط فلا يكرر ،
وعند الحنفية يسجد سجوداً واحداً فان اختلف المجلس كرر السجود
وهذا الحكم يسرى على كل من القارئ والسامع .
وإني أختار مذهب المالكية وخاصة إذا كانت القراءة للتعليم .
أما إذا كانت القراءة لمجرد التلاوة أو للتعبد فأختار تكرار
السجود كما قال الحنابلة .

ومنها : يستحب لمن قرأها جالساً أن يأتي بها من وقوف ، وإذا
قرأها الخطيب على المنبر فهو مخير .. فإن نزل وسجد فعلى السامعين
السجود .. وهذا ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قرأها مرة
على المنبر فنزل وسجد ، وفي مرة أخرى تركها كما ورد في صحيح
البخارى .

تاسعاً : الخلاف في مواضعها بين المذاهب : علمنا أن آيات
السجدة أربعة عشر موضعاً .. وهذه المواضع فيها آيات اختلف الأئمة
في السجود لها ... وسأذكر هذا الخلاف :

١ - التي في آخر سورة الحج وهي قوله تعالى : « يا أيها الذين
آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم ... الخ » المالكية والأحناف
لم يعدوها آية سجدة .

٢- آية سورة النجم وهي قوله تعالى : « أفمن هذا الحديث
تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون فاسجدوا . . الخ »
آية سورة الإنشقاق وهي قوله تعالى : « وإذا قرئ عليهم القرآن لا
يسجدون » آية سورة العلق وهي قوله تعالى : « كلا لا تطعه واسجد
واقرب »

هذه الآيات الثلاث لم يعدها المالكية آيات سجدة .

٣- آية سورة (ص) وهي قوله تعالى : « وظن داود أنما
فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب . فغفرنا له ذلك وإن له عندنا
لزني وحسن مثاب » الآيتان ٢٤ ، ٢٥

المالكية قالوا : إنها آية سجدة والسجود فيها عند قوله تعالى :
« وأناب »

الحنفية قالوا : إنها آية سجدة والسجود فيها عند قوله تعالى :
« وحسن مثاب »

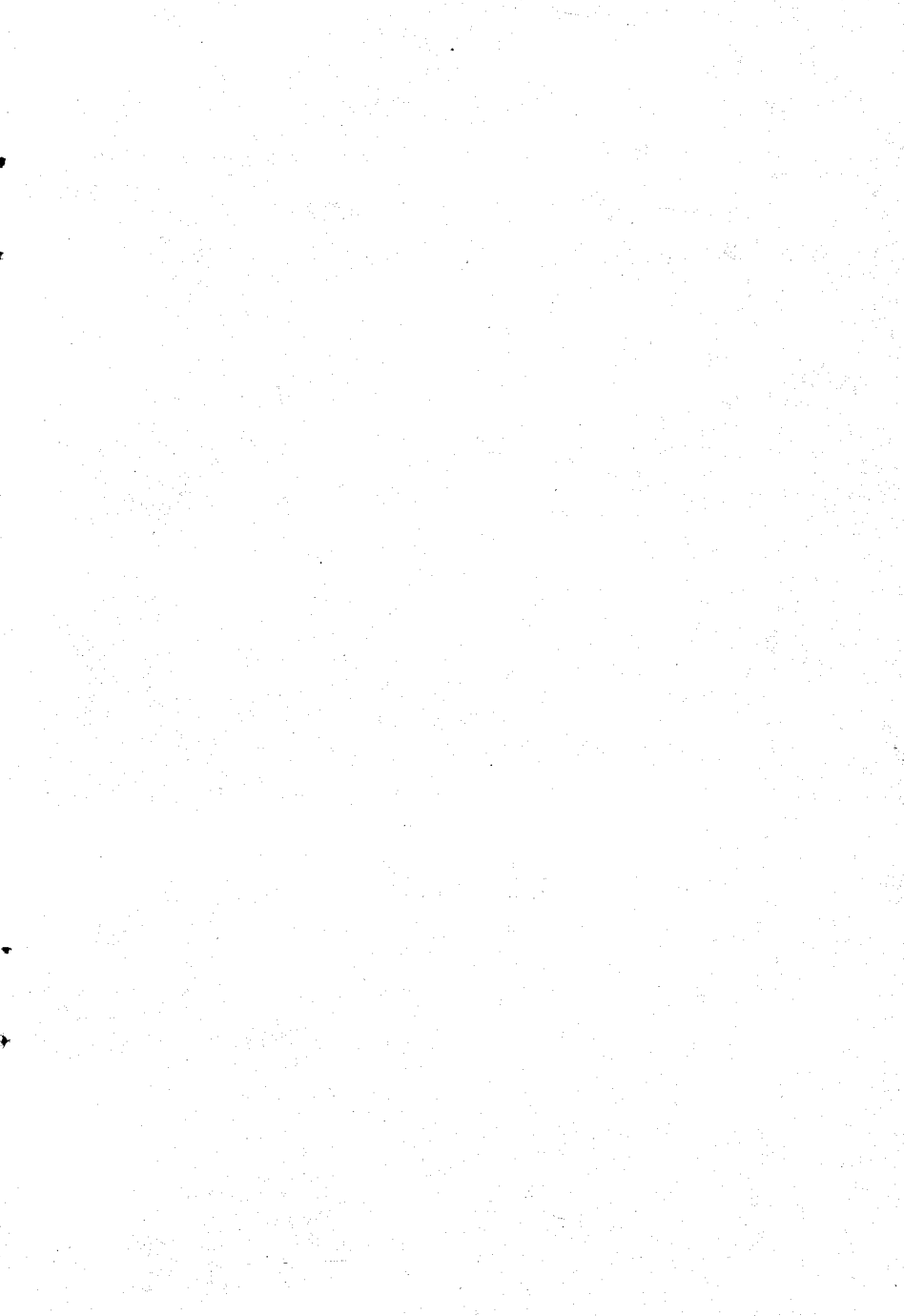
ومن هنا نعلم إجمالاً : أن عدد الآيات المسماة بآيات سجدة خمس
عشرة آية : الشافعية والحنابلة عدوا منها أربع عشرة آية وتركوا
آية سورة (ص) .

المالكية : عدوا منها إحدى عشرة آية وتركوا السجدة التي في
آخر الحج والنجم والإنشقاق والعلق .

الأحناف : عدوا منها أربع عشرة آية تركوا السجدة التي في
آخر الحج وعدوا آية سورة (ص) .

والله تعالى أعلم .





الفصل السادس الرقية بالقرآن والحكمة منها

قال الله تعالى : « يأيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين » (١) وقال تعالى : « ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » (٢) .

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء » (٣) .

وروى عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أتى مريضاً أو أتى به قال : أذهب البأس ، رب الناس اشف وأنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك لا يغادر سقماً » (٤) .

وفى صحيح مسلم عن أبى سعيد أن جبريل أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت ؟ فقال : نعم . قال : بسم الله أرقيك من كل شئ يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك باسم الله أرقيك » (٥) .

من هذه النصوص من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم نعلم أن الرقية جائزة بل ومستحبة . ومعنى الرقية :

(١) الآية ٥٧ من سورة يونس .

(٢) الآية ٨٢ من سورة الإسراء .

(٣) صحيح البخارى كتاب الطب باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء :

١٥٨/٧

(٤) صحيح البخارى كتاب الطب باب دعاء العائد للمريض : ١٥٧/٧

(٥) صحيح مسلم كتاب السلام باب الطب والمرض والرقى : ١٣/٧

طلب الشفاء من الله سبحانه وتعالى للمريض سواء في نفسه أو يرقبه غيره ، وقد اشتملت هذه الأحاديث على كلام طيب فيه تقرب إلى الله بالدعاء والذكر وتلاوة القرآن . . وهذا كلام كله خير ونفع للراقي والمرقى . . هذا بدعائه وقراءته وذاك بسماعه للدعاء والقراءة . وليس فيها شيء من هممة الدجالين غير المفهومة ، ولا تعاويد السحرة ورموزهم الغامضة ، ولا طنين الكهان وسجعهم .

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضی الله عنها : سألت أناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكهان فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليسوا بشيء » . قالوا يارسول الله فإنهم يحدثون أحيانا الشيء يكون حقاً . . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تلك الكلمة من الحق يخطئها الجنى فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة » (١) .

وهنا يشرح الإمام النووي الكهانة وما كان عليه العرب في الجاهلية فيقول رحمه الله : « كانت الكهانة في العرب ثلاثة أضرب : أحدها : يكون للانسان ولي من الجن يخبره بما يسترقه بالسمع من السماء .. وهذا القسم بطل من حيث بعث الله نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم » وكلام النووي هنا يشير إلى ما ورد عن الجن في القرآن في السورة المسماة باسمهم حيث يقول الله تعالى : (٢) « وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً . وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً » ومعنى هذا أنهم كانوا قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم يستمعون إلى السماء

(١) صحيح مسلم كتاب السلام باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان : ٣٦/٧

(٢) سورة الجن ، الآيات : ٨ ، ٩

فكان الله - بقدرته - يسلط الشهب عليهم فتحرقهم وتصدمهم .
ثانها : أن يخبره بما يطرأ أو يكون في أقطار الأرض ، وما خفي
عنه مما قرب أو بعد .. وهذا لا يبعد وجوده .

ثالثها : المنجمون وهذا الضرب يخلق الله تعالى فيه لبعض الناس
قوة ما ، لكن الكذب فيه أغلب .. ومن هذا الفن العرافة وصاحبها
عراف ، وهو الذى يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعى
معرفتها بها .. وقد يعترض بعض هذا الفن ببعض في ذلك بالزجر والطرق
والنجوم ، وأسباب معتادة ، وهذه الأضراب كلها تسمى كهانة .
وقد كذبهم جميعا الشرع ، ونهى عن تصديقهم وإتيانهم والله أعلم .
ولعل سائلا يقول : ما ذكرت من الأحاديث ليس فيها إشارة إلى
الرقية بالقرآن وإنما هي في الرقية بصفة عامة . . ؟

نقول : قد ورد في الصحيحين البخارى ومسلم ما يجيب على سؤاله :
روى البخارى عن أبى سعيد أن رهطاً من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم انطلقوا في سفرة سفروها حتى نزلوا بحى من
أحياء العرب ، فاستضافوهم فأبوا فلدغ سيد ذلك الحى فسعوا له
بكل شيء لا ينفعه شيء . فقال بعضهم : لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين
نزلوا بكم لعله أن يكون عند بعضهم شيء . فأتوهم فقالوا : يا أيها الرهط
إن سيدنا لدغ فسعيننا له بكل شيء لا ينفعه شيء ، فهل عند أحد منكم
شيء ؟ فقال بعضهم : نعم والله إنى لراق .. ولكن والله لقد استضفناكم
فلم تضيفونا فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلاً . فصالحوهم على
قطيع من الغنم فانطلق فجعل يتفل ويقراً : الحمد لله رب العالمين حتى
كأنما نشط من عقال .. فانطلق يمشى ما به قلبه قال : فأوفوهم جعلهم
الذى صالحوهم عليه .. قال بعضهم : اقسوا .. فقال الذى زكى : لا تضعوا
حتى تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذى كان فنظف

ماذا يأمرنا .. فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ..
 قال: وما يدريك أنها رقية .. أصبتم اقسما واضربوا الى معكم بسهم» (١).
 وفي مسلم: عن أبي سعيد الخدري نفس الرواية إلا أنه قال:
 « والله ما رقيت إلا بفاتحة الكتاب» (٢): وهنا يقول الإمام النووي في
 قول الرسول صلى الله عليه وسلم « اقسما واضربوا الى معكم بسهم»
 إنما قال النبي ذلك تطيباً لقلوبهم .. والحديث كله فوائد فليتأمله
 أولو الألباب .

وأما طريقة الرقية فيرشدنا إليها النبي صلى الله عليه وسلم في
 في موطأ مالك عن عثمان بن أبي العاص أنه أتى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم - قال عثمان - وبني وجع قد كاد يهلكني قال: فقال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم: « امسحه بيمينك سبع مرات وقل: أعوذ
 بعزة الله وقدرته من شر ما أجد» قال: ففعلت ذلك فأذهب الله ما كان
 بي فلم أزل آمرأبها أهلي وغيرهم (٣) .

وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها: « أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث (٤)
 فلما اشتد وجهه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها» (٥) .
 ويقول الإمام السيوطي (٦): أن يجمع الراقي لنفسه أو لغيره

(١) صحيح في كتاب الطب باب النفث في الرقية: ١٧٣/٧ والرهط:
 الجماعة . والجمل: الأجر

(٢) صحيح مسلم كتاب السلام باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن:
 ٢٠٠١٩/٧

(٣) أنظر موطأ مالك كتاب الجامع باب التعوذ والرقية من المرض ٦٧٣

(٤) ينفث ينفخ بضمه فيخرج النفس مشجماً بريقه .

(٥) صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن - المعوذات: ٢٣٣/٦

(٦) في كتاب الاتقان في علوم القرآن .

يديه أمامه ويقرأ فيها سور المعوذات - قل هو الله أحد - وقل
أعوذ برب الفلق - وقل أعوذ برب الناس - وبعد أن ينتهي من القراءة
ينفث بريق خفيف ثم يمسح موضع الألم . ويدعو بالدعاء الذي
أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق .

ولعل أحداً يقول : إن هذه دعوة لانصراف الناس عن الطب
في التداوى ، ونحن في عصر تقدم فيه الطب ، وما دخل الرقية في أمراض
الكبد والكلى والمعدة والقلب والجراحة . . الخ ؟

وأقول ليس صرفاً عن الأخذ بأسباب الطب ، فإن كلا من
التداوى بالأدوية والرقية واجب حتماً ، وقد مر بنا حديث البخارى :
« ما أنزل الله داء إلا وأنزل له شفاء » والشفاء ليس قاصراً على الطب
وحده ولا على الرقية وحدها ، وإن الرسول صلى الله عليه وسلم
وجه الأمة إلى الأخذ بالأدوية والجراحة ، وذلك فيما روى عن ابن عباس
رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الشفاء في ثلاثة :
في شرطة محجم أو شربة عسل أو كية بنار ، وأنهى أمتي عن الكي » .
فأنت ترى أن الرسول صلى الله عليه وسلم يذكر أسباب العلاج
وأدواته وأول ما يذكر « مشرط » الجراحة ويليه « شربة العسل »
ونجده صلى الله عليه وسلم يذكر الكي بالنار لكنه قرنه بالهي
والتحذير لخطورته .

ولعل علماء المسلمين هم أول العلماء الذين وضعوا أسس الطب
الحديث وأدواته ، وذلك قبل أن يعرف الغرب والشرق أسس الطب
الحديث .

فإذا كنا نذكر الرقية بالقرآن فإنما نذكرها على أنها نوع آخر

من طرق العلاج والرقية بالقرآن كما قلت سابقاً فيها : ذكر الله بتلاوة آياته ودعاء يتقع الداعى والمدعو له . . وذلك خير من الشعوذة والسحر والزار . . تلك الأمور التي أنكرها الإسلام وجعلها من الكبائر .

وليت أطباءنا وهم يباشرون المرضى بالأدوية أو الجراحة أو الأشعة . . . يستعينون بالدعاء الذى ورد فى الرقية وبقراءة الآيات الواردة أيضاً وهى : الفاتحة ، وقل هو الله أحد ، والمعوذات ، وهم طاهرون .

وأخيراً نقول إن المرض والشفاء من الله . . فليس كل طبيب يتم على يديه الشفاء ، وليس كل راق كذلك . . ولهذا قال الله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم :

« وإذا مرضت فهو يشفين » والمهم هو الأخذ بالأسباب والسعى إليها .

والله تعالى أعلم .



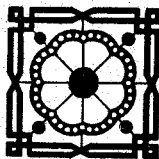
الباب الخامس كيف نستمع إلى القرآن الكريم

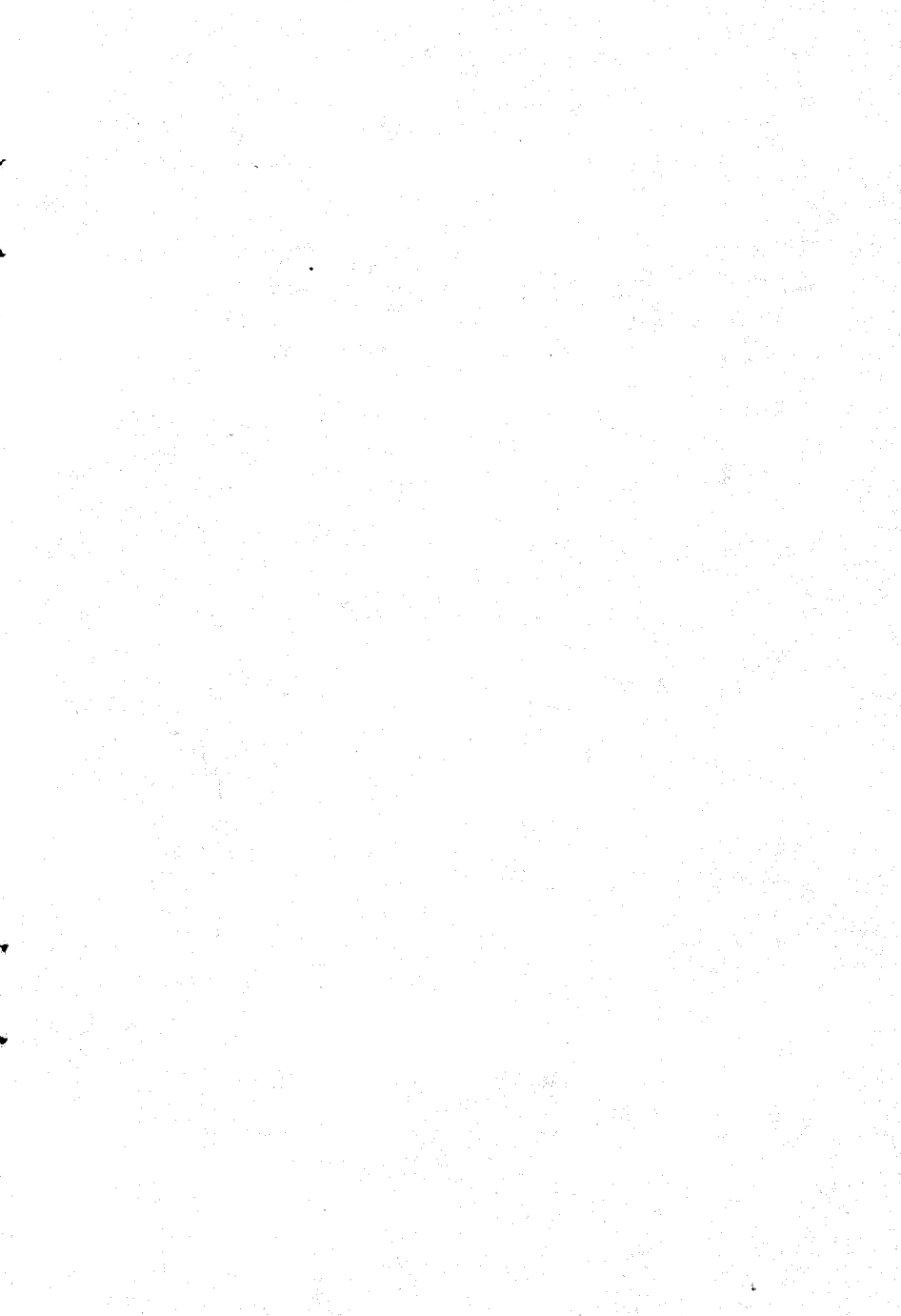
وفيه فصلان :

الفصل الأول : فضل استماع القرآن

الفصل الثاني : آداب المستمع

ويليه ثلاث مسائل :





الفصل الأول فضل استماع القرآن الكريم

قال الله تعالى : في سورة الأنفال الآيات : ٢ ، ٣ ، ٤ :

« إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم »

وقال تعالى في سورة الإسراء الآيتان : ١٠٧ ، ١٠٨ :

« إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا تلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً . ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً »

وقال تعالى في سورة الأعراف الآية : ٢٠٤ من آخر السورة :

« وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » .

ومما ورد في تفسير ابن كثير عن الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة »^(١) وهنا يقول الإمام الغزالي رحمه الله :

(١) قال ابن كثير : الحديث تفرد به أحمد في مسنده ج ٢ ص ٣٤٦ . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ١٦٢ « رواه أحمد وفيه عباد بن مسيرة ضعفه أحمد وغيره ، وضعفه ابن معين في رواية وضمحه في أخرى . ووثقه ابن حبان » . لكننا نأخذ بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال .

« ومهما عظم أجر الاستماع وكان التالى هو السبب فيه كان شريكاً له في الأجر إلا أن يكون قصده الرياء والتصنع » . وبعد

فهذه المقدمة من النصوص القرآنية والسنة النبوية الشريفة تدل على أن رحمة الله تظل القارئين والسماعين .. ففضل الاستماع إلى كتاب الله كبير وشأنه عظيم ، فطوبى لمن استمع وأطاع ، وويل لمن استمع وعصى ، فإن الاستماع مع العصيان والإصرار عليه من أفدح الذنوب وأبغضها .. والآية الكريمة : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » قال بعض المفسرين إنها خاصة بقراءة الإمام في الصلاة ، وبعضهم توسع فقال : إنها تشمل القراءة في الصلاة وخطب الجمعة والعيدين ، وبعضهم قال : إنها عامة في كل الأحوال وبه قال ابن جرير والطبري والقرطبي فقال الطبري « ويمكن أن يعم الأمر الصلاة وغيرها » وقال القرطبي : « والصحيح القول بالعموم » . أ . هـ .

ولكني أفضل هذا العموم بين الاستماع إلى القراءة في الصلاة وغيرها ففي الصلاة ورد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بخصوصها عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا وإذا قرأ فأنصتوا » ولذلك اتفق المالكية والشافعية والأحناف والحنابلة على كراهة قراءة المأموم مع إمامه في الصلاة الجهرية .. وأما القراءة مع الإمام في السرية فمنهم من قال بالكراهة ومنهم من جعلها مندوبة أو مستحبة . والحنفية هم الذين قالوا بكراهة القراءة من المأموم في الصلاة سرية أو جهرية .. وأما في غير الصلاة فالأمر للسمع ليس على الوجوب بل هو للندب ففي سجدة التلاوة اشترط بعض الفقهاء في السامع

قصد الاستماع حتى يسن له السجود أولاً.. فلو كان الأمر للوجوب
لكان المستمع ملزماً بسنية السجود سواء قصد أم لم يقصد.. وهنا
نجد القراءة في غير الصلاة دائماً جهرية إلا فيما ندر.

أما الصلاة فهي موزعة بين الجهرية والسرية وإذا كان الأمر
ل للوجوب في غير الصلاة لأثم كل من يسمع القرآن ولم ينصت له..
وهذا فيه حرج شديد وضيق على الناس وخاصة في عصر مكبرات
الصوت.

ومما يدل على أن الأمر للندب في غير الصلاة ما أورده ابن جرير
الطبري عن طلحة بن عبيد الله بن كرز بن قال: « رأيت عبيد بن عمير
وعطاء بن أبي رباح يتحدثان والقاص يقص فقلت ألا تسمعان إلى
الذكر وتستوجبان الموعود؟ قال: فنظرا إلى ثم أقبلا على حديثهما،
قال فأعدت: فنظرا إلى وأقبلا على حديثهما قال: فأعدت الثالثة قال:
فنظرا إلى فقالا: إنما ذلك في الصلاة: (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا
له وأنصتوا) بعد هذا التوضيح الفقهى للآية نزيد توضيحا آخر وهو أن
الله الحكيم العليم لم يقتصر على الأمر بالاستماع.. بل أضاف معه الإنصات
لأن الاستماع يكون بالأذن فقط.. أما الإنصات فبالقلب والعقل مع
الأذن.. إذن ليس بين الكلمتين ترادف لغوى ولكن بينهما عموم
وخصوص.. فالإنصات خاص بالفهم والتعقل والاستماع عام، بدليل
أن الشخص يسمع كل لفظ وضجيج ولكنه لا يستطيع الفهم والتمييز
بين ما يصدر عن كل الأصوات مجتمعة.

إذن (فاستمعوا له وأنصتوا) متغايران في المراد وخاصة أن العطف
بالواو يفيد التغاير في قاعدته الأصلية المشهورة.

وإذا كان الأمر كذلك من الأهمية فليكن استماع القرآن حبيباً
لأذاننا رقيقاً لعقولنا قريباً لقلوبنا .. وكيف لا يكون ذلك .. ونحن
البشر إذا تكلم زعيم الدولة استمع الناس وأنصتوا مع أنه بشر مخلوق
مثلنا .. فما بالنا بكلام خالق الخلق ومالك الملك ، ذى الرحمة والخبروت
وكيف لا يكون ذلك .. ونحن أبناء آدم لم نكن المستمعين فقط بل
يستمع معنا الملائكة والجن .. فقد مر بنا من قبل أن الملائكة
نزلت لتسمع قراءة « أسيد بن حضير » أما الجن فقد أخبرنا عنهم القرآن
فقال : « قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا
قرآنا عجباً يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً . وأنه
تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً » . وقال جل شأنه : « وإذ
صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا
أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين . قالوا يا قومنا إنا
سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصداقاً لما بين يديه يهدى إلى الحق
وإلى طريق مستقيم . يا قومنا أجيئوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم
من ذنوبكم ويجزئكم من عذاب أليم » (١) .

ونحن إذا استمعنا للقرآن ، فليكن استماعنا له على أنه كلام الله سواء
صدر عن قارئ حسن الصوت أو قبيحه ، قويه أو ضعيفه .. فالملء من
يتدبر ، ولا يهتم بما يرئم من نغمت الصوت الحميل .
والله تعالى أعلم .

* * *

الفصل الثاني

آداب المستمع للقرآن الكريم

لقد مرت بنا آداب القارئ . . وهو السامع شريكان في الفضل والآداب . . إلا أن القارئ لا يشغاله بنطق الآيات ومخارج الحروف وحرصه على النطق الصحيح وخوفه من الخطأ وخاصة إذا كانت قراءته في وسط جمع من الناس ، فله آدابه . .

فالقارئ آتته اللسان، واللسان يعبر عما في القلب والعقل .. ومعنى هذا أن قلبه يسبق لسانه .. وأما المستمع فأتته الأذن التي تصب في القلب والعقل فأذنه تسبق قلبه فلهذا الاعتبار له آدابه الخاصة به حصرها الإمام الغزالي في عشرة آداب هي : ١ - فهم أصل الكلام ٢ - التعظيم ٣ - حضور القلب ٤ - التدبر ٥ - التفهم ٦ - التخلي عن موانع الفهم ٧ - التخصص ٨ - التأثر ٩ - الترقى ١٠ - التبرى وإني سأذكر كلا منها بتصرف واختصار (١) :

أولاً - فهم أصل الكلام : وهو فهم لعظمته وعلوه ، وفضل الله ولطفه مخلقه في تنزله في إيصال معاني كلامه - الذي هو صفة

(١) هذه الآداب العشرة ذكرها الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين ج ١ تحت عنوان الآداب الباطنة لقارئ القرآن . وقد قمت بتغيير سياقها إلى آداب السامع باعتبار أن السامع والقارئ شريكان في القرآن هذا بقراءته وهذا بسامعه كما قلت في أول الفصل .

قديمة قائمة بذاته تعالى - إلى أفهام العباد .. فتجلت لهم صفة الكلام الإلهية في حروف وأصوات - وهي من خصائص كلام البشر - ولولا ذلك لعجزت أفهام العباد عن إدراك كلام الله الذي تجلّى في شكل كلمات وحروف منطوقة ومسموعة أو مكتوبة .. وأضرب مثلاً يقرب الغرض وتصوره :

فنحن البشر حينما ننادى الحيوانات والطيور لنبلغها مرادنا هل نكلمها بعبارتنا المتداولة فيما بيننا أم أننا ننطق ألفاظاً تتواءم مع كل فصيلة من فصائل الحيوانات والطيور من قبل^(١) : الصغير ، والنقر والعووة ، والهأهأة وغيرها ، في حالات الطعام والشراب ، والجمع ، والتفريق ، والتوجيه في السير وحين نكلم أطفالنا الصغار هل نكلمهم بكلام الكبار أم نزل إلى طفولتهم فنسوق لهم الألفاظ التي يفهمونها مثلاً .

وهذه الأمثلة نستطيع أن نفهم أن الله عز وجل في كلامه لا يتشابه مع كلامنا إلا أنه من لطفه ورحمته تجلّى لنا بصفته العليا حتى نتمكن من سماعها بآذاننا ونطقها بألسنتنا وكتابتها بأيدينا .. فهل نتدبر هذا جيداً ؟ ولعل في قصة تكليم الله سيدنا موسى ما يهديننا إلى فهم هذا الأمر الجلل والشأن الخطير^(٢) .

(١) من هذه الأمثلة ما نطقها ولا نستطيع كتابتها فنقول للمار (حا) ولحصان (شئ) وللغنم في التفريق (هر) والماعز (س ك) والكلب في النداء (تعو) والقط (بسبس) وفي التفريق (جر) ، (يس) .

(٢) فقد قص الله علينا قصة تكليمه سبحانه لموسى عليه الصلاة والسلام في أكثر من موضع .. فقبل أن يخاطبه عز وجل هيأه بصفة معينة لا يعلمها إلا هو بحيث يتمكن بها موسى عليه السلام من الاستماع مباشرة بدون وساطة جبريل ولنقرأ هذه من سورة طه : « وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً =

ثانياً - التعظيم للمتكم : ينبغي لسامع القرآن أن يحضر في قلبه عظمة المتكلم ، ويعلم أن ما يتلى ليس من كلام البشر وأن في تلاوته غاية الخطر فإن الله يقول : « لا يمسه إلا المطهرون » فكما أن ظاهر غلاف المصحف وورقه محفوظ عن ظاهر بشرة اللامس غير الطاهر .. فكذلك باطن معنى القرآن - بحكم عزه وجلاله - محجوب عن باطن قلب الإنسان إلا إذا كان متطهراً من كل رجس ، ومستنبهاً بنور التعظيم والتوقير .

= لعل آتيكم منها يقبس أو أجد على النار هدى . فلما أتاها نودى يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى . وأنا اخترتك فاستمع لسا يوحى . إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري .

لقد قال له المولى : « وأنا اخترتك » وهذا الاختيار العلوى من العلى القدير ليكون موسى مهيباً لتلقى الكلام من ربه عز وجل مشافهة بكيفية لا نعلمها ، وأخذ سبحانه في مخاطبته : « وما تلك بيمينك يا موسى » سأله وهو أعلم بما في يمينه لكي يأنس موسى ويذهب عنه روع الموقف الذى هو فيه من حيث لا يدري .. وهذا تطف من الله مع عبده ونبيه .

ورد موسى قائلاً : « هي عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى » . وبعد حالة الإنساق أراد الله تدريب موسى على مواجهة التحديات فقال : « أتتها يا موسى فالتفتا فإذا على حية تسمى » فغاف موسى مرة أخرى وارتاع لما رأى من خارق العادات فطمأنه الله قائلاً : « خذها ولا تخف سنيدها سيرتها الأولى » أى سنيدها عصاً كما كانت ثم طلب منه شيئاً آخر فقال : « واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى . لئريك من آياتنا الكبرى » وبعد هذا التدريب والإعداد كلفه الله بتبليغ التوحيد إلى فرعون الذى بلغ به الطفيان حداً جعل من نفسه إلهاً يعبد من دون الله قال تعالى فى سورة القصص : « وقال فرعون ياأياها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى فأوقدلى يا هامان على الطين فاجمسل لى صرحاً لعل أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين » وبعد أن تلقى موسى من الله سبحانه =

وكما لا يصح لمس الغلاف بكل يد . فلا يصح لتلاوة حروفه
كل لسان . ولا لنيل معانيه كل قلب . ولا لسماع آياته كل أذن .

ثالثاً - حضور القلب وترك النفس : قيل في تفسير قوله تعالى :
« يا يحيى خذ الكتاب بقوة » أى مجد واجتهاد .. وأخذه بالحد أن يكون
متجرداً له عند قراءته (أو سماعه) منصرف الهمة إليه عن غيره .
وقيل لبعض السلف : « إذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشيء »
فقال : « أى شيء أحب إلى من القرآن حتى أحدث نفسي به .. » .
وكان بعض السلف إذا قرأ آية لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية .

= التكليفات التي كلف بها . . فقد قال الله له : « اذهب إلى فرعون إنه طغى » .
وطلب موسى من الله سبحانه ما يعينه على تبليغ الدعوة إلى فرعون الطاغية المتكبر :
« قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي .
واجعل لي وزيراً من أهل هارون أخى . اشدد به أزرى . وأشركه في أمري . كي نسبحك
كثيراً . ونذكرك كثيراً . إنك كنت بنا بصيراً » . فأجاب الله طلبه وما دعا به
فقال : « قد أوتيت سؤالك يا موسى » يعنى الآن وعلى الفور صرت مشروح الصدر
وميسر الأمر ، فقه القول ، فصيح اللسان . . الخ ثم أخذ الله سبحانه يذكر موسى بما
خصه به من الصغر من تمهد ورعاية فما قال له « وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على
عيني » وقال له : « ثم جئت على قدر يا موسى واصطنعتك لنفسى » أربعة أمور خطيرة
الشأن في تكوين موسى ليكون نبياً ورسولاً وكليماً لله سبحانه وهى : إلقاء محبة الله عليه ،
واصطناعه على عين الله .. أى رعايته وتربيته ، والهيء على قدر الله وحكته ، واصطناعه
لنفس الله أى تكوينه موسى لإرادة ذات الله والنتيجة لهذه الأمور هى : اختيار الله
لموسى ليكون كليماً لله سبحانه وتعالى كما ذكر القرآن في سورة النساء « ورسلاً قد
قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً » . كل هذا جعل
موسى في حالة يستطيع بها أن يتلقى الكلم من الله مباشرة بكيفية لا يصل إليها إدراكنا
ولا علمنا مهما حاولنا .. وفي هذه الحال لابد من الإذعان والتصديق والتسليم والإيمان .

ومن هذا نعلم أن معنى حضور القلب هو أن يكون القلب متأهباً في شوق إلى تلقى ما تسمعه الأذن لا ينصرف عنه .. فقد تكون الأذن سامعة والقلب مشغول بهوم أو خواطر .. ومعنى ترك النفس أن السامع يهجر حديث نفسه فلا يذكرها مع سماعه القرآن .. وهذه الحالة تتولد عن حال تعظيم الكلام والمتكلم .

رابعا - التذبر : وهو وراء حضور القلب فإنه قد لا يتفكر في غير القرآن .. ولكنه يقتصر على سماعه من نفسه دون تدربر .. والمقصود من القراءة والسماع التذبر .. ولذلك قال الله عز وجل : « فاستمعوا له وأنصتوا » وقال : « ورتل القرآن ترتيلا » والترتيل من القارئ في الظاهر يمكن القارئ والسامع من التذبر في الباطن .. وقد قال الإمام على كرم الله وجهه : « لاخير في عبادة لا فقه فيها ، ولا قراءة لا تدربر فيها » .

خامسا - التفهم : وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها . والقرآن يشتمل على ذكر صفات الله وأفعاله ، وأحوال الأنبياء والأولياء والصدقيين والصالحين والمتقين والشهداء ، وكذلك أحوال الكافرين والمكذبين والظالمين والمنافقين والمتكبرين ، وكذلك أحوال الآخرة وما فيها من حشر وصراط وميزان وجنة بصفاتها ونار بأحوالها .. وبالجملة فإن القرآن يشتمل على ما تحتاج إليه البشرية في الدنيا ، وما ينتظرها في الآخرة .. ففيه العقيدة ، والتشريع ، والسلوك .. فعلى المستمع عندما يسمع شيئاً مما ذكر أن يتمثله في قلبه ويتخيله في نفسه ويتصوره في عقله ، حتى يتأثر به في كل حال .

سادسا - التخلي عن موانع الفهم : إن أكثر الناس منعوا من فهم

معاني القرآن لأسباب وحجب أسبغها الشيطان على قلوبهم فعميت
عليهم عجائب أسرار القرآن .. وهذه الأسباب والحجب حصرها الإمام
الغزالي في أربعة :

١ - أن تكون المهمة منصرفة إلى تحقيق الحروف - وهو أن
يستمع السامع إلى القارئ وهمته منصرفة إلى أن القارئ يخرج الحروف
من مخارجها .. فهو يجلس كالمتربص بالقارئ ينتظر الخطأ منه ليشنع
عليه - وذلك دون الالتفات إلى معاني الكلمات . وهذه وسوسة من
الشيطان ليصرف الناس عن تفهم معاني الآيات والكلمات .

٢ - أن يكون مقلداً للمذهب سمعه بالتقليد وجمده عليه وثبت
في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه
بصيرة ومشاهدة .

٣ - أن يكون مصراً على ذنب أو متصفاً بكبر أو مبتلى في الجملة
بهوى في الدنيا فإن ذلك يسبب ظلمة في القلب وصدأ وهو كالصدأ
على المرآة يمنع انعكاس المرئيات عليها وذلك يمنع الحق من أن
يتجلى في القلب وهو أعظم وأخطر حجاب .

٤ - أن يكون قد قرأ تفسيراً ظاهراً واعتقد أنه لا معنى لكلمات
القرآن إلا ما يتناوله النقل عن الأئمة السابقين ، وأن ما وراء ذلك تفسير
بالرأى ، وأن من فسر بالرأى فقد تبوأ مقعده من النار فهذا أيضاً
من الحجب العظيمة .

سابعاً - التخصيص : وهو أن يقدر أنه المقصود والمخصوص
بكل خطاب في القرآن فإن سمع أمراً أو نهياً قدر أنه المقصود بذلك

الأمر أو النهي ، وإن سمع وعداً أو وعيداً قدر كذلك أنه الموعود أو المتوعد ، وإن سمع قصص الأولين قدر أنه المقصود بسباق العبر والعظات وحسن الأخلاق التي بها ، فيقوم نفسه على هداها .

ثامنا - التأثر : وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة باختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حالة من الحزن والخوف والأمل والرجاء والاستبشار .

تاسعا - الترقى : ويعنى به أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله عز وجل لا من نفسه إن كان قارئاً ، ولا من غيره إن كان سامعاً .. فدرجات القراءة والسماع ثلاث :

أولها : أن يقدر كأنه يسمع من الله سبحانه وتعالى واقفاً بين يديه ، والله ناظر له ويسمع منه ، فيكون حاله في ذلك هو : السؤال والتضرع والابتهال .

أوسطها : أن يشهد بقلبه كأن الله عز وجل يراه ويخاطبه بألفاظه ، ويناجيه بأنعامه فحاله هنا : الحياء والتعظيم ، والإصغاء والفهم .
أعلاها : أن يرى في الكلام المتكلم ، وفي الكلمات الصفات .. فلا ينظر إلى نفسه ، ولا إلى سماعه ، ولا إلى تعلق الإنعام به ، من حيث أنه منعم عليه ، بل يكون مقصور الهم للمتكلم ، موقوف الفكر عليه كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره .. وهذه درجة المقربين ، وما قبلها درجات أصحاب اليمين ، وما خرج عن ذلك فهي درجات الغافلين .. قال جعفر بن محمد الصادق رحمه الله : « لقد تجلى الله عز وجل لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون » وقال عثمان وحذيفة رضى الله عنهما : « لو ظهرت القلوب لم تشيع من قراءة القرآن » .

عاشراً - التبرى : ويعنى به أن يتبرأ من حوله وقوته والالتفات بعين الرضا فإذا سمع آيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد على نفسه عند ذلك .. بل يشهد الصالحين والموقنين . ويتشوق إلى أن يلحقه الله عز وجل بهم ، وإذا سمع آيات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد على نفسه وقدر أنه المخاطب خوفاً وإشفاقاً . . قيل لبيوسف ابن أسباط : « إذا قرأت القرآن بماذا تدعو ؟ فقال بماذا أدعو !! أستغفر الله عز وجل من تقصيرى سبعين مرة » .

مسألة أولى: في حكم القيام بالعبادات أو بأعمال دينوية والقرآن يقرأ : يحسن بنا أن نضع هذه المسألة في صيغة سؤال وهو : هل يجوز للسامع والقرآن يقرأ أن يقوم بصلاة أو بعمل دينوى كالنجارة والحياكة . . ؟

والجواب : بناء على ما تقرر في أول الفصل الثانى - آداب السماع - من أن الأمر الوارد فى آية الأعراف « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » فقد تقرر أن الأمر بالنسبة للمستمع المؤتم بإمامه فى الصلاة واجب فيجب عليه الاستماع والإنصات وإمامه يقرأ سواء قصد الاستماع أو لم يقصد بإجماع المذاهب على ذلك ، فى الصلاة الجهرية .

وبالنسبة للمستمع للقراءة فى غير الصلاة للنذب فالسماع له سنة ، وبعض المذاهب بشرط فى ذلك القصد .. وبناء على ذلك يباح

له القيام بالصلاة ولو نفلا أو تطوعا . ويتأكد له القيام بالصلاة المفروضة أداء أو قضاء .. وفي هذه الحال يجب على القارئ خفض صوته حتى لا يهوش على المصلين .. ولذلك نجد مساجد الذين يسبرون على السنة الصحيحة تمنع قراءة القرآن وقت انتظار الجمعة .. وذلك لعدم التشويش على المصلين ، ولأنها تعتبر بدعة مستحدثة لم يسبق لها سابقة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة من بعده .

وأسوق دليلا على ما قلته من الإباحة لمستمع القرآن في غير الصلاة القيام بعبادة فرضية أو نفلية : ما رواه المنذرى في الترغيب والترهيب ج ١ ص ١٠٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه مر بسوق المدينة فوقف عليها فقال : يا أهل السوق ما أعجزكم .. قالوا وما ذلك يا أبا هريرة ؟ قال : ذلك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم وأنتم ها هنا .. ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه ؟! قالوا وأن هو ؟ قال في المسجد .. فخرجوا سراعا .. ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا فقال لهم مالكم ؟ فقالوا : يا أبا هريرة قد أتينا المسجد فدخلنا فيه فلم نر فيه شيئا يقسم : فقال لهم أبو هريرة : وما رأيتم في المسجد أحدا ؟ قالوا بلى رأينا قوماً يصلون ، وقوماً يقرأون القرآن . وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام .. فقال لهم أبو هريرة : وبحكم فذاك ميراث محمد صلى الله عليه وسلم .

قال المنذرى : رواه الطبراني في الأوسط بإسناد صحيح .

ومن هذا الحديث نعلم أنه يجوز للمستمع في غير الصلاة أن يقوم بعبادة مع قراءة القرآن ، وكذلك الأثر الذي ذكرته في أول الفصل في رواية الطبراني عن طلحة بن عبيد الله بن كريب وفيه أن طلحة رأى اثنين هما عبيد بن عمر ، وعطاء بن أبي رباح يتحادثان والقاص يقص - أي الواعظ - .

أما بالنسبة للأعمال الدنيوية فقد مر آنفاً حكم الفقهاء وأنهم أباحوا لمن في مجلس القرآن أن يتحدث إذا دعت الضرورة ، والضرورة وعدمها محتملان في الكلام ، أما العمل المعيشي فلا يحتمل إلا الضرورة وعلى ذلك يباح أيضاً الجمع بين الاستماع وأداء العمل .. والدليل على ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن معاوية بن قررة قال : سمعت عبد الله ابن مغفل المزني يقول « قرأ النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح في مسير له سورة الفتح على راحلته فرجع في قراءته » (١) . والحديث يستدل به على تحسين الصوت ، ويستدل به على هذه المسألة التي نتحدث فيها حيث أن بعض الصحابة كان كل منهم مشغولاً بعمله والرسول صلى الله عليه وسلم يقرأ .

ولكن هناك أعمال غير ضرورية بل هي نوع من العبث واللهو والقرآن يقرأ فالحكم هنا مختلف فتحرم هذه الأعمال لأنه إغراض عن سماع القرآن .. وهذا ما ينطبق على رواد المقاهي الذين يمارسون ألعاب الررد والميسر وصوت القرآن ينبعث من خلال أجهزة الإذاعة أو آلات التسجيل وسيأتي حكم المعرض عن سماع القرآن .

مسألة ثانية : هل يجوز الاستماع على غير طهارة ؟

نعم يجوز للمستمع غير الطاهر ولو جنباً أو حائضاً أو نفساء بالنسبة للمرأة أن يستمع القرآن .. وذلك لحديث البخاري ومسلم في صحيحيهما عن السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتكئ في حجرى وأنا حائض ثم يقرأ القرآن .

(١) صحيح مسلم كتاب فضائل القرآن باب ذكر قراءة النبي صلى الله عليه وسلم سورة الفتح يوم فتح مكة : ١٩٣/٢ وانظر صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن باب الترجيع : ٢٤١/٦

وفي هذا لإباحة لغبر المتوضئ (من باب أولى) سماع القرآن الكريم .. والله تعالى أعلم .

مسألة ثالثة : حكم المعرض عن سماع القرآن مرغماً أو مختاراً .
المعرض مرغماً لا يسمى معرضاً ولا يوصف به ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » والمكروه غالباً ما يكون مغلوباً على أمره وإرادته مثل الأسير والسجين والمريض المقعد ومن به صمم والمكلف بالحراسة أو يعمل على هاتف (تليفون) أو برق (التلغراف) وما شابه ذلك كل هؤلاء لا إثم عليهم ولا حرج .

أما المعرض مختاراً وهو من خلا من الأعذار التي تحول بينه وبين السماع فهو الذي يعرض بمحض اختياره .. فهذا يدخل تحت طائلة الآية الكريمة القائلة : « ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ، ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى » (١) .

وقوله تعالى : « وإذا تلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم » (٢) .

وبما أن هذه الآيات تتوعد هذا المعرض وأمثاله عن سماع القرآن بدون عذر فإنه يكون آثم النفس جاحد القلب عاصياً لله تعالى .

(١) الآيات : ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧

(٢) سورة لقمان ، آية : ٧

وإن لم يشملته عفو الله فإن له سوء المنقلب ووخيم العاقبة ولعذاب
الآخرة أشد وأبى .

نعوذ بالله السميع العليم من هذا المصير .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

والله تعالى أعلم .

• • •

مراجع الكتاب

١ - تفسير القرآن العظيم

للمحافظ ابن كثير .. وهو أبو الفداء إسماعيل عماد الدين بن عمر
ابن كثير بن ضوء بن كثير بن درع القرشي ٧٠٠ إلى ٧٧٤ هـ .
تحقيق د . عبد العزيز غنيم و د . محمد إبراهيم البنا و د . محمد
احمد عاشور (دار الشعب بالقاهرة)

٢ - تفسير القرطبي : الجامع لأحكام القرآن

للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري
الخرجي الأندلسي القرطبي (دار الشعب بالقاهرة)

٣ - صحيح البخاري

للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة
ابن يردذبه البخاري الجعفي أمير المؤمنين في الحديث ، المتوفى
سنة ٢٥٦ هـ (تصحيح إدارة الطباعة المنيرية بالقاهرة) .

٤ - صحيح مسلم بشرح النووي

للإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري أبو الحسين
المحافظ .. والنووي هو الإمام يحيى بن شرف بن مري حسن بن
حسين بن حزام النووي الشافعي أبو زكريا يحيى الدين .
تحقيق وإشراف عبد الله أحمد أبو زينة (طبعة دار الشعب
بالقاهرة) .

٥ - سنن ابن ماجه

هو العلامة الإمام محمد بن يزيد أبو عبد الله بن ماجه القزوينى
(المطبعة العلمية بالقاهرة) ومعه حاشية الإمام أبى الحسن محمد
ابن عبد الهادى الحنفى المتوفى سنة ١١٣٨ هـ الشهر بالسندى .

٦ - نوادر الأصول

للإمام أبى عبد الله محمد بن على بن الحسن بن بشير المؤذن ..
الشهير بالحكيم الترمذى .

٧ - الترغيب والترهيب

للإمام عبد العظيم بن عبد القوى المنذر المتوفى سنة ٦٥٧ هـ
ضبطه وعلق على أحاديثه الأستاذ مصطفى محمد عمارة (مطبعة
مصطفى الحلبي بالقاهرة) .

٨ - موطأ الإمام مالك

للإمام مالك بن أنس .. صححه وخرج أحاديثه الأستاذ محمد
فؤاد عبد الباقى (دار الشعب بالقاهرة) .

٩ - قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث

للإمام محمد جمال الدين أبى الفرج بن محمد سعيد بن قاسم
ابن صالح بن إسماعيل بن أبى بكر المعروف بالقاسمى المتوفى
سنة ١٣٣٢ هـ تحقيق فضيلة الشيخ محمد بهجت البيطار عضو
المجمع العلمى العربى .

١٠ - البرهان فى علوم القرآن

للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى .. تحقيق محمد
أبو الفضل إبراهيم (مطبعة عيسى الحلبي بالقاهرة) .

١١ - التبيان في آداب حملة القرآن

للإمام أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي الشافعي ٦٣١ هـ -
٦٧٧ هـ وبه حاشية فتح الكريم المنان في آداب حملة القرآن
لفضيلة الشيخ علي بن محمد المعروف بالضباع المصري (مطبعة
عيسى الحلبي بالقاهرة) .

١٢ - الإتقان في علوم القرآن

للإمام جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي
الشافعي المتوفى سنة ٩١١ هـ . وبهامشه إعجاز القرآن للقاضي
أبي بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ هـ
(مطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة) .

١٣ - تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه

لفضيلة الشيخ محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي الخطاط
كاتب مصحف مكة (مطبعة مصطفى الحلبي) .

١٤ - مناهل العرفان في علوم القرآن

لفضيلة الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني . (مطبعة عيسى الحلبي
بالقاهرة) . طبعة ثالثة .

١٥ - مباحث في علوم القرآن

للدكتور صبحي الصالح : أستاذ الإسلاميات وفقه اللغة في
كلية الآداب بالجامعة اللبنانية .

١٦ - الجمع الصوتي الأول للقرآن (المصحف المنزل)

بواعثه ومخططاته .. للاستاذ لبيب السعيد (دار الكتاب العربي
للطبع والنشر) .

١٧ - إحياء علوم الدين

للإمام محمد بن محمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الطوسي
الغزالي (مطبعة مصطفى الحلبي) .

١٨ - فيض القدير شرح الجامع الصغير

للعلامة الإمام محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي .. وهو شرح
على كتاب الجامع الصغير من أحاديث البشير والنذير للحافظ
جلال الدين عبد الرحمن السيوطي .

١٩ - مجمع الزوائد ومنيع الفوائد

للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧ هـ
بتحرير الحافظين الجليلين العراقي وابن حجر (الناشر مكتبة
القدسى بالقاهرة) .

٢٠ - من أخلاق العلماء

لفضيلة الشيخ محمد سليمان .

٢١ - الفقه على المذاهب الأربعة (عبادات)

إعداد وزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية .

٢٢ - مقدمة ابنه خلدون

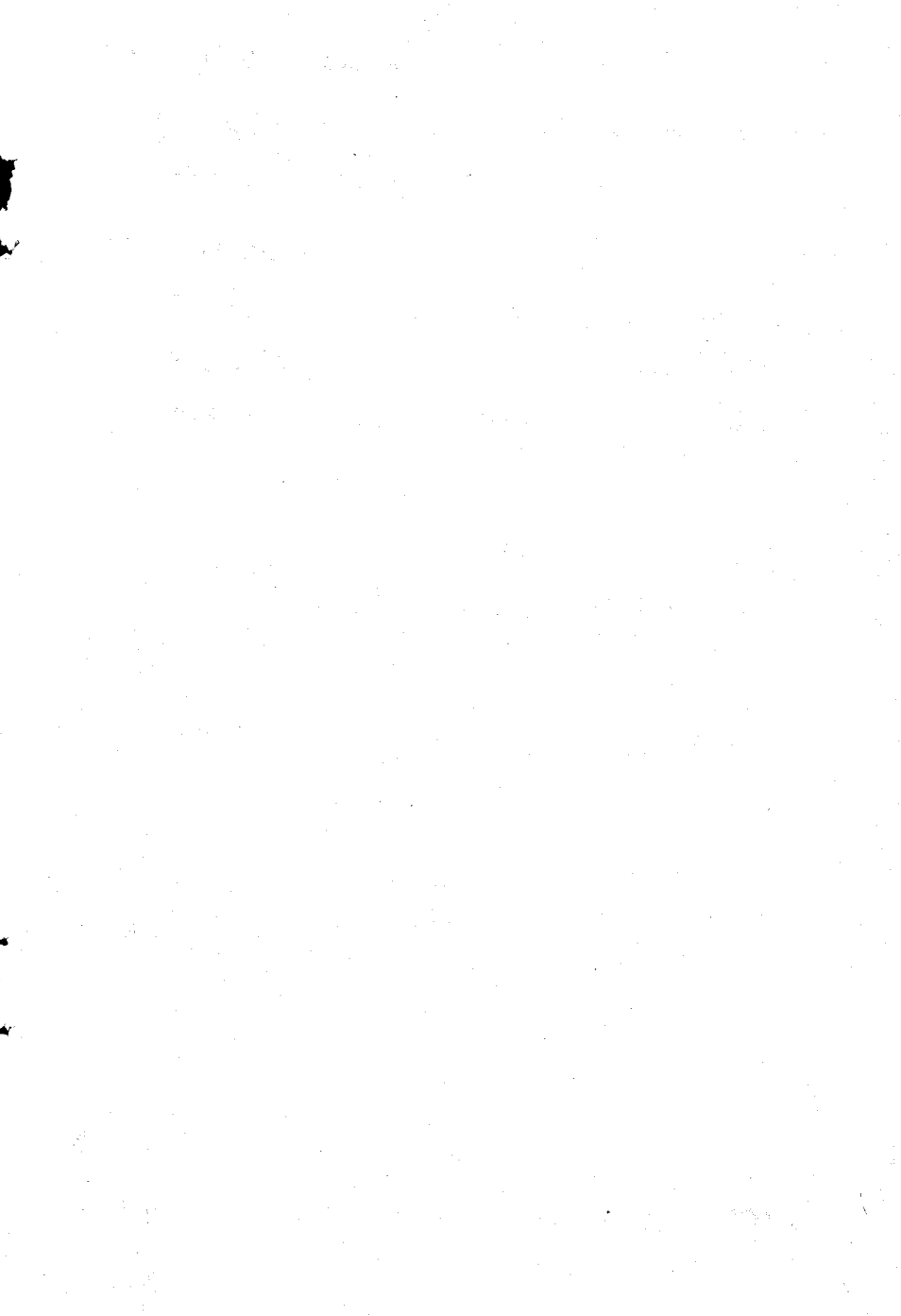
عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي .. وقد ألفها سنة
٧٧٩ هـ .

٢٣ - الإسلام في عصر العلم

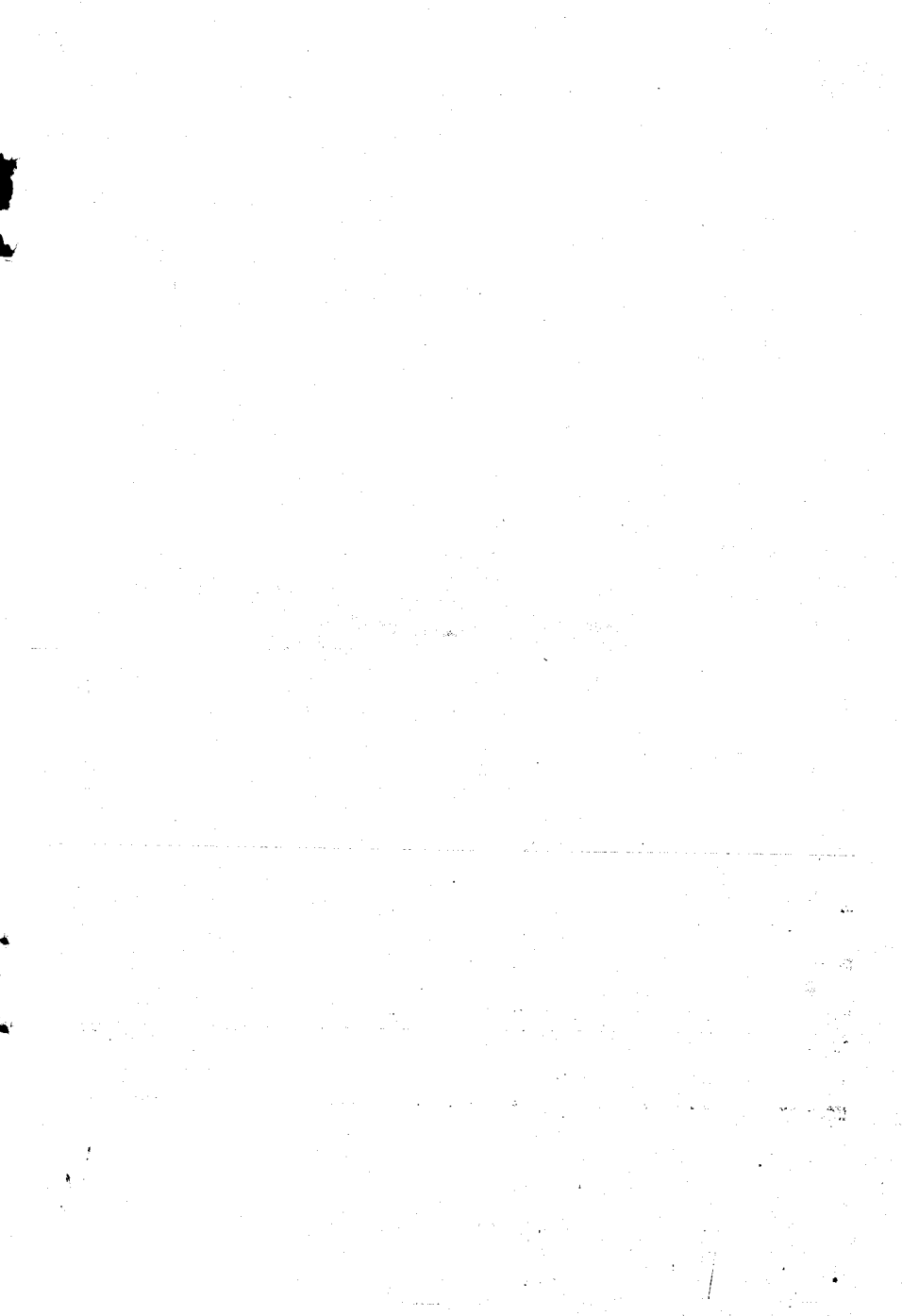
للدكتور محمد أحمد الغمراوي .. إعداد الدكتور أحمد عبد السلام
الكرداني وكيل وزارة التربية والتعليم سابقاً .

٢٤ - لسان العرب

للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن الإمام جلال الدين
مكرم بن الشيخ نجيب الدين المعروف بابن منظور الأفرنجي
المصري الأنصاري الخزرجي (طباعة الدار المصرية للتأليف) :



محتویات الكتاب



محتويات الكتاب

الصفحة

الموضوع

٣	تقديم
٥	إهداء
٧	مقدمة
١١	تمهيد
١١	تحدى المشركين
١٦	تصديق القرآن لما سبقه من الكتب
٢١	الهيمنة والتصحيح لما سبقه من الكتب

الباب الأول وفيه أربعة فصول

٢٩	الفصل الأول : تعريف القرآن الكريم
٣٥	الفصل الثاني : أسماء القرآن الكريم
٣٧	الفصل الثالث : توضيح لكلمة مصحف
٤٧	الفصل الرابع : أقسام كلام الله تعالى

الباب الثاني وفيه خمسة فصول

٥٧	الفصل الأول : كتابة القرآن الكريم وجمعه
٦٧	الفصل الثاني : اختلاف رسم الكلمات في المصحف والحكمة فيه
٨١	الفصل الثالث : هل رسم القرآن توقيفي أو اصطلاحى ؟
٩٧	الفصل الرابع : حكم ترجمة نص القرآن وأضرارها
١٠٣	الفصل الخامس : كيف نكتب القرآن الكريم ؟ وفيه ست مسائل

رقم الايداع بدار الكتب ٢٦٦٩ / ١٩٧٦

دار الاعتصام

القاهرة - ٨ شارع حسين حجازى تليفون ٣١٧٤٨